

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 01010 1578

00-B 5259

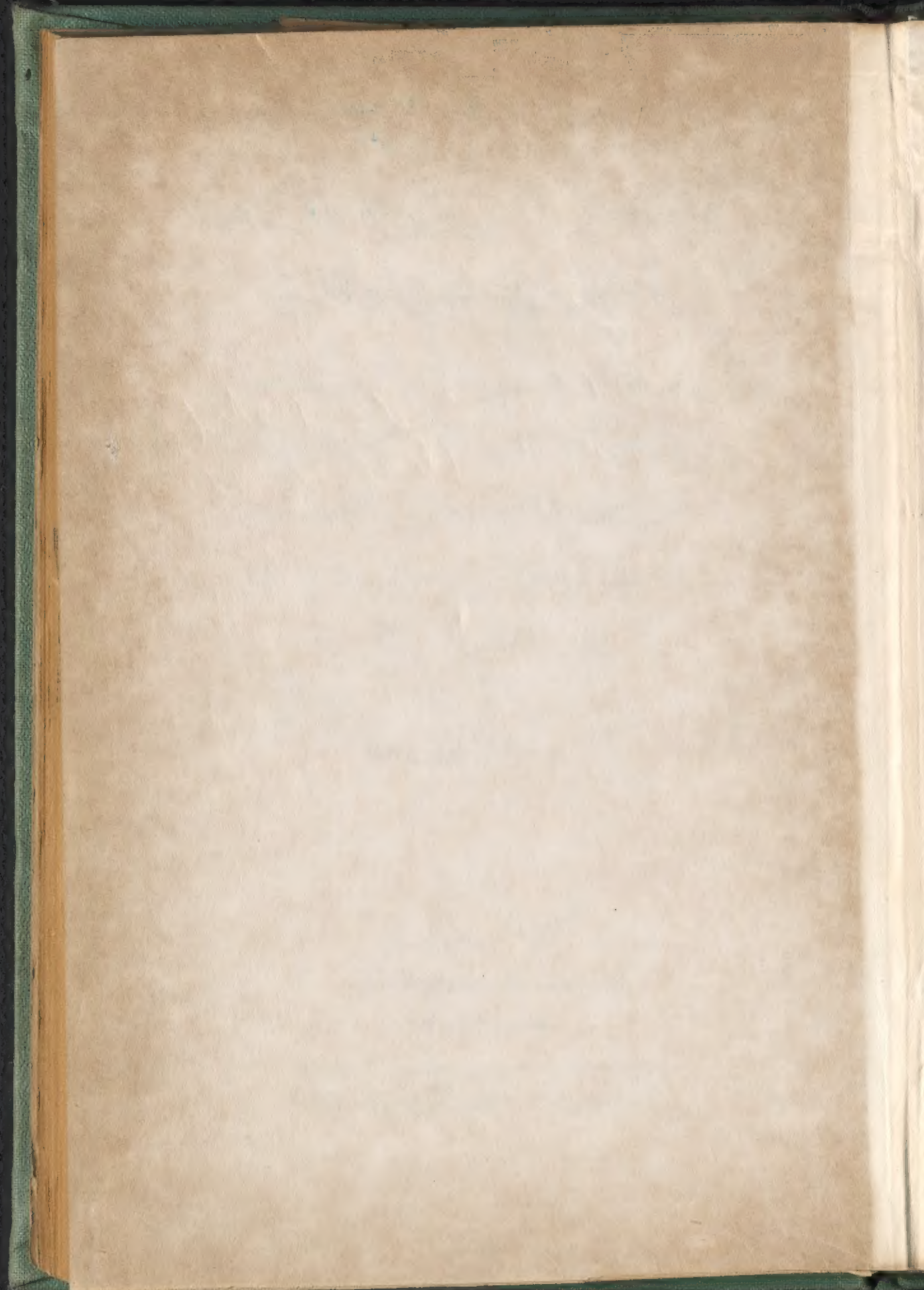
put Jul 402

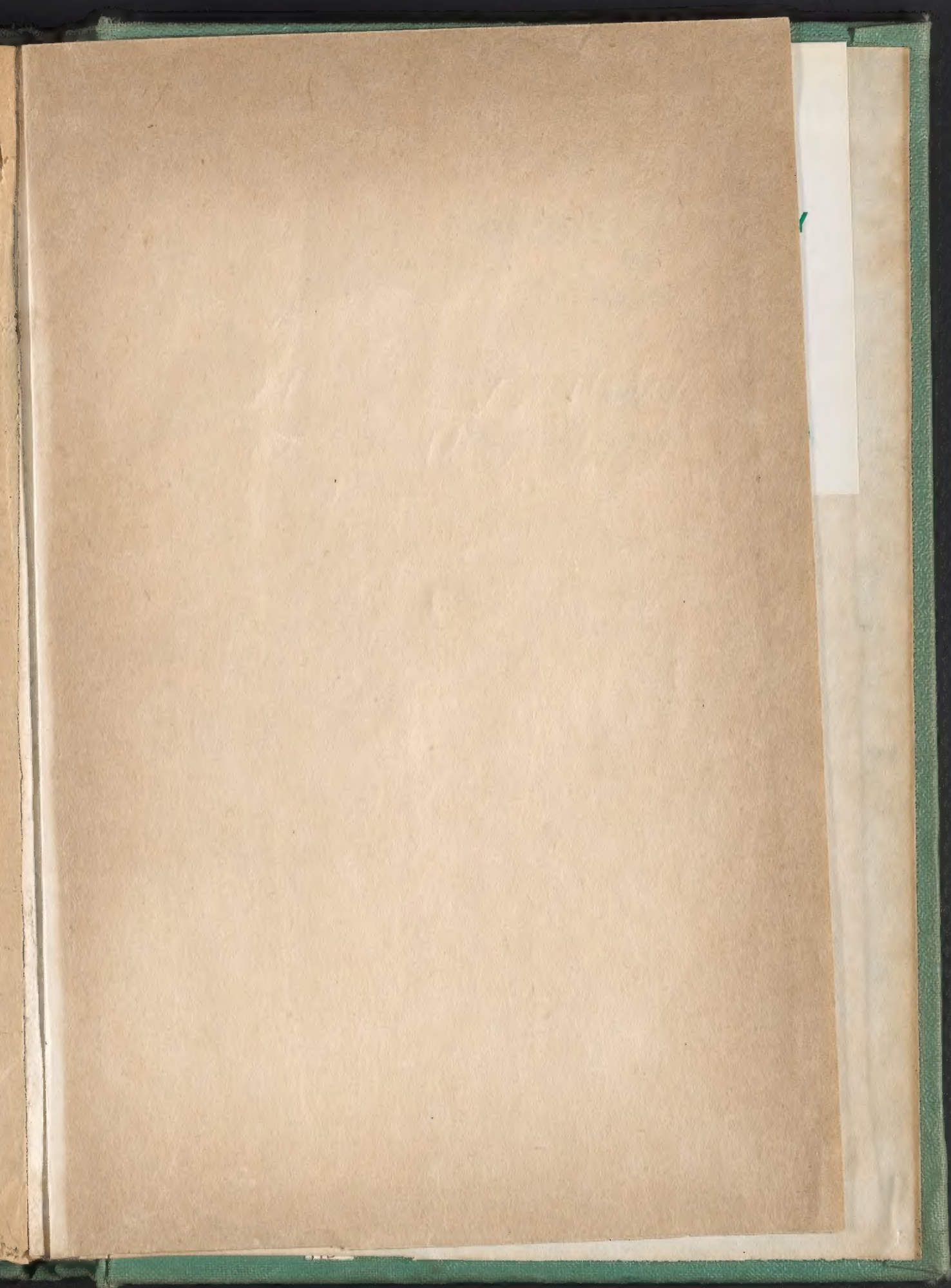


FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة







قصة الزيت سائر الممالك

PJ

7695.8

Z56X

أبولة المهمل الكبير

هو هي قصة بديعة جرى فيها من الحروب العجيبة

والوقائع الموهلة المريعة ، وأشعار العرب

أهل الفضل والأدب ، وما كان من كليب وحسان

اليمان وجساس بن مرة ، وما وقع بينهم

من الحروب والأهوال

الناشر

مكتبة الجمهورية العربية

لصاحبها : عبد الفتاح عبد الحميد طراد

شارع الصارفة بالازهر بطن

الطبعة الأولى سنة ١٩٤٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله ، والصلاة والسلام على رسوله وأنبيائه ، وبعد فهذه سيرة
الأسد الكرار والبطل المغوار الذي شاع ذكره في الافطار وأذل بسيفه كل
صنديد وجبار المهمل بربيعة صاحب الاشعار البديعة والوقائع الموهلة المريعة
ما جرى له في تلك الايام مع ملوك الشام وفرسان الصدام من الحوادث
والوقائع التي تطرب الفاري وتلد السامع ، ولكن قبل الشروع في هذه السيرة
للغريبة وأخبارها المطربة الغريبة رأينا أن نذكر طرفاً من أخبار العرب أهل
تفضل والادب لإفادة اللطالعين ونزهة للسامعين فنقول والله المستعان :
أن أصل العرب من قديم الزمان وسالف العصر والأوان ولد نزار بن معد بن
عدنان وكان قد ولد لنزار المذكور أربعة أولاد من الذكور كل منهم بالفضل
والباس مشهور وهم : مضر أنمار وإبار وربيعة وفارس الطرار ومنهم تشعبت
قبائل الاعراب ومبيلات البراري والهضاب فمن نسل إمداد ملوك التابعة الذين
أخبارهم بين الناس شائعة ومن نسل ربيعة ومضر وإمداد عرف الحجاز ونجد
والعراق وسكان القفار وكانت العرب في تلك الزمان منقسمة إلى قسمين وهما قيس
ويمن فكان اليمن هم اليمنيون وبقى العربان هم القيسيون وما زالت العرب تنمو
وتكثر وتمتد في البر الأفقر حتى اشتهرت العشائر والقبائل وظهر الأمير ربيعة
وأخوة مرة وأناء وائل وربيعة المذكور هو أبو الزير الفارس المشهور صاحب
هذه السيرة ووقائعها الشهيرة .

(قال الراوي) وكان ربيعة في ذلك الزمان من جملة ملوك العربان وأخوه
عروة من الأمراء والأعيان وكانت منازلهم في تلك الايام في أطراف بلاد الشام
وكانا يحكمان على قبيلتين من العرب وهما بكر وتغلب وولد لربيعة خمسة أولاد
مثل الاقمار وهم كليب الأسد الكرار وسالم البطل الشهير الملقب بالزير وعدى
ودرعيان وغيرهم من الشجعان وكان له بنت جميلة الطباع شديدة الباع تمارك
الاسود والسباع إسمها أسما وتلقب بضباع ، وأما الأمير مرة له عدة أولاد أبطال

أجناد وقد اشتهروا بالشجاعة وقوة البأس منهم همام وسلطان وجسام وله بنت
جميلة فاضلة نبيلة ، يقال لها الجليلة ، فاتفق في بعض الأيام أن الأمير مرة دخل
على أخيه ربيعة في الخيام وخطب لابنته ضباع لابنه همام ، وخطبه بهذا
الشعر والنظام :

يقول أمير مرة في قصيدة	معانيه حكت دزر الجوار
ربيعة يا أخى لسمع كلامي	أيا قهار فرسان الجبار
أريد ضباع بنتك يا ربيعة	إلى همام يا غر الأكار
ولما ينشئ لبنك كليا	ويركب يا أخى الخيل الضوامر
وتكبر يا ملك بنتي الجليلة	مرغذها له وزوج لاتشاور
وهذا يا أخى أقصى مرادى	أيا صدام آساد الكواسر
تبدى له ربيعة ثم قال له	كلامك يا أخى مثل العنابر
تريد ضباع خذها يا مسمى	وزوجها لابنك لاتشاور
ومعها مائة خادم يخدموها	ومائة جارية غير السرائر
ومعها مائة حر كالعرانس	ومائة قعود مع ميتين جوائر
ومعها يحمل الفاخر واطلس	زياد ومسك فاج ودم عاطر
وهام ابن مرة مثل لبنى	لغيرك من أناسب أو أطاهر
لم انهض وزوجها بسرعة	وافرح فيه واعمل عرس فاخر

فلما فرغ ربيعة من كلامه وشعره ونظامه أعتقه أخوه وشكره على حسن
اهتمامه ثم باشر القوم بأمر العروس من ذلك اليوم وعقدوا عقد الأمير همام على
ضباع بنت السكرام كما جرت عادة الملوك العظام فأولوا الولائم وذبحوا الذبائح
وأطعموا كل آت وناح وما زالوا في سرور وأفراح وبسط وانشراح وديق
طبول ولعب خيول وشرب مدام مدة عشرة أيام ثم زفوا ضباع على الأمير همام
فكانت ليلة عظيمة لم يسمع بمثلها في الأيام القديمة حضر فيها كثير من سادات
العرب وأهل المناصب والرتب ودخل همام على ضباع وحظى بحسنها وجمالها
ونالت منه غاية آمالها لأنها كانت تحبه محبة شديدة وتوده مودة أكيدة وسوف
يظهر لهما ولدان وهما شيون وشيبان وسيأتى حديثهما بعد الآن .

هذا ما كان من خبر بني قيس المدعويين بالقيسية ولنتكلم الآن عن حديث
البنية وما جرى لهم في تلك الأيام من الأمور والأحكام والحروب والأهوال
في ميادين القتال فنقول وعلى الله الاتكال .

أنه كان في قديم الزمان في بلاد اليمن ملك عظيم الشأن صاحب جند وأعوان
وأبطال وفرسان يقال له الملك حسان ويكنى بالتبع اليماني ولم يكن له بين الملوك
ثاني وهو أول البنية كما كان ربيعة أول القيسية وكان شديد البأس قوى المراس
طويل القامة عريض الهامة لا يعرف الحلال من الحرام ولا يحفظ العهد والزام
وكان يحب النساء الملاح والمزاح منهن في المساء والصباح ، ومن أعماله العجيبة
واصطلاحاته العجيبة كما ذكر أصحاب الرايات أنه كان في كل ليلة يتزوج بصبيبة
من بنات الملوك والسادات وكانت الملوك تحافه وتحشاه وتحسب حسابه وتترضاه
وتحمل له الخراج وتعلل له الخاطر والمزاج وكان عنده من الأبطال والفرسان
الف ألف عنان وهم عشرة كرات مستعدين للحرب والغارات وكان يشرب المدام
في الليل والنهار ولا يبالي في الأهوال والأخطار وكان له وزير عاقل خبير قوى
الجنان اسمه نبهان قد امتاز على الأفران بفعل الخير والإحسان وكان كثير
ما ينهى الملك حسان عن ارتكاب الظلم والعدوان فاتفق في بعض الأعوام ويول
من الأيام التقى الملك تبع في نبهان وقال له في الديوان بحضور الأمراء والاعيان
هل سمعت أيها الوزير والعاقل الخبير عن ملك كبير عنده رجال كرجالي أو أموال
كعدد أموال قبيل الوزير الأرض ووقف في مقام العرض وقال اعطني الأمان
يا ملك الزمان وأنا أحدثك بأخبار ملوك الأمم أصحاب البطش والهمم وما عندهم
من الجيوش والعساكر والمهمات والذخائر .

فقال قل وعليك الأمان من نوائب الزمان .

فقال اعلم أيها الملك المعظم أنه لا يوجد مثلك في هذه الأقطار من الملوك
الكبار أصحاب الدين والامطار والسكن يوجد خارج البحار عروب من أهل الشجاعة
والاقتدار عددهم كثير وجيشهم غفير يقال لهم بنو قيس وسيدهم إسمه ربيعة ولهم
في الحرب والغارات وقائع مهولة مريعة وهم من أولاد مضر الأسد الغضنفر وقد
امتلكوا أكثر جهات الأرض في الطول والعرض وهم أعظم منا وأكث

وأشد بأساً ، فلما انتهى الوزير من هذا الكلام وسمعه من حضر في ذلك المقام
اغتنظ الملك وتأثر وكان عليه أشد من ضرب السيف الأبرق فصاح على الوزير
وزعم وقال له بكلام الحق هكذا يا تيس تفضل على بني قيس وما دام الأمر كذلك
لا بد أن أفدحهم بفرسان المعارك وأقتل ملكهم ربيعة وأردحهم موارد الممالك
وأخرب بلادهم وديارهم وأحجو بالسيف آثارهم وأتلك الديار بالقوة والافتتار
ثم أنشد هذه الأبيات على مسامع الأمراء والسادات :

يقول النبي النبي المسمى	بحسان فما للقول زورا
ملكك الأرض غصبا واقتدارا	وصرت على ملوك الأرض سورا
وطاعتي الممالك والقبائل	وفرسان المعامع والنورا
لقد أخبرت عن بطل عنيد	شديد البأس جبراً جسورا
وقالوا إنه يدعى ربيعة	أمير قحى مدناً ودورا
قولى الأرض في طول وعرض	فكم أخربه وكم شيد قصورا
فقصدي اليوم اغزوه بجيشي	وأترك أرضه قفرا وبورا
أيا تيهان أجمع لي العساكر	فأتوا فوق خيل كالنسورا
وجيز الف مركب يا وزيرى	واوسقن في وسط البحورا
ثلاث شهور أترزع لا تطول	يكون كل ما قلته حضورا
أسير بهم إلى تلك الأراضى	وأهلك القلاع والقصورا
ويغنم عسكرى منهم مكاسب	وأزوجهن بنات كابدورا
ويبقى لي الحكم برا وبحرا	ويصفي خاطرى بعد السكدورا

(قال الراوى) فلما انتهى السبع من شعره ونظامه وفهم الوزير شوى حديثه
وكلامه ندم وتسكدر الذى أعلمه بهذا الخبر ولم يعد يسكنه إلا الامتثال وتجهيز
الفرسان والأبطال إلى الحرب والقتال فنزل من الديوان وهو مقهور غضبان وأمر
بدي الطبل والنحاس لاجتماع العساكر وباقي الناس وكان هذا الطبل يقال له
الروضوح وهو من أعظم الطبول وكانت تدقه عشرة من العميد الفحول وهو من
صنعة ملوك التبايمة العظام وكانت الناس تسمع صرته عن مسافة ثلاثة أيام وكان
الملك حسان إذا غزا قبيلة من العربان يأخذ ذلك الطبل معه وأين ما ذهب يتبعه
ولم يزل هذا الطبل في ذلك الزمان يتصل من ملك إلى ملك حتى اتصل إلى الأمير

حسن هيد بن هلال المشهور بالإحسان والأفضال فلما دقت العبيد الطبل وسمعت
صوته قواد الفرسان أقبلت على الوزير من كل جهة ومكان فسلموا عليه وعملوا
بين يديه وسألوه عن سبب دق الطبل الرجوع فحدثهم بذلك الإيراد والمسير إلى
تلك البلاد للنزول والجهاد ثم بعد ذلك فرق عليهم السلاح وآلات الحرب
والسكفاح ولم تمكن إلا مدة قصيرة حتى تجهزت المراكب وتجمعت العساكر من
كل جانب وكان من جملة عشرة من ملوك كبار كل ملك يحكم على ألف بطل
منوار فحضروا إلى أمام الملك تبع حسان فسلموا عليه وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا
لَهُ نَحْنُ بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك فشكرهم وخلع عليهم الخلع
الشاخرة والتحف الباهرة ووعدهم بالمسال الجزيل ويكل خير جميل ثم أمر
الوزير بالاستعداد والرحيل على غزوة بني قيس وتلك البلاد وطلبك منه أنه
يأتى بالعساكر من تحت القصر وهي نازلة إلى البحر ليشاهد أحوالها ويرى
سلاحها وأثقالها فامتلأ الوزير لما أمر وفعل كما ذكر فأنشراح صدر الملك عند
روية العساكر والجحافل وهي في السلاح الكامل والاستعداد للحرب والقتال
فأنشد وقال :

يقول التبّع الملك الياق	صفا عيشى وقد طاب قوادى
اتقى عساكر كالأسد تسرى	ألف راكبين على جياد
عليهم كل درع من حديد	له زرد كما عين الجراد
وبهم كل جبار عنيد	يقال ألف ليث في الطراد
برؤيتهم فقد زاد انشراحى	وزال الهم عني بامتدادى
أسير بهم لذاك السبر حالا	وأقتل كل من يطلب عنادى
وارجع غانماً في طيب عيش	ولا يبقى لتبع من يعادى
ألا يا عسكر قروا وطبوا	على نيل المقاصد والمرادى
ومنى أبشروا فيما تريدون	مهما تطلبوه بازدياد

فلما فرغ من شعره ونظامه صرخت الأمراء وأكابر القواد والمعوّش والعساكر
والاجناد ودعوا للملك بالنصر وطول العمر وقد استبشروا في غزوة تلك البلاد
وأيقنوا بالنجاح وبلغ المراد ثم نزلت العساكر والاجناد في المراكب مع
الأمراء والقواد، وكان الملك حسان قبل خروجه من الأوطان قد سلم زمام ملك

فمن إلى الصحصاح بن حسان وهو ملك كبير وفارس شهير كان يميل إليه ويعتمد عليه فأوصاه أن يجمع له المال في كل عام ويرسله إلى بلاد الشام ثم نزل مع الوزير في مركب كبير واقبلوا من الأطان وقصدوا بلاد الحبش والسودان وعند وصولهم إلى ذلك الجانب القوا المراتي ونزلوا إلى البر بالقوارب ونصبوا الخيام والمضارب وفي الحال أرسل الملك تبع وزيرا اسمه زيد بن عقبه بألف فارس منتخبة ليعلم أن أخته الرعيني بقدمه إلى تلك الأفطار لأنه كان ملك هاتيك الديار ويأمره بسرعة الحضور وتقديم الذخر إلى الجيش والعسكر فلما علم الرعيني بذلك الخبر بادر في الحال بالفرسان والأبطال والمهمات الثقيل إلى أن التقى به في الصيوان ومن حوله الوزراء والأعيان فدخل وسلم عليه وقبله بين عينيه وقدم له الذخائر والمهمات لتلك الجهات فأعلمه بواقعة الحال ولأنه قاصد غزو بني قيس وتلك الأطلال ثم يأتوا تلك الليلة في الخيام وفي الصباح أمر الملك العشرة الملوك العظام أن يتأهبوا للرحيل إلى بلاد الشام وأن ينقسموا إلى قسمين ويتفرقوا إلى فرقتين خمسة تسير من اليمن وخمسة من على الشمال وأوصاهم أنهم كل ما أقبلوا إلى مدينة يملكوها في الحال ويقيمون فيها نائبا من سادات الرجال فأجابوا أمره بالخضوع والامتثال فعند ذلك دقت الطبول والزمر وركب الفرسان ظهور الخيول وارتفع الصياح ولمع السلاح وترتبت الكتائب وسارت المواكب في تلك البراري والسياس وكانوا كلما وصلوا إلى مدينة أو بلد امتلكوها بحد السيف المهند حتى ملكوها أكثر البلاد وطاعتهم العباد وما زال تبع يتقدم حتى أقبل إلى مدينة الشام فأحاط بها من جميع الجوانب بالمواكب والكتائب وكان نائب الملك ربيعة في دمشق الشام يدعى يزيد بن علام وكان ربيعة وأخوه مرة في وادي الأنعمين وهو مكان بعيد عن المدينة مسافة يومين فأرسل الملك تبع إلى نائب الأمير ربيعة أحسن الوزراء العمد يطلب منه الخضوع لأمره وتسليمه .

فلما وصل إليه ودخل عليه وأعلمه بالخبر وما قال تبع وأمره فأجاب بالسمع والطاعة ونهض مسرعا في تلك الساعة وأخذ معه الأموال والذخائر وخرج في جماعة من الأكابر حتى التقى بتبع في الخيام فياه بالسلام فترحب به غاية الترحيب وأمر له بالجلوس فجلس بمكان قريب منه فقال تبع هل أنت حاكم الشام قال نعم أيها الملك الهام فيسأله عن حكم ربيعة فقال له ظالم على قومه وكل الرعايا تشكروا

من ظلمه وتتمنى له الأذى والضرر والموت الأحمر ، والحمد لله رب البرية الذي
أعاننا بك حتى نتخلص من نير العبودية فستخدمك خدمة مرضية ، ونصير لك من
جملة الرعية وما قوله ذلك لتبع إلا من الخوف والفرع فتبسم تبع من هذا الكلام
وقال أبشر ببلوغ المرام فإنك ستكون نائبي في بلاد الشام وتحمل لي الخراج في
كل عام فقال سمعاً وطاعة يا مملك الزمان وجوهرة هذا الأوان ثم عرض عليه
الذخائر وما جاء به من نفيس الجواهر فأنشرح صدر تبع وخلع عليه الخلع
وقال له أذهب الآن وجوه أهل المدينة وياشر في الضيافات والزينة فأننا سنحضر
إلى عندك بعد ثلاثة أيام وتفرح على الشام ثم نرجع إلى المضارب والخيام فقال
أهلاً وسهلاً الأرض أرضك والبلاد لأدك ثم ودع الملك وسار بمن معه من
الأكابر والتجار وأخذ يسعى في أمر الولاية وقد خامرت معه أهل الشام خوفاً
من السبي والهزيمة .

هذا ماجرى لهؤلاء من الاخبار وأما ما كان من ربيعة وبني قيس الأخيان
فأنهم لما سمعوا بقدوم الملك تبع إلى الديار وافتتاحه المدن والأمصار أخذهم
القلق والافتسار وكان قد بلغ ربيعة قول زيد إلى تبع حسان وكيف أنه قسبه إلى
الظلم والعدوان مع أنه كان من أعدل ملوك الزمان أخذه الغضب والقلق وزاد به
الحق فجمع أكابر قومه وأخيه مرة ومن يعتمد عليهم من أهل الشجاعة والقدر
هو جعل يخاطب الأمراء والسادات بهذه الآيات :

غنا ربيعة شعراً من ضمايره	ودمع العيون على الوجنات طوفان
يا قومنا اسمعوا وامثلوا قولي	أنتم بنو قيس أبطال وشجعان
كننا بخير والسعد يخدمنا	نقري الضيف ونكسي كل عريان
والجوخ والخن السموّر يأتي لنا	من سائر الأرض والملبوس ألوان
جاءنا من البحر ذا التبع يحاربنا	صعب المراس شديد البطش سلطان
معه رجال عوايس ألف ألف بطل	من كل درغام قلبه مثل صوان
بجاز البلاد وما أمير خالفه	الكل طاعته القاضى مع الدان
أتى إلينا وما حسب حساب لنا	منا ومن غيرنا هو ليس فزعان
معه عسكو كثير ماله عدد	أبطال حرب وفرسان شجعان
أنا بقيت كبير السن يا عري	مالي في القفا وسط ميدان

خبرة أخوي بهذا الرأي ساعدني
 هيام يا ابن أخي ما كنت كسلان
 ما يترك الكأس من يديه ولا ساعة
 إلا بوقت الالتقا أو بعض أحيان
 كيف العمل تنهزم أو نقابله
 شوروا للصواب إخواني وخلاله
 فلما فرغ ربيعة من شعره قالت السادات والفرسان عن فرد لسان أن هذا
 فالامر لا يطاق وعلقم مر المذاق وليس لنا غير الهزيمة فهي أوفر غنيمة وإلا حكم
 حسيفه ولا شانا عن بكرة آيينا وبعد مداولة طويلة وجلسة مستطيلة استقر رأي
 فالجهور على أن يذهبوا إلى عند تبع المذكور فيسلموا عليه ويقبلوا يديه ويطلبون
 لأنفسهم الأمان ويقدموا له التحف الحسان لعلمهم يتخلصون بهذه الوسيلة من تلك
 الورطة الويلة هذا ما كان من أمر بني قيس وأما الملك تبع فإنه في اليوم الثالث
 وركب في وجوه قومه وتوجه إلى مدينة الشام لأجل الزيارة كما تقدم الكلام .
 فلما بلغ الغاية ووصل السراية التقاه زيد بالتعظيم والإكرام وأجلسه في أعز
 مقام وصنع له وليمة عظيمة ذات قدر وقيمة فأحسن إليه وخلع عليه وفرق التحف
 الثمينة على أكبر أهل المدينة ثم رتب الخراج في كل عام وبعد ذلك رجع إلى
 المضارب والخيام وهو مسرور القواد على المرام وأما بنو قيس فإنهم جمعوا
 التحف الحسان والأموال التي يكل عن وصفها اللسان من عقود وجواهر ومهمات
 وذخائر وقماش فاخر وحملوها على مائة جمل وركب ربيعة مع أخيه مرة في مائة
 بطل وسار معها جماعة من الأمراء والقواد الذين عليهم الاعتماد وجدا في قطع
 البراري والقفار حتى وصلوا إلى تلك الديار وعند وصولهم إلى المضارب نزلوا عن
 ظهور الجنايب واجتمعوا بخزندار الملك تبع وكان اسمه ثعلبة ابن الأبيشع فقدموا
 له التحف الحسان ليقدمها إلى الملك تبع حسنان ويعلمه بقدمهم إلى الديار فقدمها
 الخزندار وأعلم بمجيء القوم في مثل ذلك اليوم مرادهم الدخول عليه ليتشرفوا
 بتقبيل يديه ورجليه ويحصلوا على أمانة ويكونوا من حملة خدامه وأعوانه فتبسم
 تبع والتفت إلى وزيره نبهان وقال له أين ملوك قيس العظام الذين كنت قلت
 عنهم ما هو كذا وكذا من الكلام وإني لا أصلح أن أكون من حملة خدامه
 وهم قد حضروا الآن لتقبيل أقدامي ليسكونوا من جملة أعواني وخدامي فقال
 الوزير وقالك الله من كل شر وضير وجمل عاقبة هذا الامر إلى قيئناهم في الحديث
 والكلام إذا دخل على الملك أمراء بنو قيس السكرام فقبلوا الأرض بين يديه
 ووقعوا على رجليه فأخذ تبع ينظر إليهم ويتأمل فيهم فحانت منه التمتاة فنظن

الأمير ربيعة واقف في باب الصيوان وهو مثل الأسد الغضبان وكان الأمير ربيعة لم يدخل مع قومه على الملك حسان لأن نفسه ما كانت تطاوعه على الذل والهوان فالتفت الملك تبسّع إلى الترجمان وقال من يكون هذا الإنسان فإني أراه معجب بنفسه غاية الإعجاب ولا حاسب لي أدنى حساب فسأل الترجمان عنه فقالوا العشمشم سيد بني قيس الأمير ربيعة المعظم .

فلما سمع تبسّع هذا الخبر شخر ونخر وتبدل عيشه بكدر واحمرت عيناه حتى صارت مثل الجمر ثم ناداه فخر وقد تعجب من عظم هيئته وبياض لحيته فسلم ربيعة عليه ووقف بين يديه فقال تبسّع أنت سيد بني قيس السكرام فقال نعم أيها البطل الهام وقال ولماذا أسأت الأدب واحتقرتني دون باقي أمراء العرب الذين تمثّلوا أمامي وقبلوا يدي وأقدّامى فتقدم الآن وقبل رجلى يا مهان وإلا قتلتك محرّ الحسام وجعنتك عبرة بين الأنام .

فقال ربيعة وقد استعظم ذلك الأمر واحمرت عيناه من الغيظ حتى صارت مثل الجمر لأنه كان من أشرفهم حسباً وأعلامهم نسباً ثم قال اعلم يا ملك الزمانه بأننى ملك من ملوك العربان صاحب قدر وشان وما ذلت نفسى لإنسان وهذه هى بلادى وملك آبائى وأجدادى وأنا ما تعديت عليك وما أوصلت أذيتى إليك بل أنت شذيت علينا الغارة وامتلكت بلادنا وألحقت بنا الخسارة وذلك بدون سبب من الأسباب فكفى الذى فعلته أيها الملك المهاب وقد بلغت منا قصدك فلا أنت تقبل يدي ولا أنا أقبل يدك فلما سمع منه هذا المقال خرج عن دائرة الاعتدال وقال يا نذل بني قيس ومن هو أذل من التيس إني ما أتيت من بلادى بهذا الجمع المتزايد إلا لأجعل زمام الدنيا في قبضة ملك واحد ثم بعد هذا الكلام صاح على الأعوان والخدم بصوت كرعد في انغام يا ويلكم اقبضوا على هذا الشيخ الكبير ومن معه من بني قيس الطناجير وقيدوهم في الجنازير فامثلوا أمره في الحال وقيدوا ربيعة وباقي الرجال وبعد أن قيدوه وأوثقوه أمر الملك بشنقه فشنقوه وهكذا انتهت حياته وانقضت أيامه وساعاته وبقي معلقاً ثلاثة أيام حتى جاء نائبه الأمير زيد إلى الشام فغسله وكفنه ثم وراء التراب ودفنه ثم جاء في باقي ترجمته وأمره أدواً لأن يفعلوا بهم مثل تلك التعمال فانهمز الأمير مرة من بين أيديهم وقدم ريق عند أثنت سبع حساني وثلث الأمان يا مهان إني قد

لمن الآن عبيدك وطوع يدك وجميع أمورنا راجعة إليك فاعفوا عنا فقد

حضرت لنا ملك ثم أنه بعد هذا الحديث والكلام أشار مخاطبه بهذا الشعر والنظام

مقالات لمرة في بيوت
ألا يا أمير تبس يا مسمى
أنا في جيرتك يا غر قومك
قتلت أخي ربيعة يا مكنى
وتقتلني أنا يا أمير بعده
نحن يا ملك حكام مثلك
فليس بواجب تهدم بيوت
وقد حاربنا وحكت فينا
وبعد اليوم صرنا لك رعايا
ونرفع كل عام عشر المال كله

صروف الدهر قد جارت علينا
أيا ملك الوري في العالمينا
أجيرنا لا تشفى الضد فينا
وأسقيت الماء والحاسدينا
تهد رجالنا طول السفينا
على كل القبائل ما كبنا
ولا هذه فعال الماجدينا
ونحن اليوم في حكمك رضينا
على طول الليالي والسنيينا
فاحكم ما تريد اليوم فينا

(قال الراوى) فلما سمع تبس شعرة ونظامه وعرف قصده ومرامه عفى عنه وأعطاه الأمان وكذلك صفح عن باقي الأمراء والأعيان وجعلهم من حملة الرعايا والخدام يدفعون له الخراج في كل عام وقال لمرة يا سيد القوم قد صممت أن اتخذ مدينة كرسى بملكى بعد هذا اليوم فسر أنت وأهلك من هذه الديار وتفرقوا في سائر الأقطار وكونوا لأوامرى طائعين ولحكى خاضعين سامعين

ثم أنه قسمهم إلى عدة فرق وأقام على كل فرقة ملك من سادات بني قيس الأعيان فجعل الأمير مرة على الفرقة الأولى وأمره أن يسكن مع قومه في نواحي بيروت وبعطيك والبقاع وجعل الأمير عدنان على الفرقة الثالثة وأمره أن يقيم في بلاد العراق وتلك المنازل والآفاق وكان الملك تبس قد شئت بنو قيس بهذه الوسيلة خوفاً من أن يقع في مكيدة أو حيلة ثم أنه التفت على الأمير مرة وباقي السادات وأشار إليهم بهذه الآيات

يقول التبس المدعو البهاني
ألا يا قيس روحوا لا تخافوا
ربيعة أنت يا مرة بداله
وأولادهم لهم موضع أبوم
ولكن خلق لا تسكنوها

أيا مرة المنكم مني الأمان
فقد سددتم على أهل الزمان
كبير القوم من قاس ودان
وأنت أكبرهم فيهم تمنان
وكونوا في أمان مدى الزمان

فلما فرغ تبع من كلامه وشعره ونظامه أجابت بنو قيس أمره بالامتنال وتفرقت جموعهم في البراري والتلال وهم يسكنون على ما جرى عليهم وما وصل من الأذى إليهم لأنهم كانوا في أرغد عيش وأمناء وفي عز وجاه كلمتهم بين الناس مسموعة وروايتهم فوق هام المجد مرفوعة لا يعرفون الهمة والكدر ولا يأخذهم قلق ولا ضجر إلى أن أصابتهم البلية وحلت بهم تلك الرزية فبكوا على تفرق بعضهم البعض وتشتتهم في أقطار الأرض .

ومن غريب الاتفاق المستحق للتسخير في الأوراق هو ما جرى للأربعة إخوة الذين اشتهروا من بني قيس بالحية والنخوة وذلك أنه كان لزوجته الأمير ربيعة المذكور والد كليب والوزير الفارس المشهور أربعة إخوة من الذكور وهم جوشن وناجد وجودر والأمير منجد والأسد الغضنفر وكانوا من أجود الناس قد اتصفوا بالشجاعة وقوة البأس .

فلما رأوا أفعال تبع الشنيعة وكيف أنه قتل صهرهم ربيعة ساء لهم ذلك الأمر وتوقد قلبهم من الغيظ بلبيب البحر ولسكنهم أخفوا السكند وأظهروا الصبر والجأء فحملوا بيوتهم وعيالهم وساقوا غنمهم وجمالهم وجدوا في قطع البراري والآكام حتى وصلوا إلى بلاد الشام فزلوا بقرب صيوان تبع حسان فقال لهم من تكونوا من العربان فقال له ناجد أعلم أيها السيد الماخذ أننا من خيار العرب أصحاب الحسب والنسب وكان الأمير ربيعة متزوجاً بأختنا جميلة وكنا على زمانه في نعم جزيلة والآن قد أمسينا في ذل وهوان ليس لنا قدر ولا شأن وقد قصدناك وأتيننا إليك وجعلنا اعتمادنا بعد الله عليك لعلك ترحمنا وترثي لحالنا وتبلغنا غاية آمالنا وتجعلنا من جملة الأعوان والعبيد والغلمان فتستقيم أمورنا بعد الذل والكدر ومحطى بالشرف الرفيع وبلوغ الوطن فأعجبه كلامهم وبلغهم مرامهم وجعلهم من جملة وزرائه وأكابر أمرائه وكان يستشيرهم في أكثر الأوقات ويفضلهم على الرؤساء والسادات وكانوا يترقبون الفرص ليأخذوا بالثار ويزيلوا عن قلوبهم الغصص ولما بلغ تبع الغاية دخل إلى مدينة الشام ونزل بالسراية فطاعته العباد وخضعت له جميع البلاد وشاع ذكره في الأقطار وتحدث به الملوك الكبار واستمر على هذه الحالة مدة ثلاثين سنة تهاديه الملوك الأكاسرة وتهابه الملوك القياصرة .

وكان قد بنى له قصراً مرتفع البنيان مشيد الأركان وجعل أبوابه من الفضة

والذهب قد رضع حيطانه بالجواهر والدر المنتخب فكان من عجائب الزمان وذلك
لأنه من التحف الحسان التي تدهش النواظر وتحير العقول والبصائر .
فاتفق ذات يوم بينهما هو جالس في الديوان ومن حوله الأكابر والأعيان
وهم يتحدثون بذكر نساء العرب اللواتي اشتهرن بالفضل والادب والحسن
والجمال والطف والكمال إذ قال بعض الوزراء أنه لا يوجد في هذا الزمان بين
بنات العربان في المحاسن والأوصاف البديعة أجل من الجليلة ابنة أخي ربيعة
وأخذ الوزير يطيب في أوصافها وآدابها وأطافها ثم قال في آخر الكلام إن هذه
الصبيبة التي كأنها البدر التمام مخطوبة لابن عمها الأمير كليب ومراده أن يتزوج
بها في هذه الأيام فحينئذ لمن كانت هذه زوجته وقرينته وحبيبته .

فلما سمع تبس بذكرها وأنها من أجل بنات عصرها اشتد غرامه بها وتعلق
قلبه بحبها وكتب إل أبيها مرة كتاباً بالحال يأمره أن يرسل له الجليلة بدون
الإهمال لأن نمراده أن يتزوج بها ويكون صهره وبهذه الوسيلة يعلو بين الناس قدره
ثم ختم الكتاب بهذا الشعر والنظام وبه يتهدده بالانتقام إن لم يمتثل إلى هذا
الكلام وأشار يقول :

ملكبت الأرض والسبع البحار
على فرس تشابه ربح ساري
فأعلمه بحالي وانتظاري
بلا إهمال من بين السراي
ويخجل حسنها ضوء النهار
وقل اليوم منى اصطباري
وتسلطن على كل الجوارى
خزين في صناديق كبار
واخضع لي بذل وانكساري
وأشع بها وأطفي لنساري
سأمضي الليل معها مع نهاري
وأرفع لك مقاماً في جوارى
تراني جئتكم مثل الضراري
وأتهب ما أنتم وأنتم تباري

يقول التبس الملك الخفاف
ألا يا غادياً منى مرة
بحال وصول مكتوني إليه
أيا مرة فأرسل لي الجليلة
سمعت بأنها زينة مليحة
وحين سمعت بها طار عقلي
أريد تكون باكر وسط قصرى
وأرسل جزية السبع المواضي
واحضري يا ملك مرة عندي
وأدخل على الجليلة وسط قصرى
وإن كانت كما وصفوا وقالوا
وأعطيك اتباعاً إلى بعلبك
وإن لم تتمثل قولي وأمرى
وأحى جمعكم في حد سبي

ثم أمر تبسع وزيره نبهان أن يرسل في جماعة من الفرسان ويقصد تلك القبيلة
ويسلم الكتاب إلى مرة ويأتيه بالجليلة فامتلأ أمره وسار وجد في قطع القفار
حتى وصل إلى تلك الديار فرأى القوم في سرور وأفراح وشرب مدام وانشرح
لأنهم كانوا مهتمين في تلك الأيام في جواز كليب بالجليلة بدور التمام .

فلما سمع مرة بقدوم وزير تبسع خفق قلبه من شدة الخوف والفرع فنهض في
الحال واستقبله أحسن استقبال ثم أتى به إلى الخيام واحترمه غاية الاحترام وأمر
الخدام أن يأتوا بسفرة الطعام وآنية المدام فامتلأوا إلى أمره كما ذكر وبعد أن
أكلوا وشربوا ولدوا وطربوا قال الأمير مرة إلى الوزير أعلم أيها السيد الخطير
لقد زاد سرورنا الآن وتزينت بقدمك الأوطان ثم سأله عن سبب زيارته
وبما هي غاية حضرته فقال قد أتيتك بكتاب من تبسع ملك الأعارب وبه يطلب
إبنتك امرأة له وأنت تعلم بطش هذا الجبار وفعله فقد قال المثل لا تعاند من قال
فعل وأنا والله في غاية الحياء والحجل وليس لي إرادة بهذا العمل والسكنى أتيتكم
في زى رسول لأعلمك بالخبر اليقين وليس على الرسول إلا البلاغ المبين ثم أخرج
الكتاب وسلمه إياه ففتحه الأمير مرة وقرأه ولما وقف على حقيقة خرواه انقطعت
أمناءه وضل عقله وتاه لأنه أبى وامتنع بقتل الملك تبسع وإن أسأله إلى ما طلب
يصير معيرة بين قبائل العرب وتشتبه الناس وتزدريه حيث كان قد أنعم بزواج
إبنته إلى كليب ابن أخيه فانهار وحر وأخذ يتأمل في عاقبة هذا العمل فلم يجد
سوى الخضوع والامتثال لأوامر تبسع في الحال خوفاً من العواقب وحلول
النوائب فالتفت إلى الوزير نبهان وقال له أمام الأمراء والأعيان ومن حضر في
ذلك المكان لقد أجبته للملك إلى ما طلب وبلغته من إبنتي غاية الأرب لأن ليس
لنا بعد الله سوى أمره ورضاه لأنه الملك الأكبر وبمصاهرته نحظى على الشرف
الرفيع والحظ الأوفر وبعد ثلاثة أيام يكمل جهازها بالتمام فنضعه بالصناديق
ونحمله على ظهور الجمال مع باقى الأمتعة والأحمال وتركب الجليلة في هودجها
وتسير أمام الفرسان وتذهب أنت معنا إلى عند الملك تبسع حسان فانشرح صدر
بهذا الكلام وأيقن بالنجاح وبلوغ المراد والحصول على الخلع والأنعام
فلك الليلة وهو فرحان .

(قال الراوى) فهذا ما كان من الوزير نبهان وأما الأمير مرة فإنه استدعى
بكليب سرّاً وقص ذلك الحديث عليه وقال أعلم يا ثمره فزادى ومن هو عندي

أعز من أولادى أن الضرورة أوجبتنى إلى ذلك خوفاً من الوقوع فى المهالك
وقد أعلمتك بما جرى وتجدد فما رأيك أيها البطل الأجد فلما سمع هذا الكلام
صهار الضيا فى عينيه كالظلام وقال أرجوك أن تمهل الوزير ثلاثة أيام عن المسير
حتى أنظر فى هذا الأمر العسير

(قال الراوى) وكان لكليب صديق يمتنى له النجاح والتوفيق يدعى العابد
نعمان وكان كثيراً ما يوعده بالخير والإحسان فقصدته تلك الليلة وأخبره بما
جرى وما كان من أمر الملك تبع حسان فقال له أبشر بالخير يا نور العين فإن
الرأى عندى أن تجهز مائة صندوق يكون كل واحد بطبقتين فى الطبقة الواحدة
تضع فارساً من أبطال المسالحة والمجادلة وفى الثانية جهاز الجليلة وأنت تكون
مهرجاً لها أمام مآدات الجليلة وبهذه الوسيلة تتم الحيلة وتنال المراد من رب
العباد .

واعلم لا خفاك أنه عند وصولك إلى هناك تجد سلسلة من النحاس الأصفر
معلقة فوق الباب الأكبر وهى مرصدة من سحر هذا الزمان لهلاك من أراد الضرر
للتبع حسان فتقع عليه بالحال وتذيقه الويل فخذ لنفسك الحذر واتكل على الله
إله البشر فهو يحفظك ويحميك وينصرك على جميع أعاديك فإذا بلغت الإرادة
وفزت بالسعادة بنيت مسجدي برسم العبادة وخذ لك هذا السيف الخشب وبه
تنال الفصد والأرب وأشار يقول :

قال عمران يا ابن زبيبة	أتاك الخير وسعدك تم
روح لقومك بشرهم	وقول لعمك وابن العم
وبشر المسمى همام	بأن الشمل إليهم يلتم
وقول للسعد آتى لقينس	واستوفى ثارك والدم
تأخذ ثارك من التبغ	وتسقيه اثر بكاس السم
هذا السيف تقلد فيه	وفى كفك يا أمير يتم
والبس قوغه سموطه	تبقى تضرب فيه بعزم
وحط بعينك عرق الشب	تبقى أحر مثل الدم
محط عروسك فى هودج	وقدم بها زمام منم
وشوى عرضك فشرها	احذر منه فى حقك ذم
ويش واحد قال لك ما تكون	فاجل وأعمل حالك صم

والعباء وارقيص وانترح واحفظ ما يخرج من الفم
 جعلت مرة والفرسيان باكر لغدي تلت
 وأنا دبوت هل رأى من خالف قول ينسدم
 وسير لغده بالابطال قبل ما يغضب وينسدم
 سلسلة معمولة هناك يعلم السحر مع الطلسم
 تبين كل جماعة أعداء احذر منها لا تعدم
 طيب قلبك لا نغتاظ من ذات العايق لا تتم
 سألت المولى ينصركم ويزيل عنكم كل الهم

فلما فرغ العابد من كلامه وعده كليب ببناء المقام على أحسن نظام ثم رجع
 على الإثر وأعلم عمه بذلك الخبر وقال له يقتضى الآن أن نبادر بإتمام هذا الشأن
 وننتخب مائة من الفرسان ونضعهم في الصناديق على ظهور الجبال مع باقى الجبال
 والاموال فى صفة أمتعة وأحمال على عيون الرجال ويكونوا جميعاً بالأسلحة
 الكاملة والعدد الشاملة وتركب الجلييلة هودجها وهى مزينة بالجواهر ويكون
 فى صحبتها جماعة من السراري يدقون أمامها بالدفوف والمزامير وأنا أجعل نفسى
 مهرباً لحضرتها وقائد لزماد ناقتها وندخل على تبسع بهذه الوسيلة فإن تمت عليه
 الخيلة نلت المرام وأخذت ابنة عمى بحد الحسام وأكون قد بلغت أرنى وأخذت
 بنار أنى ومتى قتل الملك تبسع يقع فى قلب قومه الخوف والفرع .

(قال الراوى) فاستصوب الأمير مرة كلام كليب وعلم أنه سينال المرام
 بدون أدنى شك ولا ريب فقال لقد بالصواب أشرت وبالأمر الذى لا يعاب
 فافعل ما تريد أيها الفارس الصنديد .

وكان قد أمهل الوزير ثلاثة أيام حتى تتم هذه الأمور والأحكام وقد أطلع
 مرة ابنته الجلييلة على ما تقدم ذكره وعلى قصد كليب فعلة فلما كان يوم الارتحال
 انتخب كليب مائة من الأبطال وقص على مسامعهم واقعة الحال ثم وضعهم فى
 صناديق الأحمال وحملهم على ظهور الجبال وكان من جملة الأمير حساس وجماعة
 من عظماء الناس .

وركبت فى هودجها الجلييلة وركب أيضاً الوزير والأمير مرة وجماعة من
 فرسان القبيلة وتقلد كليب بالسيف من تحت الثياب ولبس فرواً من جلود

الشمال والذئاب وأرغى له سوائف طوال من أذئاب الكدش والبغال وركبه
على قطعة من قصب وحمل دبوساً من خشب وكان يقرد بزمام ناقة الجليلة أمام
فرسان القبيلة .

فلما رآه الوزير نهان قال لبعض الفرسان من يكون هذا الإنسان فإن زيه
عجيب وحاله غريب فقالوا هذا مهرج الجليلة بنت مرة واسمه قشمر بن غمرة
وإدعجه وتبسم وهو لم يعلم بأنه كليب الأسد الغشمشم .

وكانت السراى تدق أمام الجليلة بالمزاهر والدفوف والفرسان تلعب
فارماح والسيوف وما زالوا يقطعون البرارى والآكام مدة ثلاثة أيام حتى
لاقتربوا من مدينة الشام فزلوا هناك ونصبوا الخيام ورفعوا الرايات .

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثانى من قصة الزير سالم

الجزء الثاني

من قصة الزير أبو ليلى المهملل

والاعلام وأرسلوا رجلا من أكابر العمدة لكي يعلم تبسع بوصولهم إلى البلدة
فسار على الأثر وأعلم الملك بذلك الخبر ففرح واستبشر وزال عنه القلق والضجر
وأحضّر الرمال وكان عنده رمال شاطر فحضر بين يديه فقال له التبسع اضرب له
تحت الرمل فجلس وضرب الرمل فرأى جميع ما فعلته بنو قيس وقال الصناديق
فيها رجال وأشار يقول :

قال الفقي الرمال صادق	سقاني الدهر كاسات المزارا
تبعت الرمل أنا كنت طفلا	وقبلته يمين مع يسارا
ولا أحد مثلي بالرمل عارف	ولا غيري يعرف كيف سارا
أحط الرمل بأربع أمهات	وولد الصغارا مع الكبارا
ألا يا أمير تبسع يا ملكنا	يا عز العذارى يوم غارا
أقول لك عن التقادير والجنائب	وتحسب إن جابوا لك تجارا
جوا يا ملك هم يقتلوك	ويدعوا القصر بعدك دشارا
صناديق التي لك حملوها	بها أبطال بالعند أمارا
يريدون قتلك يا ملك عاجل	لهم ثار عليك وأى ثارا
هذا قد أعلمك يا مسمى	وبالدنيا يشيع لها خبارا

(قال الراوى) قلما فرغ من كلامه وتبع يسمع نظامه نادى على العبيد
تخضروا مائة عبد وقال لهم روحوا إلى العمارة وكل صندوق تلاقوا فيه رجال
يا كسروهم فأنطلق العبيد إلى العمارة وهم أسد وسعيد وبقية المائة عبد هذا في يده
عصا والآخرة في يده بلطة والثاني في يده دبوس حديد ولما وصلوا إلى العمارة
ابتدأوا بكسر الصناديق وكسروا الأول والثاني إلى العشرة فصاحت الجلييلة يا عبد
السوء لماذا تكسروا صناديقى فقال لها العبيد الرمال قال إن في هذه الصناديق
رجال ففتحت وفتحت لهم عشرة صناديق فما وجدوا فيها غير جهازها والقماش
فقالوا إن الرمال كذاب وعادوا يردون الجواب يقع كلام ثم يرجع الحديث إلى

عجوز يقال لها حجلان وكانت رماله وهي التي علمت الرمال بان لها جميع
 احافلوه بني قيس وتباين لها أن الصناديق طبقتين في السفلى رجال وفي العليا قماش
 افاقتكرت ساعة من الزمان وضربت ثانی زمل رأی بني قيس يقتلون تبسع
 لا حالة فقالت خيراً لی أخذ الوجه الأبيض عند بني قيس فقامت أخذت عصاتها
 بيدها وسارت إلى أن وصلت عند بني قيس وهم فی ارتباك عظیم فقالت لهم أما
 أتيت من عند تبسع فقالوا لها وما قصدك قالت قصدي كشف الصناديق لأن
 الرمال قال أن فيها رجال ففتحوا لها أول صندوق والثاني فقالت إني أرى
 للصناديق من الظاهر ذات عمق ومن الداخل بخلاف ذلك وضربت على الطبقة
 السفلى فلما رأوها عارفة قالوا استري على ما ستره الله وفتحوا صندوق وأعطوها
 ثلاث بدلات حرير فقالت من الآن وصاعداً أساعدكم على قتل تبسع ثم أن
 العجوز طلعت إلى عند تبسع والرمال بين يديه وعمال يضرب الرمل لأن العبيد
 أخبروا تبسع بما شاهدوا وكذلك العجوز أخبرته كما أخبروه العبيد فقال تبسع
 يا عجوز الرمال كذاب قالت أن الرمال عبي من أكل الثوم والبصل فأمر الملك
 بصرب عنقه وراحت روحه إلى الزادى الآخر وتقدمت العجوز إلى الملك
 وأشارت توصف حسن الجليلة وما أعطاهما الله من الحسن والجمال :

تقول العجوز التي شاهدت	ملحة تريح العنا والصدود
يا أمير تبسع يهنئك فيها السعد	وأقبل الخسير لك والسعود
أتوك بني قيس أهل السباح	وجابوا لك الخيل ثم النقود
وجابوا الجليلة لشخصك حليلة	بخدين حمر وعينين سود
وقامة طويلة كعود القنا	فوق الكتاف ترخي الجعود
بشعر طويل وشعر كحيل	بلا جرميل تصيد الأسود
حواجب كما قوس ترى الهزوم	وذات حزام الذهب على النهود
وذات شتاف رفاق نطاف	عقائل طرايف تزيل النكود
ولها وجه كبدر بليلة قدر	وجنات حممر كما الورد
وجسم رقيق ورقيق رقيق	وسنان لولو سبت الورد
لها عنق كعنق الغزال	وطوق الذهب يوقد وفود
كتاف كالعاج مثل الزجاج	والنقش موج فوق الزنود

وكفين أطرى من الناعمين
وصدر كاللوح خلقه الإله
وأعطاني وأرداف مثل العجين
أما الحجول تزيل العقول
لأما القلائد مناسلي ذهب
وطبوسها ملينح حرير مقصب
وان شافها رجل عابد فقيه
قد زينوا بني قيس لك عروساً
للملك حقاً قد أحضروا
قارسل وراها وخلي الحمال
وادخل على بنت مرة وكن

من قد حواما ينال السعود
وقد زين الصدر جوز النهود
خلق الإله مهيم ودود
حب الطرف يطفى الصدود
من الرأس مكعوب مثل البنود
مطيب بمسك وزهر وعود
غدا العقل منه شارد شرود
تجلى لأجسالك كل هم وكود
مليحة خللها يزيل النقود
واسمع كلامي واجلي الصدود
لطيفاً بقطف ثمار النهود

(قال الراوي) فلما فرغت العجوز من كلامها والمالك تبسع يسمع نظامها
فراح عقله من وصف العجوز ونادى على الوزير يأمره أن يحضر الجليلة
بالتبجيل والتكريم وخلفها السراري بمركب عظيم فدخلت على تبسع وكان جالساً
على كرسي المملكة وعلى رأسه تاج من الذهب الفاخر مرصعاً بأنواع الجواهر
فسلمت عليه ووقفت بين يديه فرد عليها السلام وآنسها بالحديث والكلام وقال
لها أهلاً وسهلاً بالسيدة الكريمة والدرة التي ليس يقدر لها قيمة ثم أجلسها
بمكان قريب منه وترحب بها غاية الترحيب وقد انبهر من فرط جمالها وعذوبة
الفاظها وفصاحة مقالها لأنها كانت متصفة بالآداب ومن أجمل نساء العرب
فأخذ المالك يسألها عن أهلها وعشيرتها فقالت له بكلام الدلال أعلم أيها المالك
المفضل أن اتصالي بجانبك وتشريفي بساحة بابك جعل لقبيلتنا اسماً كبيراً وذكرآ
بين الناس شهيراً كيف لا وأنت ملك هذا الزمان والجوهر الثمين في هذا الأوان
الله يحفظك لنا ويبيحك وينصرك على جميع حسادك وأعاديك فإن كنت تعظم
شأنى وترفع مرتبتي على أقراني لا تترك أبي وأعمامى وسادات أهلي وأقوامي بعيد
عن فضلك ولا حسانتك لأنهم قد صابوا من جملة أتباعك وأعوانك فأمر لهم
بمكان ينزلون فيه وأمر بصناديق جهازى وباقي الأحمال تحضر إلى هنا في الحال
لأنها مملوءة من التحف والجواهر والقماش ومع كل ذلك فنحن أولاد عم .

(قال الراوى) فأمر تبع وزيره نهبان يذهب فى جماعة من الإغيان ويعدى إلى الأمير مرة أبى الجلييلة ومن معه من بنى عمه قصرآ من القصور الجميلة وأن ينزل ببقية الفرسان فى غير مكان ويقدمون لهم الطعام والشراب وما يلزم من الثياب فأجاب الوزير بالسمع والطاعة وفعل كما أمر مولاه من تلك الساعة وبعد أن نفذ الوزير الأمر ووضع الصناديق فى داخل القصر التفت الملك تبع إلى مرة وقال له يا عسى ما بقى من بعدى إلا أنت من مقامى فإن غبت أنا تكون أنت حاكم مكانى ثم أنه قرب به إليه وأخذ يترحب بالجلييلة ويقول :

يقول التبع الين الكبارى أنا يا قيس زال الهم عنى
ألا يا مرجبا يا أمير مرة أنا منكم وأتم اليوم منى
سترى لولا الجلييلة لى تعانب وجابت لى الحسب والنسب منى
فما علمت أنا يميننا وقيسنا بنى جدين أخوين بظنى
فلا تعتب على بقتل أخيك ما قد صار ما بالعلم منى

(قال الراوى) فلما فرغ تبع من كلامه والحاضرين يسمعون نظامه أخذوا بالكأس والطاس وقال للجماعة حلت البركة فيكم ففعدت تشرب معه المدام وشرب الملك تبع إلى أن سكر وغنت البنات ورقصت فقال تبع للجلييلة يا سيده الملاح وكوكب الصباح قد أجرينا المطلوب طبق المرغوب فهل لك غرض آخر تقضيه حتى نفعل ما ترغيته وتشهيه وكانت الجلييلة تخول أفكارها لأجل أن تستدعى كليب إلى عندها وقد سمعت صوته عند القصر وهو يصرخ من جوانب القصر لأنه راكب على فرسه انقصب ويده دبوس من الخشب وكان يرقص فى البستان وينتقل من مكان إلى مكان فقالت نعم أيها السيد لما جد باقى لى غرض واحد وهو أن لى نديم اسمه قشمر لا يوجد مثله بين البشر حلو الصفات سريع الحركات يضحك بالأحجار بأفعاله ويزيل الهموم بغرائب أعماله قد أحضرته هذه المرة فى خدمتى اليسلقى عند حزنى فإن حسن لديك أمر أن يدخل إليك ويلعب بين يديك فيزداد سرورك وانشراحك وتزول أحزانك واتراحك فضحك من كلامها وأجابها إلى مرادها وأمر الخدم بإدخاله ليرى طرفاً من أعماله وعند وصوله إلى باب الإيوان فطر السلسلة التى ذكرها العابد نعمان فامتنع عن الدخول وأخذ يتكلم بكلام مجهول ويقول ما هذه الجملة التى أراها وأنا خائف من شرها وأذاها فقال ادخل وما عليك

من يامى قهاى إلا سلسلة من نحاس فأبى وامتنع وهو يظهر على نفسه الخوف والفرح ولما طال المطال التفتت الجليلة إلى تبع في الحال وقالت له بكلام الدلال لا أعلم أن قشمر من أخوف البشر فإن حسن لديك ولم يصعد عليك أمر الخدام والحجاب برفع السلسلة عن الباب فرفعوها وأتوا بقشمر إليه فلما صار بين يديه سلم عليه ودعا له بطول العمر والبقاء ودوام العز والارتقاء وأخذ كليب يعزح أمانه ويلعب بسيفه قدامه وهو في تلك الثياب التي ذكرناها والصفة المضحكة التي وصفناها فكان تارة يبحلق عينيه ويرقص الأرض بيديه ورجليه وتارة يقول أين الفرسان الفحول وأين أبو عطبول وأحياناً يرقص ويضحك بلا سبب وهو راكب الفرس القصب ويسوقها بذلك الدبوس الخشب كان من أعجب العجب فاندھش تبع من أعماله واستغرب من أحواله وأقواله .

ثم قال للجليلة والله يا كاملة المعاني وشريكة عمرى وزمانى لقد أصبت في منادمة هذا البهلول الذى يدهش بأفعاله العقول فإنه من كثرة هزله وخفة عقله حميل الصورة فصيح الخطاب سريع الكلام والجواب فقالت له صدقت فيما نطقته فيأتني لم أن رجلاً مثله بين الأنام في الزلاقة وفصاحة الكلام ومتى بقى عندك عشرة أيام يقوم بنمادمتك حق القيام ويدعوك مشروح الخاطر على طول الزمان ثم قال قشمر وهو كليب للتبع حسان إن كنت تريد أن تطرب الآن فأمر سيدى الجليلة أن تننيك بأبيات من الشعر فإن صوتها مليح ولفظها فصيح فقال لها هل تحسنين التناء يا سيدة النساء فقالت أى وأبيك فإن كنت تريد منى أن أغنيك وأطربك وأسليك فأمر قشمر أن يقفل الباب لئلا يسمعنا أحد الخدام والحجاب فاستنصب كلامها الملك تبع وأمر قشمر أن يقفل باب المخدع فقفله وعاد بالمجل وقد أيقن ببلوغ الأمل وانشدت الجليلة تقول من فؤاد متبول :

لقد قالت الجليلة بنت مرة شربت الخمر ما بين الأماره
شربنا الخمر في كأسات جوهر فزال العقل واصبحنا سكاره
بحضرة تبع الملك المسمى بحسان إذا ما شن غارة
وقد أمسيت في تبضعه يديه ومن حبه شعل قلبي ناره
ألا يا حارس البستان صنه وإن فرطت الطير طاره
(قال الراوى) فلما انتهت الجليلة من هذا الشعر والنظام زاد بالتبع الوجه

والفرام وسكر من غير مدام وقال مثلك من تكون من النساء فقد زاد سرورنا
في هذا المساء فلما رآه زاد به الطرب وأخذ يرقص أمامه ويلعب بالسيف الخشب
فقال له تبع عيب عليك يا قشمر أن ترقص بهذا السيف أمام الملك الأكبر فقال
اعطيت إذن حسامك وأنا ألعب به أمامك فقالت له الجليلة بحياقي عليك أن تبلغه
الأرب وتعطيه ما طلب فأبى ترى منه العجب فأمره أن يدخل إلى قاعة السلاح
فيأخذ السيف ويرجع بالعجل فأجاب كليب وامتل وكانت الجليلة أرمت إليه أن
يسرع في العمل وعند دخوله إلى ذلك المخدع وجد سلاح تبع قلبس الدرع وتقلد
بالسيف ووضع الخوذة على رأسه وخرج بالعجل كأنه قلة من القتل أو قطعة
فصلت من جبل بعد أن فتح تصاديق الأحمال وأخرج الفرسان والأبطال فقروا في
ساحة الدار وقاموا له بالانتظار وكان قدسل الحسام من غمده وهو يهزه في يديه
ثم دخل على الملك وقد أحمرت عيناه وتذكر آياه فصال وجال ولعب بالسيف كما
تلاعب الأبطال في ساحة القتال وبعده تقدم وهم عليه فعرفه حينئذ الملك تبع وقد
انقطع من الخوف وأيقن بالهلاك والقلعان فقال بالله عليك يا سيد الشجعان
وفارس الميدان أن تعفوني وتسمح عما فرط مني فقال لا بد من قتلك كما قتلت
أبي وأكون قد أخذت ثاري وبلغت أربي فقال تبع إذا كان لا بد لك من هذا
الشأن فأمهني ساعة من الزمن حتى أفيدك عن جميع الأمور والأحوال التي تحدث
إلى آخر الأجيال فقد اتضح لي الجبال ووقعت في شرك العقال ثم أنشد وقال :

الملحمة الكبرى للتبع حسان

يقول التبّع الملك اليماني	يهيب النار تشعل في فؤادي
أمير كليب يا فارس ربيعة	ويا حامي النساء يوم الطراد
أريد اليوم أن اعلمك شيئاً	لتعرف حال أخبار العباد
فموسى كان في الدنيا نبياً	له التوراة أعطت للرشاد
وداود النبي قد جاء بعده	يبشر بالزبور أهل الفساد
وعيسى ابن مريم جاء أيضاً	بإنجيل الخلاص لكي ينادي
بني لم يكن في الناس مثله	لأن الله اختاره يفادي
حكم ميت بكلمته أقامه	وسقّوم شفاه من الأمراض

وعندي قد تبين باللاحم
وبعد شاعر تنزل عليكم
وأنت برج جسام مستطعن
وتكتب بدمائك على البلاطة
ويأتي أبو ليلى المهليل
ويظهر كل جبار عنيد
وتأخذ للجليلة لك قرينة
ويظهر لك غلام بعد موتك
يقتل إلى جسام خاله
وشيف ذو وزن بعدك سيظهر
ويبقى ملكه سبعون عاماً
ويظهر له ولد يدعى بدمر
فيملك في بلاد الشام بعده
وبعد يظهر المدعو بعتر
وبعد يظهر الهادي محمد
وأصحابه معه عشرة كوامل
أبو بكر وسعد مع سعيد
وعثمان مع عمر وعلى
يموت الهاشمي ويصير خلف
أبو بكر يموت بلسع حية
على بالسيف يرديه ابن ملجم
ولا يعرف له قبر محقق
وتختلف الصحابة على الحكومة
وبعد بنو أمية سوف تحكم
ومن بعده بني العباس تحكم
وبعد الخوارج سوف تظهر
يقيموا الشر في كل الأراض

بأنك قاتل دون العباد
وتفتن بين قيس في البلاد
وعندي يذبحك بين الجناد
لمن بعدك لتشتيت الأعدى
فصلى الحرب في كل البلاد
يضرب بالسيف في يوم الجلال
وتحظى بالمسرة والمراد
يسمى الجرو قهار الأعدى
وأما الزير تقتله الأعدى
وتصحبه السعادة في العباد
وبعد ذلك يطوى في الرهاد
شديد البأس مرفوع العاد
يحبب الماء من أقصى البلاد
يهين الضد في يوم الطراد
يقيم الدين ما بين العباد
كرام الناس سادات البلاد
وطلحة والزبير ابن الجياد
وعامر مع حسين أهل الرشاد
على الأحكام بعده بالعباد
وبعد عمر يقتل بالطراد
يتما انتشى بين الولاد
على وجه الثرى بين العباد
ويحكمها حسين بالبرادى
وأولهم معاوية ابن عاد
سنين كثيرة بين العباد
فواطمة للفواحق والناد
ويلوا الأرض طرا بالفساد

وتظهر من بلاد الشرق حصبة
 هلال وعامر مع آل فيس
 حس أمير غر البرايا
 وأبو زيد ابن عمه ليث أروع
 يطوفون البلاد فيملكوها
 ويمحوا العجم مع كل طاغ
 وقبرص والجزائر يملكوها
 شبيب التبعي بالشام يقتل
 وسركيس بن تاذب صرف يقتل
 كنا فرمند مع مصر العدية
 وبعده يظهر الأشطان ظالم
 بنو أيوب تظهر بعد منه
 ويظهر ابن عثمان للمساعد
 ملوك الأرض تخشى من لقاهم
 عداد ملوكهم عشرة وعشرة
 ويظهر تمرلك من الأعاجم
 ويظهر بعده ملكاً قوياً
 طويل الجسم ذو همة عالية
 يقيم السيف في الأقطار عمداً
 ويظهر فارساً يدعى قطيعة
 ويظهر بعده الدجال حقاً
 يطوف الأرض من شرق وغرب
 ويظهر ضد المهدي شريعاً
 فهو عيسى المسمى ابن مريم
 وبعده دابة تظهر شريعاً
 وتار من عدن تظهر وتستطع
 وبعده الشمس تظهر من مغيب
 ويأجوج ويأجوج جميعاً
 فيقصد جيشها عرب البلاد
 يزيد وحرب حير مع أياد
 وبعد ديار قهار الأعادي
 شديد البأس في يوم الطراد
 ويسبون العداد أهل العناد
 بأرماج وأسياف حداد
 وبدريس الخراعي والأعادي
 وترك جيشه فوق الحداد
 بسيف دياب قهار الأعادي
 ستخرب دورها بين البلاد
 خيث الأصل من قوم شداد
 ينمون الذين من بعد الفساد
 بأرض الشرق ويحكم بالعباد
 لأن جيوشهم مثل الجراد
 وتسعة بعدهم دون أرياد
 وجنكزخان من قوم كراد
 يثير الفتن الحرب في كل البلاد
 له إسمين من ظاهر وبإدى
 ويجري الدم في كل البواد
 فغتر سنين يظلم العباد
 فتبته الوري أهل الفساد
 ويفعل معجزات في البلاد
 ويسطع نوره في كل وادي
 فيقتلك ويملك في البلاد
 فتفعل معجزات في البلاد
 فتشكوا الناس من هول النكار
 وتزداد الخلاق في الفساد
 تحيط وجاهلهم كل البلاد

فلا نهر الفرات لهم يروى ولا سيحون والدجلة المدد
ويغشى الأرض موتاً يا كليباً وجوع وقتل في كل العباد
ونيران تهم الأرض طراً على أغلى الجبال وفي كل واد
وبعدده يغلق باب المراسم وباب الشر يفتح باقتصاد
فلا يصعد ولا يأتي جواثي فذاك الوقت يحترق العباد
وبعدده يظهر من جهنم وينفخ ریح من أقصى البلاد
يموت الخلق منه ليس يبقى سوى الرخن خلاق العباد
وبعدده يظهر الديان حقاً إله العرش ديان العباد
فعندى الجفر قد أخبر مؤكداً بما أخبركم دون ازدياد
واسمع يا أمير كليب منى حقايق قصتي وافهم مرادى
ولا تفرح عن حالى وضعفى أجرنى يا مملك واطلق قيادى
واعلم يا أمير إني عتيقك منى عمري إلى يوم الميعاد

(قال الراوى) ولما فرغ الملك تبع من هذه الملحمة وسمع كليب ما فيها من الأخبار
المتقدمة والمتأخرة تعجب غاية العجب وقال لست أعف عن قطع رأسك وإخماد أنفاسك
الآنك اقتريت وظلمت وتعديت ثم أجابه بهذا القصيد على سبيل التهكم والتهديد

يقول كليب قهار الأعادى كلام أشد من ضربة الهنادى
أنا قد صرت هذا اليوم حاكم أنا فى السعد مع نيل المراد
أيا تبع إلينا قد جيت عاجل قتلت أبى وخربت البلاد
فما أبقيت قيمة الأمانة وقد البستهم ثوب السواد
هتكت الأرض يا تبع بفعلك وصيرت الأنام لك أعادى
جعلت رجالنا تشبه نسانا وأذلت الأمانة فى البلاد
فوالله ثم والله ثم والله إله خالق كل البوادرى
فلمست براجع عن قطع رأسك ولو ملكتى كل البوادرى

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير كليب من كلامه وفهم تبع خوى قصده
ومرامه قال بالله عليك أيها السيد المحترم أن تعفونى وتجملنى من الخدام فقال كليب
لا بد من قطع رأسك يا مهان ولكن أسألك كيف قتلت أبى غدرأ وبالميدان
فقال تبع إذا كان لابد لك من ذلك يا فارس المعارك فأبهرنى ساعة حتى أخبرك عن
قتل أبىك وأتودع من هذه الدنيا قليلاً ثم إنه أبدى حزناً وعريلاً وأشار يقول
من فراد متبول وعمر السامعين يطول :

قال الملك تبع حسان
يا ابن ربيعة يا مخدوم
طويل الباع بيوم نزاع
تسألني عن قتل أميك
فلما جيت لأرض الشام
أتاني كل أكار قيس
إلا أبوك فقد خالف
فزاد الغيظ بوسط القلب
وهذا بأمر الله مكتوب
وأنا بقيت بهذا اليوم
أريد العفو عما جفيت
إني كنت زعيم القوم
فلما أتاني وعد الله
دعني الجليلة بالخيلة
وهذا أمر الله محتموم

ظلمني دهرى دون الناس
أنت أمير شديد للبأس
عفيف شجاع ثقیل الرأس
فكل بناءة لها أساس
أتى للقانا كل الناس
وكل أمير لدى بأس
ولم يفعل كباقي الناس
أمر بشنقه للحراس
فوق جبينه بأعلى الرأس
وحيد فريد بلا إبناس
بحياة عمك مع حساس
وحكمى نافذ بين الناس
بطل اعزم وظنى حاس
ونأت حتى كل الناس
وأمره نافذ فوق الناس

(قال الراوى) فلما فرع تبع من هذا الشعر والنظام قال له كليب لا بد من قتلك
يحد الحسام حتى ترتاح الناس من شرك وتأمين عاقبة غنوك ثم ضربه بالسيف على
حافته خرج يلعب من علاقه فيقع على الأرض قتيلاً وفي دمه جديلاً فلما رآته
الجليلة قد مات زادت بها الأفراح واعتشقت ابن عمها وقبلته وقالت له مثلك من
تكون الفرسان ياليت الميدان فشكرها كليب وهماها بسلامتها وزادنى إعزازها
وكرامتها ثم خرج من المجدع وأعلم الفرسان بقتل الملك تبع وقال لهم لقد بلغنا
المراد فكونوا على حذر واستعداد لا متلاك البلاد فقالوا نحن بين يديك ولا نبخل
بأرواحنا عليك ثم وضع رأس الملك على رأس السنان وخرج الأبطال والفرسان
وطافوا فى شوارع البلدة وضربوا من وجدوه بالسيف المهند وهم يقولون عن فرد
لسان هذا رأس سيدكم حسان فقد عدمناه وقتلناه وأرحنا الناس من شره وبلاه فمن
حصى هلكناه ومن أطاع أبقيناه فى قيد الحياة وله منا الأمان على طول الزمان .

(قال الراوى) فكانت أكثر أهل الشام تكره التبع لظلمه وجوره وتمنى
إلا كة فاجتمعت العساكر والأعيان وطلبوا من كليب الأمان وإنهم يكونوا له

من جملة الرعايا والغلان على طول الزمان فأجابهم كليب إلى ذلك الطلب ورفع
م عنهم السيف الأحذب ووعدهم بالجيل والخيرات وسمح لهم بخراج عشر سنوات
فدعوا له بطول العمر وداوم العز والنصر ثم اجتمعت بنو مرة وأكابر العشائر
وقواد العساكر والبسوة تاجا مرصعا بالجواهر ثم أجلسوه على كرسي المملكة
وجلس بقربه وزير الميمنة وهو ثبهان وزير التبغ حسان ووقفت أمامه الحجاب
والأمراء والنواب في حكم معاملة الناس بالجود والكرم ومنصفا المظلوم من ظلم وفي
الليلة الثانية اجتمعت سادات القبيلة وزفوا عليه ابنة عمه الجليلة وقد كنا ذكرنا
في أول السيرة عن أوصاف هذه السيدة الخطيرة وما احتوت عليه من الحسن والجمال
والفضل والكمال فاعتنقا اعتناق الأحباب وزال عنهما الغم والاكتئاب وباتا في
حظ وانشرح إلى وقت الصباح وفي اليوم الثاني وردت إليه المدائح والتهاني
واشتهر ذكره في البلدان وهابته ملوك الزمان .

(قال الراوى) وكانت الجليلة قد طلبت من كليب أن يبني لها قصرا من أجل
للقصور وينشئ فيه بستان يحوى جميع أنواع الزهور فأجابها إلى ذلك ووعدده
ببناء قصر لا مثيل له في جميع الممالك ثم إنه نزل إلى الديوان وجميع الوزراء
والأعيان وأعلمهم بذلك الشأن فقال له الوزير ثبهان اعلم يا ملك الزمان أنه لا يوجد
في هذه الأيام من يقدر أن يبني لك ذلك القصر طبق المرام إلا معمر المختص بالريان
ملك مصر لأنه هو المشهور ببناء القصور الحسان وهو الذى عمر قصر تبغ حسان
فارسل كليب واستدعاه إليه ولما حضر بين يديه قبل الأرض وسلم عليه فقال له
كليب أريد منك أن تبني لي قصر من القصور الحسان لا يوجد مثله في جميع
المدن والبلدان ويكون له جنينة جميلة المنظر تحوى على جميع الأشجار والخضر
فإن أتقنت الصنعة طبق المرغوب نلت المقصود والمطلوب فأجابه بالسمع والطاعة
وباشر في بناء القصر في تلك الساعة .

(قال الراوى) ولما اشتهر قتل تبغ في اليمن تواصل الخبر إلى صنعاء وعدن
فهاجت الرجال وكثر القيل والقال وكان للملك تبغ ابن عيم من الأمراء المشاهير
يقال له عمران القصير وكان شديد البأس قوى المراس فلما بلغته تلك الأخبار صمم
على غزو بنو قيس بعسكر جرار فجمع العساكر والجنود وفرق الرايات والبنود
وركب في مائة ألف مقاتل وجد في قطع المراحل قاصدا بلاد الشام بكل سرعة
واهتمام ولما بلغ كليب هذه الأخبار استعد للحرب والقتال وخرج للقائه بالفرسان

والأبطال ولما التقى الجيشان أمر كليب أن تقدم الفوارس إلى ساحة الميدان وأمره
 بنشطهم بالسكّام على قتال الأخصام فهاجت الشجعان وتبادرت للضرب والطعن
 وكان الأمير كليب أول المعسكر كأنه الأسد الغضنفر وعلى رأسه البيارق
 والسناجق ثم التقت الرجال بالرجال واشتعلت بين الفريقين نيران الحرب والقتال
 حتى عظمت الأهوال فلهذا الأمير كليب بطل الأبطال وما فعل في ذلك اليوم
 من الفعال فإنه همم هجوم الأسود وانطبق على العساكر والجنود بقلب أقوى من
 الجلمود فيادر فرسان الكفاح وخطف المهج والأرواح وما زال الدم يسدل
 والرجال تقتل إلى أن ولي النهار وأقبل الليل بالاعتسكار فافترقت العساكر عن
 بعضها البعض وباتوا في تلك الأرض وعند الصباح رجعوا إلى الحرب والكفاح
 فبرز الأمير عمران إلى ساحة الميدان فصال وجال وطلب براز الأمير والأبطال
 فأراد كليب أن يبرز إليه فأنعه حجابهم وقالوا أيها الملك أن فينا أبطالاً وفرساناً
 تستطيع أن تحاربه ثم برز إليه فارس من الصناديد يقال له ميمون بن الرشيد
 فالتقاه الأمير عمران بقلب أقوى من اللصوان ولم تكن إلا ساعة من الزمان حتى
 استظهر عمران وطمع ميمون بالرمح فوقع قتيلاً وفي دمه جديل فأخذ سلبه
 وحصانه ثم قوم سنامه وتقدم إلى معركة الحرب وقال أين فرسان الطعن والضرب
 اليوم تبارك الفروسية وتعرف شجاعة اليمنية والقيسية فبرز إليه آخر فأذافه الموت
 الآخر وما زالت تبرز إليه الرجال وهو يجند لها على ساط الرمال حتى قتل سبعة
 من الأبطال وكانوا من أكابر السادات قد اشتهروا في الحرب والغارات واستمر
 القتال على هذا المنوال مدة تسعة أيام وهم في إبراز واقتحام وفي اليوم العاشر
 خرج الأمير هزة لقتال عمران ولما صار في الميدان تقنطر عن ظهر الحصان فأدركه
 ابنه همام وجاء به إلى الخيام فعند ذلك برز إلى عمران الأمير حساس وصدمه
 بقوة قلب وشدة بأس غير أنه لم ينجح في قتاله ورجع عند المساء عربه ونزله
 فوقعت هيبية الأمير عمران في قلوب الفرسان والشجعان فاستعظم كليب ذلك
 بالامر واشتعل قلبه بلهب الجمر وقال ما لريد إلا عمر فإذا كان الصباح بارزته في
 معركة الكفاح لأنه طغى وتجبر وقتل منا كل أسد غضنفر وبات تلك الليلة
 وهو في غم شديد وقلق ما عليه من مزيد فأقبل الصباح ركب كليب الحصان
 واعتقل بالسيف والسنان ورز لساحة الميدان لقتل الأمير عمران الذي برز في

ذلك اليوم وهو ينادى أين الأبطال الصباديد لا يبرز إلا كليب المحتال الذي قتل
 الملك تبسع بالغدر والاحتيايل فأنتم كلامه حتى صار الأمير كليب قدماه وصدمه
 صدمة منكرة أشد من صدمات عنصرة فقال له عمران بمن تكون من الفرسان
 فقال له اعلم أيها التيس أني ملك على بني قيس فسوف ترى مني ضرباً يفك الحديد
 ويذهب أبصار الفرسان لما غدت تبسع بالحيلة مع ابنة عمك الجليلة فقال كليب
 أما علمت يا قرنان بأن الرجال عند أغراضها نسوان وإني ما قتلت الملك تبسع
 إلا لغدره وقلة حياؤه وكثرة شره فإنه قتل والدي وكان عوني ومساعدى وحق هذا
 الذي أوجب ذلك اليوم سألحك به وأسقيك كأس الماء فكأس عمران من كليب
 هذا الكلام اشتد بينهم الخصام فكانا تارة يتقدمان وتارة يتأخران كأنهما أسدان
 درغمان فانهرت من قتالهما الفرسان وأحدثت إليهما الأبصار من اليمين واليسار
 واستمرا على ذلك الحال إلى قرب الزوال حتى تعجب عمران من ثبات كليب أمامه
 لأنه كان يظن أنه لا يوجد في الدنيا من يقدر أن يقف قدماه فعند ذلك قاربه وفاجأه
 وطعنه بالرمح قاصداً هلاكه وفناه فغلى كليب من الطعنة فراححت خاوية بعدما كانت
 مصاية ثم هجم كليب وقال خذها يا عمران من فارس الميدان وإيث الحرب والطعان
 وضربه بالسيف على عاتقه خرج يلعب من علاقه فوقع على الأرض قطعتين وحان عليه
 غراب البين وبعد ذلك حملت العساكر على بعضها ونقاتلت بالسيوف والخناجر فكثرت
 القتل والجراح وجرى الدم وساح وزعقت النفوس والأرواح من ضرب السيوف
 وطعن الرماح وكان بعد قتل الأمير عمران تضعضعت من عساكر اليمين الأركان فولوا
 الأدبار وركنوا إلى الهرب والفرار فقتلهم كليب بالعسكر وقتل منهم أكثر من
 عشرة آلاف نفر وفتح غنائم عظيمة لها قدر وقيمة وما زال تابع آثارهم حتى دخل
 ديارهم ففرحت إليه أكابر البلاد طالبيين العدة والأمان فأجابهم كليب إلى ذلك الشأن
 وأرشدوا جميعاً إلى الشام بعد أن رتب عليهم خراجاً يدفعونه في كل عام فدخل القصر
 بالعز والنصر فاجتمع بابنة عمه الجليلة وباقي سادات القبيلة وطاب له الوقت وزال عنه
 المقت ثم بعد ذلك بعشرة شهور تم بناء ذلك القصر المذكور فكان من عجائب الزمان
 والأوان لأنه كان في غاية الإتيان ولا سيما البستان فإنه كان كفر دوس الجنان فيه
 من جميع الأشجار والفواكه والأثمار والمياه العذبة والزهور الكثيرة حتى أعجب
 كليب به وأنعم على بانيه وفرشه بالفراش الفاخر الذي يبهير النواظر ويحير
 العقول وجعل أبوابه وشبابيكه من ذهب ورصعها بأنواع الجواهر المختب

ثم نقل ابنة عمه الجليلة إليه وكانت قد ولدت سبعة بنات مثل البدور الطالعات
فربتهن بالدلال والعز والإقبال فاتفق له ذات يوم من الأيام أن زاره مرة ابن
أخيه كليب في جماعة من بني الأعمام وبعد أن دار بينهم الكلام قال مرة يا ابن
أخي كثرت عليك الرجال والأغنام لسبب كثرة المواشي والازدحام فرادى الآن
أن أرحل عنك بأنعمى ورجالي وباقي أموالى ولا شك بأننا في هذا الرحيل
والانتقال تتحسن بنا الأحوال ونحصل على راحة البال فقال كليب أفعل يا عمى
ما تحب وأنزل في أى مكان تريد قرب الديار فإن البلاد بلادنا ونحن ملوك الأفطار
(قال الراوى) فرحل مرة بقومه ورجاله ونوقه وجماله ونزل في واد كثير
النبات يبعد مسافة تسع ساعات وكان مرة قد شاخ وكبر في العمر فاقام الأمير
جساس على بنى بكر فكان يحسن إليهم ويحكم بالإلصاف عليهم فشاع ذكره واشتهر
أمره فكانت تقصده الشعراء والفرسان وهر يكرمهم ويخضع عليهم الخلع الحسان
ولم تكن إلا سنة من الزمان حتى صار يحكم على مائة وعشرون ألف عنان هذا ما كان
من أمر جساس وأما كليب الفارس الدعاس فانه كان في سنوح الفرص يخرج إلى
الصيد والقتل وكان له عدة إخوة كل منهم مشهور بالبروة والنخوة وكان من
جملتهم المهمل الملقب بالزير وكان جميل الصورة كأنه البدر وهو صاحب هذه
السيرة والوقائع المشهورة وكان في تلك الأيام ابن عشرة أعوام وكان في الشجاعة
كسبع الغاب لا يخاف من أحد ولا يهاب فصيح الكلام منعكفا على شرب المدام
وسماع الأصوات والانعام ينشد الاشعار البديعة ويأتى بالمعاني النفيسة الرفيعة وكان
كليب حبه لا يعترضه بأمر من الأمور بل يقابله بالفرح والسرور وكان الزير
يتباهى بشجاعته أمام أخيه وأنه لا يوجد في الفرسان ما يضاهيه فقال له كليب
في بعض الأيام أراك يا أخى مشتملا بالملاهي وشرب المدام فقلبك خال من الهموم
والأحزان كأنك لا تسأل عن تقلبات الزمان فمن الواجب أن نحسب حساب
العواقب لأن الدهر دولاب سريع الانقلاب إذا أضحكك يوما أبكاك سنة وليس
على أحد جميل ولا حسنة فقال المهمل مادمت أنت في الوجود وأنا في خير لا أحسب
حساب الغير ولكن إن جار عليك الزمان وأحاطت بك الحساد والخوان فانا أرد
عنك الاثقال وأجندل أمامك الابطال أنا الاسد الغالب فارس الكتائب والمواكب
أنا قهار الأعادى إذا نادى المنادى فتبسم كليب من كلامه وتركه مشتملا بشرب
تمداه وارتد راجعا إلى الديوان وقد راق له الزمان .



(الزير سالم وهو معالي ظهر الاسد)

(قال الراوى) وقد اتفق بعد ذلك بأيام أن أولاد مرة اجتمعوا مع بعضهم
في الخيام و ضربوا تحتاً من الرمل ليروا ما يحل سم وما يجرى عليهم ما يصيبهم
فبان لهم أن الأمير جسام لابد أن يقتل الأمير كليب ويظهر الوزير و يأخذ تارة
بدون ريب ويقتل منهم كل أمير وجبار وبعد وقائع تستحق الاعتبار فاعترافهم

القلق والكدر وأجمع رأيهم على أن يقتلوا الزير قيل أن يكبر ويحان من جملتهم
الأمير سلطان بن مرة فأنشدهم يقول :

على ما قال سلطان ابن مرة	ميد الضد في يوم الزال
تبين عندنا حساس يقتل	كليب بن ربيعة ولا ينال
ويأتى الزير بعده يا أماره	يشتت جمعنا بين الجبال
ويمحى ذكرنا من كل أرض	ويقتلنا ويسبي العيال
هلوا نقتله ونبيد اسمه	ونسلم من تصانيف الليالي
فيلزم أن تروح إلى الجليلة	وتعلمها على ما قد بدالى
فهذه أخنا ليست غريبة	فتسغفنا على نيل الأماني
جليلة عارقة في كل فن	وتعرف في الزيارج والرمال
فقوموا كلنا نذهب إليها	ونقضى شغلنا قبل الوبال

فلما انتهى السلطان من هذا الشعر والنظام وسمعه الأمير حساس ومن حضره
من أبناء مرة الكرام استحسنته جميع القوم وركبوا من ذلك اليوم وخرجوا من
القييلة قاصدين أختهم الجليلة وكانوا ثلاث وأربعين ولدا ذكر كل منهم أسد
غضنفر ولما وصلوا إليها دخلوا وسلموا عليها فتلقتهم بالترحاب والاكرام
وأقاموا عندها ثلاثة أيام ثم قالوا لها عن فرد لسان قد ظهر لنا في الرمل بأنه
يظهر للزير شأن وأى شأن فيقهر الابطال والشجعان ونهاية ملوك الزمان ويعاملنا
بالجور وسوء الادب وتخط منزلتنا بين ملوك العرب فاتفق رأينا على قتله قبل
أن يكبر وأتينا لنعلمك بالخبر فما هو رأيك في هذا الامر المنكر فقالت إذا
قتلتموه فينكشف الامر ويأخذ كليب بثاره منكم فيزداد الشر وما دام الامر

كذلك فأنا أجمل كليب يلقيه في الممالك ثم أنشدت تقول :

مقالات الجليلة بنت مرة	تعالوا إخوتي اصغوا لقول
تريدوا قتل أبو ليلى المهمل	أخوه كليب خلفه مثل غول
ومن خلفه غدير وزير قان	سباع الغاب في يوم المهور
لوس وأربعين بنو أبيه	يجوكم راكبين على الخيول

(م ٣ - الزير سالم)

وتركب خلفكم كل الفوارس فوارس تلقب مثل الفحول
ولكن سوف أرميه بحيلة تحير كل أصحاب العقول
ووقى كليب يقاتله بيده ويجعله طريقاً على السهول
(قال الراوى) فلما فرغت الجليلة من شعرها ونظامها شكرها اخوتها على
حسن اهتمامها وركبوا ظهور خيولهم وراحوا في حال سبيلهم فصبرت الجليلة
إلى وقت العصر حتى حضر كليب إلى القصر وكانت قد شقت جميع ما عليها من
التياب وأظهرت الغم والاكتئاب فلما رآها كليب على تلك الحال تغيرت منه
الأحوال لأنه كان يحبها محبة عظيمة ويودها مودة جسيمة لحسنها وجملها ودلالها
ولا سيما أنها ابنة عمه ومن لحمه ودمه فقال لها علامك يا جليلة مالى أراك في هذه
الوبيلة فسكت من فؤاد مقبول وأجابته بهذه الآيات تقول:

مقالات الجليلة بنت مرة	كليب أنت قيدوم المرايا
وتحكم في القبائل والمشائر	وفي كل المدائن والقرايا
وحكمك نافذ في كل أرض	وتخدمك الملوك مع الرعايا
وإني بنت عمك يا مسمى	ومثلى ليس يوجد في البرايا
أتأتى الزير أخيك في غيابك	يريد فضيحتى بين الصبايا
قبضت عليه من عنقه فولى	وراح يسرعه فوسط الخلايا
ألا يا أمير قل كيف تعمل	فاقتله وأرده المنسايا
وإن لم تقتله حالا فإني	أروح اليوم من وسط النجايا
وتبقى الناس تشتم في قفايا	وتبلى بالدواهي والرزايا
وهذا الأمر لا يصلح لمثلك	كريم الأصل عكاز المطايا
فاقتله واخلص من بلاه	ولا تخشى أنام ولا خطايا
فقتل الزير أصوب من حياته	لأنه خائن دون البرايا

فلما سمع كليب منها هذا الشعر والنظام غاب عن الصواب وأرسل أحد
الرجال ليأتيه بأخيه الزير في الحال فذهب الرسول واستدعاه فامتنع عن الحضور
لأنه كان في ذلك الوقت يشرب الخمر.

(تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث)

الجزء الثالث

من قصة الزير أبو ليلى المهمل

وجلسائه وهم في فرح وسرور فرجع الرسول على الأثر وحدث الأمير كليب بذلك الخبر فازداد كدر على كدر وأرسل الرسول إليه ثانيا فاحضر فعند ذلك سار كليب إليه وقد عظم الأمر لديه فلما دخل عليه نهض الزير على قدميه فسهبه كليب وشتمه وضربه حتى آلمه ثم نزع عنه ثياب الحرير حتى صار معيرة للكبير والصغير وأرسله مع الرعيان ليرعى النوق والجمال ورجع إلى الجليمة وأعلمها بما فعل مع أخيه المهمل فلما رأت أنها لم تبلغ الأمل زادت غما وكدرا وأخذت تدبر على هلاكه بحيلة أخرى فقالت ذات يوم لكليب أما تحشى من الهتيكة والميب أما في رأسك نخوة وتاموس من جهة أخوك المهان المعكوس فقال لها ما معنى هذا الكلام وما هو المراد بهذا التوبيخ والملام قالت بلغنى من بعض الغدان الذين تدورون مع الرعيان بأنهم فعلوا مع القبيح وأنت جالس مستريح ليس عندك علم ولا خبر وقد تحدث فيك جميع البشر ثم شرحت له واقعة هذا الشعر والمقال

تقول الجليمة يا محفوظ	أتانى علم بحال أخوك
وشاع العلم بكل القوم	غنى الناس مع الصعلوك
وصار الناس بقليل وقال	وكل البدو عليك ضحوك
أنت أمير كبير القوم	وقيس وحمير قد هابوك
فكيف يكون أخوك الزير	وقومك من أهله يحافوك
كيف يقالك رأس يقوم	والرعيان لقد عابوك
فاقتر أخوك في سيفك	ولأقومك قد لاموك
فكل العالم تحكى فيه	يقولوا الزير بقى مهتوك
فهذا الأخ ومثله ألف	في يوم الضيق فما عانوك
أخاف يقولوا كل أهله	مثله والعالم يشكوك

فلما فرغت الجليمة من هذا الشعر ووقفت كليب على حقيقة الأمر التهب فؤاده واضطرب من شدة الغيظ والغضب وأخذته الحمية وعصفت في رأسه نخوة الجاهلية وقد سمع النية على أن يقتل أخوه ويسقيه كأس المنية فقالت الجليمة لا تقتله يا أمير

لأن كلام الناس كثير فالأوفق أن تأخذه إلى وادي العباس وهو مكان منقطع عن
الناس كثير النور والأسود فتقتله هناك وتعود فتقتله الوحوش والأسود
وتخلص من كلام العباد فقال هذا هو الصواب والأمر الذي لا يعاب ومن وقته
ركبت ظهر جواده واعتد بآلة حربه وجلاده واستدعى الزير إليه فلما تمثل بين
يديه قال له مرادى أن أذهب للصيد والقنص لأزيل ما يقبلي من الغصص فسرأ ما
قامتله أمره وسار وجد في قطع البراري والقفار حتى وصلا إلى الوادي المذكور
وهو مكان مهجور وما زالا سائرين حتى صارا في وسط ذلك المكان وإذا بجواد
كليب قد شجر ونخر وضرب الأرض وتأخر وإذا بسبع من بطن الوادي قد
ظهر فلما رآه الأمير كليب هجم عليه بالجواد ورماه بالرمح فاخطأه فقتله الأسد
فانهزم كليب من أمامه خوفا من الغضب فلما رأى الزير أخاه قد هرب تقدم نحو
الأسد بقلب أقوى من الحجر وطعنه بخنجر كان معه فقتله نصفين فأخرج قلبه
فأكله وصاح على أخيه ارجع يا أخي ولا تخاف فرجع كليب وهو يتعجب من
أفعال الزير فنزل عن ظهر الحصان وقبلة بين عينيه وصفا له قلبه وقال في جبره من
يكون له أخ مثل هذا ويفرط فيه وإن عاش هذا الغلام يكون من عجائب الزمان
ثم رجع وإياه فلما رآته الجليلة قالت لماذا ماقتله فأخبرها بواقعة الحال وكيف
أنه قتل الأسد والذي يكون مثله لا يستاهل القتل بل يجب له الإكرام ثم أشار يقول

شديد البأس ذو عزم رجيع
وفي طريق السكرم ماني شجيع
ألا يا صاحبة الوجه الملبح
يشيب لها الطفل الطريح
فصار الزير من خلفه يصيح
نعماد الزير واقف مستريح
فغار عليه كالسبع الجريح
والقاء على العنبر طريح
علمت بأنه فارس رجيع
نوصحت عليه في قول ملبح
فأنت اليوم أدلى بالمديح

يقول كليب من صفوة ربيعة
كريم الأصل سلطان متوج
ألا يا بنت غمي يا جاييلة
نظرت اليوم من سالم فعالا
لقاني السبع من خلفي وزبحر
فبكر السبع نحو الزير هاجم
ولما قد دنا منه وقارب
طعنه الزير بالخنجر فقتله
فلما شفت هذا الفعل منه
رجعت إليه من فرحي سريعا
مهمل يا مهمل يا مهمل

(قال الراوى) فلما فرغ كليب من شعره زاد كدر الجليلة وقالت له وهى تبكى مادام الامر كذلك فإني سأذهب نهراً غداً إلى بيت أهلى وأعلمهم بما ظهر من الزير فى حقى فهم يقتلوه لأنى لست أأتمنه على نفسى إذا بقيت عندك لانه لا بد أن يغدر بى لأن عيونهم محمرة على وأنت بعد كل هذا ليس لك نخوة ولا ناموس فقال اذ كرى الله يا جليلة ودعينا من هذا فكيف أسمح بقتل أخى وهو من لحمى ودمى ولا سيما أنه شديد ومن أشجع الناس فإذا فلتته افتضعت بين العرب وتحدث فى الناس فقالت لا بد من قتله على طريقة غير هذه وهو أن نأخذه إلى بير حنديل السباع وتدليه بحبل على نية أن يفسل الماء وحينئذ تقطع الحمل فيسقط فى البير ويموت ولا يعلم به أحد وأشارت تقول :

ما قالت الجليلة بنت مرة	ودمعى فوق وجناتى غراره
أحوك الزير ما هو كثير فالج	بلعت مع وليدات الصمغاره
أحوك الزير شوفه مثل الضمبع	كما المجمعون يلعب بالحجاره
ياريته ما يشوف الخبير دائم	كأنه شبه ضبع فى معاره
يا ليت الزير يفتص من حداكم	ولا يبقى تظهر له خباره
ألا يا حيف هذا من ربيعة	وتعدوه بنات الأماره
ترى خمس خليفه مثل أهلك	أماره من أماره من أماره
يبقى الزير هو بدل فىكم	أينه لا يطلب من الحراره
فقل الزير أحسن من حياته	ولا تهتك ما بين الأماره
أقل هل ردى لا عاش عمره	وأهيفه فى حسامك مثل ناره
انت ابن عمى نور عيني	وشورى إليك ما هو فشاره
ما قالت الجليلة بنت مرة	ونارى عالق من ذى شراره

(قال الراوى) وكان كليب يحب الجليلة محبة عظيمة ولا كان يخالفها فى شيء فلما ألحت عليه وافقها على ذلك إكراماً لحاظها فنهض نائى الأيام وركب جواده وأخذ فى صحبته أخوه الزير ومائة من الفرسان وسار بهم إلى بير حنديل وعند وصولهم قال كليب ياسالم خيولنا قد عطشت فرادنا أن نزل ونسقيها وأنت نزل إلى البير فتملأ دلو فقال حباً وكرامة يا أخى فدلوه فى حبل وأخذ به إلى الأدلىق وهم ينشلوا ويسقوا حتى ملأوا الأرض الذى على باب البير وجاوزوا بالحبل ليسقوها

فترأى على بعضها البعض وأخذت بالصهيل والازدحام فمجز كليب وجماعته عن
ردماً على بعضها البعض فسمع الزير وهو بالبئر صهيل الخيل وجمعيرها فصرخ عليها
صوتاً مثل الرعد القاصف حتى ارتجت منه الوديان واضطربت منه قلوب الفرسان
جففت الخيل وتأخرت وانفصلت عن بعضها فلما رأى كليب ما فعله أخوه سالم
تمعجب غاية العجب وندم على ما فعل وفي الحال أخرجه من البئر وازدادت محبته
عنه ورجع إلى الديار فلما رآته الجليلة غابت عن الوجود من شدة الغيظ وقالت
السكيب بارك الله فيك أمكذا المفارقة فقال والله يا جليلة من كان هذا الفعل فعله
يحرم الله قتله ثم حدثها بما جرى وكان يقول وعمر السامعين يطول .

يقول كليب من شعر نفيس	قصيدة ما نظمه قط قائل
جليلة اسمي يا بنت عمي	أرى عقلك بهذا اليوم زائل
أقتله ليشفى اليوم قلبك	ومنه قد ظهرت لنا فعائل
سباع الغاب هابت من لقائه	كذلك الخيل صيرها جفائل
ثلاث ألوف يلقاهم بصدرة	من الشجعان فرسان القبائل
تقول اقتله وارتاح منه	فقولك ما هو قول عاقل
فإني لا أبيع بألف مثلك	ولو مهما جرى منه من فعائل
أرا في تطلي قتله سريعاً	فقولك به ليس له دلائل
فقولك يا جليلة قول باطل	فخاش الزير أن يتبع رزائل
فقل من كلامك لا تعيدى	أيا بنت الاماجد والأصائل

فلما فرغ كليب من شعره ونظامه وفهمت الجليلة مقوى كلامه اغتاظت في
الباطن ولسكتها أظهرت له السرور وقالت له إن قصدي امتحانك لأرى هل أنت
تحميه أو تبغضه لأنه فصيح اللسان ومن أشد الفرسان وأخذت تمازح كليب بكلام
التفاق حتى صفا قلبه وراق ثم لأنها صبرت مدة أيام وبعد ذلك أظهرت عن نفسها
لأنها مريضة فرقدت في الفراش وقالت لسكيب إن لي حاجة إليك ولا يقدر عليها
سوى أخوك الزير فقال وما حاجتك قالت أريد مقدار كاسين من حليب السباع
لأنه يقوى الأعصاب وأنا في غاية الضعف والعناء وقد وصفت دايتي هذا عا جلا
لمرضى وقالت إن هذا الدواء يأتي بولد ذكر وأشار تقول :

مقالات الجليلة بنت مرة كليب اسم لي يا أبا اليمامة

أنت اليوم ملك البوادي ياليت الحق بك يا أمير داما
وتحكم يا ملك شرقا وغربا من أرض الروم للكعبة دواما
وتحت يداك ألوف من العساكر وكم حاكم وكم فيه مقاما
وكم أبراج من ذهب وفضة جواهر تشرق جناح الظلاما
ولا لك طفل تحي فيه ذكرك سوى سبع بنات مثل الحماما
أتاني منك سبع بنات أتاني ولا جاني منك ذكر غلاما
وقالت دايتي لي يا جميلة معي لك علم يبري السقاما
لبان لبوي بصوفة احليمي تروحي في ذكر حامل قواما
فنادى الزير وأخبره سريعا أدام الله عمرك بالسلاما

(قال الراوي) فلما فرغت الجليلة من شعرها ونظامها صدق مقالها وأرسل
في الحال يطلب أخاه الزير فدخل وسلم عليه وقبل يديه وقال بقلب جشور أنا عبد
عامور ولا أخالفك بأمر من الأمور فاعلمه كليب بالواقعة وقال أريد منك يا أخي
أن تأخذ هذا الحق الصغير وتعلمه من حليب لبوة فقال على الرأس والعين ولكن
يا أخي اعطني سيف أنسلح به خوفا من هجوم السباع فقال كليب للجليلة أن تعطيه
السيف فقالت له ألا تستحي يا زير أن تطلب سيف وأنت في هذه الشجاعة فحجل
وأطرق رأسه وسار من وقته وساعته وقد تأكد أنها تريد هلاكه وضرره وما زال
يسير حتى وصل إلى غابة كبيرة كثيرة الأشجار والصخور وليس معه سوى سكين
وعصاه فيبينما هو ينظر من خلف وقدام وإذا بأسد قد ظهر وهو هائل المنظر
وعينه تدح بالشر .

فلما اقترب منه قبض عليه الزير ونشله بقوة ساعده وزنده ولوحه بيده مثل
المقلاع وخبط به الأرض فرض عظامه ثم نزل عليه بالعصا حتى قتله وأراد أن
يجز رأسه وإذا بلبوة قد أقبلت عليه ومن خلفها سبعة أشبال فلما رأت ذكرها
قدمات احمرت عينها فأراد الزير أن يلاعبها قليلا وقد علم أنها مغتظة فجعل نفسه
لأنه خائفا منها فركض من أمامها فتبعته وكان قد وصل إلى شجرة كبيرة فطلع إليها
وبقيت هي تنظر إليه وتهمهم ثم أقبلت أشبالها وجعلوا يرضعون من ثديها فوجد
الزير لها ثدي مثل الحق فقال هذا الذي طالبة مني أخي ثم أراد النزول فقال إن
نزلت تفسدني من رحلي ثم رمى نفسه من الشجرة فجاء راكبا عليها فقبض عليها

من رقبتهما والتمن رجله على بطنها بقوة شديدة حتى لم يعد لها مصيل أن تتحرك من مكانها ثم سحب السكين وهو يضحك عليها وينحرها كما ينحر الجرار الغنم وملا الحق من حليها وقطع رأسها ورأس الأسد بعد أن ربط أشبالها بالحبال وساقهم أمامه كالكلاب فلما أقبل إلى الحي ولاقته فرسان العرب وأصحاب المناصب والرتب واستعظموا ذلك الأمر واعتراه العجب وعند وصوله إلى القصر سمعت الجلييلة الضجة فطلت رأسها من الشباك فرأت الزير وهو مقبل على تلك الحالة فالتفت قلبها بفار الغضب لأنها كانت تظن أنه يموت وبهاك ثم دخل الزير على الجلييلة وكان كليب جالس معها فسلم عليها وأرى الرؤس أمامها وقدم الحق لامرأة أخيه وقال لها هل تجد شيئا آخر حتى أنفسيه فقالت بارك الله فيك يا سميع الرجال فإنك تستحق المدح والثناء وكان كليب لما رأى رؤس السباع تهجب من قسوة قلبه وشدة مأسه وقال له كيف فعلت وإلى أين وصلت فأشار الزير بقول :

يقول الزير فهزار المواقب	رما في الدهر في كل المصائب
فلا نسمع أخى قول الاعادى	لأن الضد شوره ليس صائب
يشوروا عليك في رأى وخيم	ليستقونك أخى كأس العواظب
فأهل العقل لا تسمع لآثي	لأن كلامها لاشك كاذب
فاعلم يا أخى في ما جردالى	بهذا اليوم في وادى الثعالب
وجدت سبيع وسط الغاب دائر	كأنه جانع للصييد طالب
فلما شافنى حالا أنانى	وكثر عن سنانه والخالب
فصحت عليه صيحة جاهلية	فتقدم يا أخى إلى هاجم وطالب
حزرت به بجنجوى فأهوى	على وجه الثرى للأرض قالب
أنتنى بعده لبوة مفيرة	فلما شفتها وليت هارب
رأيت أشبالها سبعة وراها	فداروا لجهنم من كل جانب
فلما شفتهم جاؤا لنحوى	طلعت لشجرة ذات الشناغب
فداروا حولها فرميت نفسى	فصرت لظهرها بالخال راكب
حزرت لرأسها وملئت حق	حلياً بعد أن نلت المأرب
ورأس السبيع واللوة قطعت	علامة للأعارب والآقارب
وسقت أولادها السبعة أمامى	فلما صرحت في وسط المصارب

فلاقطني جميع رجال قومي وحيثني الاقارب والاعاجيب
وهذا ما جرى لي في نهاري وما قاسيت من هول المصائب

(قال الراوي) فلما فرغ الزير سالم من شعره ونظامه وأخوه كليب مع الجليلة
يسمعوا كلامه فغضبت الجليلة من كلام الزير وكيف أنه لمح بشعره عليها فقالت
نحسرها لأبد لي أن أعمل على قتله وبعد ذهابه قالت لزوجها كليب كيف يعلم إن
مساعية في قتله ولم يكن عارف بما فعله معي فوالله إن الموت ألد عندي من الحياة فلا
بد لي أن أشق نفسي واستريح من جور أخيك القبيح ثم صارت تصيح وتبكي فقال
كليب اخزي الشيطان ودعينا من هذا الكلام الآن وأخذ يتلطف بخاطرهما ويقول
لها كم مرة ميناها بالانخطار وهو يرجع سالما كاسباً غاماً فقالت الجليلة مرادى أن
تسمع مني ما أقوله لك الآن ولا عدت نسمع مني غير هذه المرة وهو أن تجعل
نفسك مريضاً وترقد في الفراش فإذا أتاك أخوك الزير حتى يراك فتقول له أصابك
مرض شديد ووصف له الأطباء شربة من بئر السباع إذا سمع منك هذا الكلام
فأخذه النخوة والغيرة ويذهب في الحال لقضاء حاجتك فإذا راح لا يعود يرجع
أبداً من كثرة وحود السباع في ذلك المكان والكثرة تغلب الشجاعة فيفترسوه في
الحال ونكون قد بلغنا الآمال لا تنني كلما تذكرت أعماله أريد أن أخق حال
والعرض عند الحر غالي ثم أنشدت تقول من فؤاد متبول :

ألا اسمع اشعري ما أقولك على علم للصحيح أنا أدلك
أخوك هبيل ما يبسوى مسلة ولو قلع في الجبال والى تلة
فأرسله غدا إلى بئر صندل وإن أرسلته لهنالك يفتل
ومنه تستريح مدى الدهور ونحظى بالمقاصد والخبور

فلما سمع كلامها أجابها إلى مرامها وانقطع عن الديوان ومقابلة الناس وجعل
نفسه مريضاً وأقام بالفراش مدة أيام ولما شاع هذا الخبر علم الزير بذلك فتشوش
خاطره لأنه كان يحبه محبة عظيمة فدخل عليه فرآه راقد في الفراش وهو يئن من
قلب حزين فقال له سلامتك يا أخي ثم جلس بقرية وهو يتوجع عليه ويتأسف
ويسليه بالكلام فقال له كليب اعلم أن مرضي شديد وأنا خائف منه وقد وصفت
لي الأطباء شربة ماء من بئر السباع فتى شر بها شفيت من هذا الداء وليس لي
غيرك يا أخي من ياتيني بها فلان كنت نحني أريد منك الآن يا فارس الغرسانية

وقهار العدائي ساحة الميدان أن تذهب إلى ذلك المكان وتأينني بالمطلوب والمقصود
من بين الأسود فقال الزير أبشر يا أمير ثم نزل من عنده وجاء بقربتين خرمهما على
حمار ثم سار وجد في قطع القفار إلى أن وصل إلى بير السباع وكانت السباع في
ذلك الوقت سارحة في البرية سوى سبع واحد كان راقداً على حافة البير وهو واضح
يديه على فمه أو نائم فقال الزير في سره هذا نائم وسيب على أن أقتله غدراً فتركه
وفك القرب وربط الحمار من يديه ورجليه ونزل البير من الدرج فلما القرب وانفق أنه
عند نزوله إلى البير شقق الحمار فوعى السبع ولما رأى الحمار هجم عليه وضربه بمخالبه
فقتله وجعل يأكله فلما خرج الزير من البير ووجد السبع قد قتل الحمار وهو يأكله
اغشاه جداً فوضع القرب على الأرض وقصد نحو السبع بقلب كالحديد وقال وبذلك
يامشثوم كيف تأكل حماري أما علمت يبسطني واقتداري فوحق ذمة العرب لا بد
من تحميلك القرب وكان الأسد قسوتب عليه ونهض برجله فالتفاه الزير بالعصا
وضربه ضربة شديدة وقعت على رأسه فدنخته فوقع على الأرض طائشاً لجاء الزير
بالخيل ولجأه لجأ ما فويا ووضع بردة الحمار على ظهره ثم وضع القرب ورفسه برجله
فنهض مثل السكران فقال الزير يا قليل الأدب الذي يأكل حمير العرب فهو أولى أن
يحمل القرب ثم ركب على ظهره وساقه مثل السكب وكان كلما عرج عن الطريق
يضربه بالعصا على رأسه حتى طأعه قهراً وجبراً ثم سار ووجد في قطع القفار حتى
اقترب من الديار فعند ذلك تذكر ما جرى له مع أخيه والأسد وكيف عاد ظافراً
منصوراً فجاش الشعر في خاطره فأشدد يقول :

أنا مهمل فعزى يفلق الحجر	الإنس والجن تخشى سطوق حذرا
كيد النساء فيبقى في عديم	نقيب الله من يسمع كلام مرا
قالوا أخوك كليب اليوم منظر حار	عالفراش ضعيف الجسم والبصرا
فجأته عاجلاً حتى أسأله	والعقل في حيرة مما عليه جري
فقلت له كيف حالك أنت أخبرني	فقال يا مهمل كيف أنت ترى
أريد شربة ماء أطفئ بها ظمئي	من صندل تزول الهم والكدرا
فسرت حالاً لذلك البير في عجل فـ	ات قصدي وعدت اليوم مفتخرا
هذه فعالي وكل الناس ترهني	حتى الأسود وأهل البأس والأمر

(قال الراوي) وما زال يقطع القفار وينشد الأشعار حتى وصل إلى الديار
وهو راكب على ظهر الأسد غير مبال بأحد لأنه بلغ المقصود والأرب وفعل



(الزير سالم أبو ليلى المهازل يسوق الاسد بعصا وعلى ظهره القرب)

أفعال تعجز عنها فرسان العرب ولما دخل الحى جفلت الخيل والجمال واندشت النساء والرجال لما رأوا الاسد على تلك الحال وكثرت الضججات وتصاحت الاولاد والبنات وسمع كليب والجليلة تلك الضجة فطلا برؤسهما من الشباك فوجد المهازل قد أقبل وهو يسوق الاسد بعصا فبكى كليب لما رآه وقال لاينة عمه الجليلة هل ينبغي لهذا البطل أن يقتل فقد جاء بالاسد وعلى ظهره القرب وهذا أعجب العجب خاشعل قلبها والتهب من شدة الغضب حتى كادت تموت فمرأ ثم نزل كليب إليه

وقبله بين عينيه وقال لله درك يا فارس الميدان وزينة الشبان وبعد ذلك سألته عما جرى له وكان فأنشد يقول :

يقول الزير أبو ليلى المهمل
ذهبت اليوم نحو البير قاصد
وجدت السبع قرب البير راقد
زلت البير أملا منه أشرب
ملأت القربتان وعدت حالا
وجدت السبع قد أكل البهيمة
وحملت القرب من فوق ظهره
أطال الله أيامك وعزك
فلما سمع كليب هذا المقال أجابه على شعره :

يقول كليب لسمع يا مهمل
سباع البير خافت من قتالك
سألت الله أن يحفظك دوماً
فقم البس ثيابا من حرير
فهما طبت مني يا مهمل
أخي ما عاد عندي أعز منك
فسالك من مثيل في العوالم
وولت في الفسلا منك هزائم
وتحظى بالسروز والغنايم
وافعل ما تريد يا ابن الأكارم
أنا أعطيك والله عالم
وحق الله خلاق العوالم

فلما فرغ كليب من كلامه أنزل الزير القرب من على ظهر الأسد وضربه بالسيف فلقاه فتبيل ثم قطع رأسه أمام أخيه وقال الله أكبر فقد أخذنا بشار الحمار وبلغنا ما نحب ونختار بعون الواحد القهار فأمر كليب الخدم أن يدخلوا الزير إلى الحمام فدخلوا واغتسلوا لبس حلة من أرجوان وذهب إلى عند أخيه في الديوان فقام له على الأقدام وأكرمه غاية الإكرام وأجلسه في أعلى مقام فزاد اعتباره عند الخاص والعوام وارتفعت منزلته عند الأمراء والأكابر واشتهر اسمه بين القبائل والعشائر وقاله له كليب ذات يوم اطلب يا أخي مومة تريد فإن شئت فديتها أو هبك إياها أو امرأة جميلة أزواجك بها فما لي بجميعه بين يديك فلا أبخل بشيء عليك لأنك اليوم صاعدي وزندي وأنت الحاكم من يمدى فقال لا أريد سوى سلامتك والذي أريد منك أن تأمر لي بصيوان يكون كبير مفروش بالفرش الفاخر عند بير السباع

هو يكون عندي جماعة من الخدم يقدمون لي ما أحتاجه من الأكل والخمر لاني أريد
 أن أفرد عن باقي جماعة الناس وأكون وحدي خصوصاً من كيد النساء وعندما
 اشتاق إلى زورني فقال كليب ما هذا العمل فوالله ما عاد لي صبر على فراقك
 يا مهمل ولا عدت أسمع فيك كلام الاغادي اللثام فابقي عندي في العز والاكرام
 فقال يا أخى قد صممت المية على الارتحال فإن الانعزال أفضل للرجال الاحرار
 ولا سيما قد صار على السباع ثار على قتل الخمار ولا بد لي من قتل جميع الاسود أو
 أن الخمار يرجع ويعود فضحك كليب من كلامه وتعجب وأمر له بما طلب وقدم
 له جواداً من أطيب الحبول وجميع ما يحتاج إليه من السلاح والنصول والمشروب
 والمأكول وأرسل معه عبدان بحمدانه ثم ودعه وصار حتى وصل إلى بين السباع
 فصبوا له الصيوان وأقام في ذلك المكان وهو يأكل ويشرب المدام وكان في كل
 يوم يلبس عدته ويركب جواده ويصيد السباع وكان كلما قتل أسداً يقول لثارات
 الخمار وما زال على تلك الحال حتى أفضاها وبقي له قصرأ من رؤوسهم فلما طال
 عليه الزمان أخذ القلق والضجر لانفراده عن البشر وكان بينه وبين همام بن
 مرة عجة عظيمة ووداد فزاره الأمير همام في بعض الايام ففرح بقدمه عليه
 وقال أهلاً وسهلاً يا ابن العم وترحب به غاية الترحيب وقال له لقد ضاقت
 نفسي من الوحشة والانفراد فوالله ما عدت أدعك تذهب من عندي أبداً وكان
 همام يصرف أكثر أوقاته عنده فينادمه ويشرب معه المدام ويتناشدان الاشعار
 في الليل والنهار وما زالا كذلك وهم في بسط وانشراح وطرب وأفراح وشرب
 المدام وسماع الانعام مدة ثلاثة أعوام هذا ما كان من حديثهم في تلك الايام.

في حرب البسوس بين بكر وتغلب

(قال الراوى) وأعجب ما اتفق وتسطر من الاحاديث التي تروى وتذكر هو
 حديث العجوز الشاعرة أخت الملك تبع حسان الذي قتله كليب كما شرحنا قبل
 الآن وهي المرأة التي ذكرها تبع لكليب في ملحمة بأنها سوف تظهر بعده وتلقى
 الفتنة في القتائل وسببها يقتل كليب بن وائل وتثير الحرب بين بكر وتغلب وباقي
 عشائر العرب وكانت هذه العجوز من عجائب الزمان وغرائب الاوان ذات مكر
 ودهاء وحياء وجمالة وكنت لما لمريمه أسماء سحابة لانها في يوم ولادتها
 ردت إليها أموال السبعة أقالرواها سميتا تاجي نحت لانها كانت كثيراً ما تأكله

من جوز الهند وكانت مع هذه الأوصاف القيحة جميلة المنظر فصيحة الكلام
شديدة البأس ولما كبرت وانتشت وصارت بنت عشرين سنة فكانت تسارع
الطواشية وتركب الخيل في الميدان وتبارز الأبطال والفرسان وشاع صيتها في كل
مكان وتواردت إليها الخطاب من جميع المدن والبلدان فكانت تقول لا أزواج
إلا من يقهرني في الميدان فكانت تقهرهم في القتال وتعلم عليهم في ساحة المجال
فاقتصرت عنها الخطاب وتباعدت عنها الطلاب وكان قد سمع بخبرها ملك عظيم
إسمه سعد اليماني وكان ملك بلاد السرو وابن عم أخوها تبع وبطل أروع ليت
صميدع صاحب مدن وبلدان وجيش وفرسان فهم قلبه في جنبها فركب في جماعة من
أبطاله وسار قاصداً ديار ابن عمه تبع ليخطب أخته سعاد فلما وصل إلى تلك البلاد
ترحب به الملك تبع وإضافه ضيافة عظيمة لأنه ملك وأمره نافذ في القبائل فلما
كان في اليوم الثالث قال سعد لتبع اعلم يا ابن العم بأنني حضرت من بلادى لاخطب
أختك سعاد الدرة المصونة والجوهرة المسكونة فلا تردني مخاطب فهي ابنة عمي
ومن لحمي ودمي وأنا أحق بها من كل أحد فقال تبع إنى أرغب في ذلك غير أنه كما
لاخفاك بأنها لا تزوج بأحد مهما كان إلا بمن يقهرها في الميدان فقال إنى ما أتيت
إلا على هذا الشرط فعند ذلك دخل عليها أخوها وأخبرها بقدم الامير سعد ابن
عمها وإنه قد جاء ليخطبها ويتزوجها بعد أن يبارزها ويحاربها فأجابته إلى ذلك
المرام وفي ثاني الايام اعتدت بآلة الحرب والجلاد وركبت على ظهر جوادها
وبرزت إلى الميدان ومحل الضرب والطمان وكان الامير سعد قد ركب حصانه وبرز
إلى الميدان والتقاها بقوة القلب وجنان وأخذتا يتقاتلان نحو ساعة من الزمن
وكان الامير سعد صاحب نخوة وحمية ومن أشد فرسان الجاهلية فخارها حتى أتعبها
ثم اقتلعا من بحر سرجها فأقرت له بالغلبة وبعد ذلك تزوجها وأقام الحفلة سبعة
أيام ورجع بها إلى بلاده وكانت قد أخذت معها جميع ما تملكه من أمتعة وأموال
وعبيد وغلان وأقامت مع زوجها في أرغد عيش وهناء مدة عشر سنين إلى أن
غنى وفقد البصر فصارت تحكم مكانه وأطاعتها العرب وعظم أمرها واشتهر
ذكرها وما زالت على تلك الحال وهي في أرغد عيش وأنعم بال إلا أن كليب قتل
أخوها تبع كما سبق الكلام فلما بلغها هذا الخبر أخذها القلق والضجر وتغصص
عيشها وتعممر وقالت لا بد لي من المسير إلى تلك الديار وأقتل كليب الغدار فإذا

قتلته انطى نارى وأكون قد أخذت نارى فأقامت مكاتها وكيلا يحكم بالنيابة
عها وركب هي وزوجها وبناتها وأخذت معها عبدان وما زالت تقطع البرارى
والآكام حتى وصلت إلى بلاد الشام فسألت عن رحلة بنى مرة فأرشدوها إليها فلما
صارت هناك قصدت الأمير جساس دون باقى الناس ودخلت عليه وهو فى الديوان
وحوله جماعة من الأمراء والأعيان فتقدمت إليه وسلمت عليه ودعت وترحم
وبأفصح لسان تكلمت وقالت له أدام الله أيامك ورفع على ملوك الأرض قدرك
ومكانك وبلغك أربك ومناك ونصرك على حسادك وأعدائك فتعجب جساس
من فصاحه مفاها فأثنى عليها وسألها عن مالها فقالت له إننى شاعرة أطوف القبائل
والعشائر وأمدح السادة والسادات والأكابر وقد سمعت بحودك وكرمك ولطفك
وحاسن شيمك فأثمت إلى دارك حتى أعيش فى جوارك وأكون مشغولة بأظارك
ثم لأنها بعد هذا الثناء والمديح أنشأت إليه بهذا الشعر الفصيح :

تقول سعاد من قلب موجد	زمان السوق أبقانا ذلائل
وبعد غلانا صرنا رخاصا	وبعد الكثر قد صرنا قلائل
وبعد العز قد صرنا أذلا	وبعد السمن قد صرنا هزائل
فهذا الدهر ماله قط صاحب	فهذا مستقيم وذاك مائل
وذا يبكى وذا يضحك ويلعب	وذا يندب عياله والحلائل
فسبحان الذى قدر علينا	بغربتنا وتشتيت القبائل
فبعد أن كنت فى خير ونعمة	دعاني الدهر كالطلاب شائل
أدور على المناصب والأمارا	وأزل فى القرايا والمدائن
سمعت بك كرم يا آل مرة	ثلاث شهور لى عندكم أسائل
أيا جساس يا نحر السرايا	وبا كهف الينامى والارامل
قصدتك لا تخيب فيك طنى	أيا ابر الانما جيد الا صائل
ناجبر خاطرى ربى يجبرك	وبعطيك السعادة والفضائل
فكم أوهبت من مال ونوق	وكم فرقت من خيل أصائل
فأنت اليوم بين الناس فردا	ثناء مشاع فى كل القبائل
عديم المثل ما بين الامارا	وقد تعاخرت عربا القبائل
عساك اليوم تنعم لى بمال	ولا نصغى إلى دائن وقائل

فارجع بالغانيم والعطايا وبالخيل المسومة الضواهل
فلما فرغت المعجوز من شعرها ونظامها وفهم جساس مخوى كلامها قال لها
أهلاً ومرحباً الأرض أَرْضِي والديار دتاري وأنت نزيلتي وفي جوارى فكل من
تعدى عليك قتله ثم أشار يترحب بها ويقول :



(المعجوزه ألقت جلد ناقتها أمام جساس وتقول دبحها كليب جئت أشتكي لك)

قال جساس بن مرة يا معجوز مرحباً بك بلا بطا
مرحباً بك مرحباً بك مرحباً عدد ما مشيت الركاب بالوطا
في قدومك حلت البركة لنا فأبشري بالخير مع كثر العطايا
اسرحي ثم اسرحي في حيناً ما أغيطك لو بدا منك خطا

(قال الراوي) فلما فرغ جساس من كلامه دعت له المعجوز بالنصرو وطول العمر
والبقاء وقالت في سرها لقد نلت المراد بعون رب العباد وأقامت عنده شهرين
وجساس كل يوم يزيد في إكرامها وكانت قد رأت اتفاق قوم كليب مع بني مهرة

وهم في محبة ومؤلفة عظيمة واجتماعات كثيرة كأنهما قبيلة واحدة فهاهنا طيبة
ذلك الأمر فأخذت تلقي الفتنة والفساد بين الأمراء والقواد حتى وقع الشر والنزاع
وكثر القيل والقال ولما اشتد الأمر اجتمع كل أكرام الناس عند الأمير جساس
وأخذوا يشكون من بني تغلب وعن سوء معاملتهم وإنهم يمتدون عليهم في أكثر
الأوقات بدون سبب وهذا كله من يوم ما قتل كليب السبع النجاشي وأمدد ملكه في
الاقطار فابتدأ يجرور ويظلم ولا يحسب حساب أحدهم هكذا قومه تفعل كفعله وكان
مرادهم بهذا الكلام يحمسوا الأمير جساس ويهيجوه على قتال كليب ولكنهم لم يصغى
لهم ولم يطاوعهم على مرامهم وقال لهم إنه من الصواب أن اجتمع أولاً مع ابن
عمي كليب وأعلمه عن تعديت قومه وجورهم علينا فإن وجدت كلامه قاسياً يكون
هو السبب في تقويتهم وإن أمر بتأديب المفتريين نسكون قد نلتنا مرادنا

(قال الراوى) وما زالت الفتنة بين الفريقين تمتد وتشتد حتى اتصل الخبر إلى
مجامع الأمير كليب وبلغه أن بني مرة هم أصل ذلك الخصام وأنهم كل يوم في
جميعات واستعدادات فضاق صدره وتكدر وأرسل اعلم جساس بذلك الخبر طالباً
منه أن يبادر الحال بقصاص المذنبين وتوقيف حركات البكرين وإخراج العجوز
من القبيلة التي كانت سبباً لهذه الورطة فاغتنظ جساس من ذلك وتأثر وتأكد عنده
كلام قومه وعلم أن أصل ذلك كله من كليب فلم يجبه بجواب ولا بخطاب وأخذ
جساس من ذلك اليوم يجمع الجموع ويفرق على قومه السلاح ويقويهم بالآلات
الحرب والسكفاح فبلغ ذلك الأمير كليب فازداد كدوره واحتار في أمره وحس
بزوال ملكه وكان تذكر أخاه الزير الفارس التحرير فركب من يومه في جماعة
من الفرسان وقصده إلى بير السباع فوجده جالساً على سفرة المدام مع ابن عمه الأمير
همام وهما يناشدان الأشعار ويتحادثان بالأخبار فنهضاه على الإقدام وأجلساه في
أعلى مقام وفرح الزير بقصوم أخيه لأنه كان له مدة طويلة غائبا عنه غير عالم بأن مجيئه
لم يكن ناتج إلا عن سبب ضرورى جداً وبعد أن جلس قليلاً قال كليب للزير اعلم
يا أخي إن سبب مجيئي إليك أولاً لاجل المشاهدة وثانياً حتى آخذك إلى القبيلة وأقيمك
ملكاً مكانى لأنى طعنت في السن ولم يعن لى طاقة على معاطاة الأحكام ولا سيما وقد
تغيرت الأحوال ووقع بين القبيلتين النزاع والجدال فاشتغل منى القلب والبال فقم معي

الآن يا سيد الفرسان فقال الزير والله لقد اشتغل بالي هذا المقال فأنشد كليب يقول :
 أخى سالم إسمع ما أقول لك ففكرك ديره والدهن ليا
 أراك اليوم فى زهو ولهو ولا تدرى بما قد حل فى
 بنو قيس قد وقعوا بخلف وجساس نوى يركب عليا
 فقوم وشد عزمك يا مهلهل لأنك انت جبار عتيا
 دلا راحات البلدان منى وصرنا معيرة عند البقية

(قال الراوى) فلما فرغ كليب من شعره ضحك الزير حتى استلقى على ظهره
 فقال كليب وما هو ضحكك قال لقلة عقلك قال أنا قليل العقل قال لولم تكن قليل
 العقل ما كنت تكلمت بهذا الكلام بعد أن نظرت القصر هو أمامك قال وما يكون
 هذا القصر قال هذا قصر قد بنيت من رؤس السباع الذين قتلتهم بشار الحارومع
 كل ذلك أنت ملك عظيم وصاحب ولايات وأقاليم فكيف تقول أنك خائف
 وفزعان وأخوك الزير فارس الفرسان فسكن فى أمان واطمئنان من نواب الزمان
 فإن كنت بشار الحار الذى ليس له قدر ولا مقدار قد بنيت قصرا من رؤس السباع
 ألا أبني من رؤس الأعداء مدائن وضياع وقلاع وحصون فأذهب بالسلامة ولا
 ترتاع ثم أجابه على شعره يقول :

يقول الزير أبو ليل المهلهل أنا لى فى الحرب عزما قويا
 مباح الغاب خافت من قتال وتخشاقى ولم تقدر على
 فاذهب يا كليب ولا تبالي واحكم بالقبائل بالسوية
 فإن جارت بنو بكر وغابت فلا أترك منهم أخى بقية

فلما سمع كليب شعره احتار من فعله وندم على مجيئه ثم كرر عليه السؤال
 وطلب منه أن يسير معه خوفا من حدوث أمر من الأمور فقال الزير سر أنت
 أولا وأنا سأبعثك فيما بعد فقال لماذا لا تسير الآن قال لاخفاك لما حضرت إلى
 هذا المكان قتلت جميع السباع ما عدا سبعين أو ثلاثة فتى قتلتهم أدر كنت فى الحال
 إلى الاطلاع فعند ذلك ركب كليب جواده وسلم أمره للواحد القهار إلى أن وصل
 إلى تلك الدار وهو فى قلق وافتكار هذا ما كان من أمر كليب ويرجع الكلام
 والسياق إلى حديث متعاد الشاعرة الساحرة الماكرة فإنها لما أثارت الفتنة بين القوم
 وصار لها عند بني مرة ذلك القبول وجميع كلامها عند جساس مقبول أخذت ضامة

من الفضة وملأتها من المسك والزباد والعطر وخففت الجميع في بعضه البعض
وعمدت إلى ناقتها الجربانة وأخذت تظلي أجنابها وتدهنها بذلك الطيب وأمرت
بعض العبيد أن يأخذوها إلى المرحى ويمر بها قرب صيوان جساس في الصباح والمساء
وأوصته إذا سأله أحد عنها وعن سبب رانحتها يقول لا أعلم وإنما مولاتي تعلم
فأخذ الناقة ومر على ذلك المكان فعبقت رائحة الطيب فاستنشق جساس الرائحة
وكانت ذكية جداً فتعجب وكان قد نظر إلى العبد وألك الناقة فأمر بإحضار العبد
وكان يظن تلك الرائحة عابقة منه ولما حضر وإذا رائحة كريهة جداً فسأله عن تلك
الرائحة فقال من الناقة فازداد تعجباً وسأله عن سبب ذلك فقال لست أعلم يا مولاي
إنما مولاتي سمع الشاعرة تعلم ذلك فقال جساس هذا غريب فاستدعى العجوز إليه
فحضرت ثم سأله عن قضية الناقة فتحدثت من فؤاد موجوع وقالت لا خفاك أطل
الله عمرك وأبقاك إن هذه الناقة من سلالة ناقة صالح وفيها خواص غريب يا ابن
الاجواد فإن بحرهما من المسك وعرقهما من الزباد فتعجب جساس غاية العجب
وقال في نفسه تبارك الله رب العالمين فلا بد لي من أخذ هذه الناقة فأفترج بها على
جميع الملوك فقال لها هل تبيعين لي يا أماه يا حرة العرب وأنا أعطيك مهبما تطلبين من
الفضة والذهب فليسمعته كلامه بكنت ولطمت وجهها وقالت والله هذا الحساب
الذي كنت أحسبه فأني ماهاجرت من بلادى إلا لأجل هذه الناقة وكلما نظرها
أمير أو ملك يطالبها وما دام الأمر كذلك فأني سأرحل من عندك ثم بكنت من
قلب حزين وأنشبت تقول :

تقول سعاد من قلب موجوع	سقاني الدهر كأسات الحما
حزنى منى الفؤاد وغاب نوحى	عمى بعلى وقد زادت سقانى
أنا حرمة لى يد قنسية	ولا لى قيمة بين الانام
وهذه ناقتى قد شتقتى	عن الإوطان يا ابن الكرام
فكم من سيد جاء يشتريها	فما نالوا بها نيل المرام
وقد جينا لكم والتجينا	وقلنا قد حطينا بالسلام
وأنت تريد أن تأخذها منى	فعاد رجوعنا أشهى المرام

فلما فرغت من كلامها أخذ جساس يعطف بخاطرهما ويقول لها إن كلاي معك
هو على سبيل المزاح فناقمتك مباركة عليك وأنت المعزوزة عندنا فقالت من

حيث ذلك أريد أن تجعل ناقي دون باقي النوق والجمال لأنها قد تربت بالدلال
وأريد مرعى لأنه أليق بها فقال أرسلها إلى المراعى مع نوقى وجمالى فقالت إنها
لا تأكل إلا من الرياحين وزهر البساتين فقال إنه ليس لنا كروم ولا بساتين
قالت وهذه الكروم التى بجانب القبيلة من هو صاحبها قال هى لابن عمى كليب
زوج أختى الجليلة وهما من مخرج أخته ضباع قالت ما دام أنكم أهل وأقارب
وأنت ملك نظيره فلماذا يكون كليب أعظم منك فقال أنه من بعد قتله الملك تبع
عظم أمره وانتشر ذكره وتملك على البلاد وطاعته العباد فلما سمعت هذا الكلام
قالت والله لست أخطأت وبئس ما فعلت فإنى تركت البحر وجئت إلى الساقية
وتعلقت بالذنب وتركيت الرأس فاغتاظ حساس وحس وقال ما معنى هذا الكلام
يا حرة العرب فإنك قد خرجت عن دائرة الصواب وبأديتنا بقلة الأدب أهذا
جزاء المعروف والإحسان فقالت لا تفضب ولا تنفاز وما قولى هذا إلا من
سبيل المحبة فكيف يكون ابن عمك وصهرك وزوج أختك ويملك على هذه الأراضى
العظيمة وأنت ليس لك قدر ولا قيمة أنكذا يكون الأهل وأبناء الأعمام أيتها
الملك الهمام فقال حساس وذمة العرب وشهر رجب قد تكلمت بالصواب وأنا
من الآن وصاعدا لست أحسب له أدق حساب لأنه قد اعتز وتمرد ولا عاد
يحسب حساب لأحد وأنا لا بدلى أن أطالبه أن يقاسمنى على أملاك المملكة وإلا
ألقيه فى التهلكة فروحى وأطلق ناقتك لكى ترعى فى أحسن البساتين والمرعى
ثم انشد وقال :

بقول حساس شعراً من ضمائرى فدمع عيني على الوججات طاف

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع

الجزء الرابع

من قصة الوزير أبو ليلى المهمل

والنار في مهجتي قد أحرقت كبدي من جور قوم ما لهم أنصاف
قولك صحيح ما لنا عنده قيمة ولا كلام ونحن من الأشراف
سبعة أقاليم ملك تبع حازها وعلى المدائن والقرايا طاف
والكروم والنخل والأثمار أجما حاز الجميع من البلدان والأطراف
روحي يا سماعة خلى ناقتك ترعى بين الكروم ولست منه أخاف
(قال الراوى) فلما انتهى جساس من شعره ونظامه فرحت العجوز وانشرح صدرها فقبلت يده وخرجت من عنده وقالت لعبيدها خذوا هذه الناقة وأتركوه ترعى في البستان المعروف بحى كليب واجعلوها تهديم الحيطان وتقطع الأشجار وتأكل الأغصان وإذا اعتزكم فاشتموه وسبوه وإذا اقتضى الأمر اقتلوه ولا تخافوا فقالوا سمعاً وطاعة ثم أخذوا الناقة وساروا بها إلى ذلك المكان.
(قال الراوى) وكان هذا البستان كأنه روضة جنان كثير الأشجار والفواكه والأثمار وكان كليب قد اعتنى به حتى صار من أحسن متزهات الدنيا وكان لا يسمع لأحد أن يدخل إليه سوى هو وعتاله فقط فلما أخذت العبيد الناقة دخلوا بها بعد أن هدموا الحائط وصاروا يقطعوا الزهور ويكسروا أغصان الشجر وكانت الناقة تأكل العرايس وأثمار السكرم وكان كليب قام حارساً يحرسه اسمه ياقوت فلما نظر الحارس تلك الحال هجم على العبيد بالعصا وقال لهم أخرجوا يا كلاب من البستان قبل أن يحل بكم الهوان فشتموه وسبوه ثم ضربوه فهرب من بين أيديهم وجاء إلى كليب وأعلمه الواقعة الحال فاغتاظ غيظاً شديداً وجاء إلى ذلك المكان ومعه أربعة غلمان فرأى العبيد أحدهما جالس على سريره أى الذى كان يجلس عليه وقت الزهرة والآخر دائر مع الناقة بين الكروم والزهور وهو يسب الأصغر كليب ويشتمه فعند ذلك ترا كضت غلمان كليب على العبيد لتقبض عليهم فتركوا الناقة وهربا فأحضرت الغلمان الناقة أمام كليب فأمر بذبحها فذبحوها وطرحوها خارج البستان وكانت عبيد العجوز تراقب عن بعد ما يجرى على الناقة فلما شاهدوا ما كان من أمرها رجعوا على الأعقاب وأعلموا مولانهم بما جرى وكان وكفد أن غلمان كليب ذبحوا الناقة بأمر مولاهم وطرحوها خارج البستان فقالت الآن

جلدت مرادى وأخذت ثأرى من الأعدى ثم أمرت العبد أن يسلم الناقة ويأتها
بجلدها قسار العبد وسلمها وجاء بجلدها إليها وقامت من وقتها ووضعت التراب على
رأسها وشقت ثيابها مع بناتها وعبيدها وجواربها وأخذت جلد الناقة وسارت بها
عند الأمير حساس فدخلت عليه وهو في الديوان مع الأكابر والأعيان وصارت
تندب وتبكي وألقت الجلبدين يديه فقال ملامك أيتها العجوز وما الذي أصابك
فحدثته في القصة وقالت له في آخر الكلام لو كنت أعلم بأن ليس لك عند ابن
ربقة قدر ولا مقام ما كنت تركت ناقتي في حماه حتى يذبحها بل أنى اعتمدت على
كلامك نظرا لعلمي برافعة مقامك بين أهلك وأقوامك حتى جرى ما جرى بسبك
ثم أنشدت تقول :

أيا حساس غابوا في نزيلك	تقول صناد من قلب موجع
لمحك يا فتى نطلب جملك	أنيتك اليوم مع أهلى وبعلى
وقانا ليس في الدنيا مثيلك	نزلنا في جوارك يا معظم
بغيط كليب تحسبه خليلك	فقلت لهم دعوا الناقة ترعى
ذبحها جنت حالا اشتكى لك	فرحت طاعتهم وسمعت قولك
فانهض يا أمير وشد حيلك	فإن كانت لكم ذمة وحرمة
ورب للعرب مولانا كفيلك	نفذ حتى من الباغى كليلها

(قال الراوى) فلما فرغت العجوز من كلامها استعظم حساس تلك القضية
وخضعت في رأسه نخوة الجاهلية وقال للعجوز اذهبي بأمان فأنا أعرف شغلى
فذهبت إلى خيامها واستبشرت ببلوغ مرامها ثم التفت الأمير حساس إلى من حوله
من الأمراء وأكابر الناس أنظروا ما فعله ابن عمنا في حقنا وهو صهرنا فقد أهاننا
بهذا العمل وأنا لا بد لي أن أستعد لقتاله في هذا اليوم فيما أن أقتل أو أبلغ الأمل
فقال له أكابر العشيرة تمهل يا أمير فإنه لربما يعلم أنها ناقة نزيلك ومن الصواب
أن ترسل له كتابا على سبيل العتاب وتطلب منه ثمن الناقة وتنتظر ما يكون جوابه
فإن أرسل الثمن واعتذر كان خيرا وإن أبى وامتنع فحينئذ تفعل ما تريد فاستصوب
حساس هذا الرأي وكتب كتابا إلى كليب يعلمه بذلك الحال ويطلب منه ثمن
الناقة وأرسل الكتاب مع عبده أبو يقظان فأخذ أبو يقظان الكتاب وفي طريقه
مر على تلك العجوز أخيرا بالقصة فترحبت به ولاطفته بالكلام وقدمت له

الطعام ثم أخذت تسقيه المدام حتى سكر وغاب عن الصواب فعند ذلك قتشته في ثيابه حتى عثرت بذلك الكتاب فقرأته فوجدته كتاباً بسيطاً غالياً من التهديد والوعد والوعيد وأضافت إليه كلاماً منفيظاً وهي هذه الآيات :

أمير كليب يا كلب الأعراب أبا ابن العم لا تكبر على
فلازم اذبحك في حد سيني وانت شبيه حزمة أجنبية

ثم طوت الكتاب ووضعته في مكانه وقام العبد فنهض وركب جواده وصار حتى وصل ديوان الأمير كليب ودخل عليه وقبّل الأرض بين يديه وتناول الكتاب فأخذه وقرأه ولما وقف على معناه اغتاض غيظاً شديداً وأراد أن يقتل العبد ولكنه كان رجلاً عاقلاً موصوفاً بالحلم والحزم فأطرق رأسه إلى الأرض وتفكر قليلاً ثم قال في سره لعل الأمير حساس كتب لي هذا الكتاب وهو في حالة السكر غائب عن الصواب فزق الورقة وأمر بضرب العبد فضرب وقال له اذهب يا ابن الأثام إلى عند مولايك سلام وإلا سقيتك كأس الخمر فقام وهو على آخر رمق وركب حصانه وسار إلى عند حساس وقال له إنه بحال ما قرأ الكتاب مزقه وأمر بضربي وقد شتمك وسبك وهذا الذي تم وجرى .

(قال الراوي) فلما سمع حساس هذا الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام فنهض في الحال ودخل إلى خزانة السلاح ولبس آلة الحرب والكفاح وركب ظهر حصانه وانحدف إلى صيوانه وصاح على أبطاله وإخوته وفرسانه بجاؤا إليه وداروا حوايه فأعلمهم بواقعة الحال وما جرى بينه وبين كليب من النزاع والجدال وقال لهم استعدوا لقتال بني تغلب الآن ذال وأخذ يكلمهم بهذا الشعر والنظام :

يقول حساس نار القلب مشتعلة	على الضمائر يا قوم لها لبيب
يا قومنا اسمعوا قولي واصغوا	قول صحيح بلا تكذيب
كليب خلى كل أحوالنا عبر	حكم البلاد مشارق ومغيب
وليس يحسب لنا قدر ومنزلة	الكل عندهم غم وهو بينهم ديب
فاقة نزيل ذبحها ما أخشى أحدا	أجرى إلى دمها شبه الأنايب
أنت عجز فآلقت جلد ناقتها	بعد ما بسكت بدمع مكيب
تنهدت ثم قالت يا ولد مرة	ابن عمك كايب عليك يعيب
هكذا كليب يفعل بنزيلك	مالك قيمة عنده ولا رحيب

فقلت لها اصبري يا معجوزة على
أرسلت له أبو اليقظان عندي
شقي الكتاب وأدري البعد بضربه
أترضون للمذلة يا أهل قومي
فأنا لك منسه تمنا أجيب
بكتاب ما فيه أسا ولا تعذيب
ومن كثرة الضرب ما أظنه يطيب
الذل لا يرضاه سوى كل معيب

(قال الراوي) فلما فرغ جساس من شعره ونظامه وعرف قومه خوى قصده
مرمرامه فما أخذ طاووعه على هذا المرام وقال له عن فردلسان بنس هذا الرأي وهل
يعجز لنا يا أمير لأجل ناقة حقيرة نقاتل ابن عمنا الأمير كليب وترفع في وجهه السلاح
بعد أن صانتنا وجمانا بسيفه وقبل الملك تبع حسان واستولى على الأقاليم والبلدان
وجعل لنا ذكرا عظيما في قبائل العربان على طول الزمان فإن كان لك عليه دم أو ثار
فدونك وإياه فلا تطلب منا مساعدة ولا نجدة فلما سمع كلامهم تركهم وقصد بيت
المعجوز ولما اجتمع بها قال لها لقد جئت إليك لأرضيك بالعطايا خوفا من ازدياد
الشرو ووقوع البلايا فاطلبي ثمن ناقةك لأعطيك إياه ولو كان مهما كان قالت أريد واحدا
من ثلاثه أشياء قال وما هي قالت أريد إما أن تملأ حجري بالنجوم أو تضع جلد الناقة
حل جنتها لتقوم أو رأس كليب بالدماء يعوم فقال لها أما ملو حجرك بالنجوم أو أن
الناقة تعيش وتقوم فهذا لا يقدر عليه إلا الحى القيوم أما رأس كليب فابشري به
ثم قوم السنان وأطلق العنان وقصد حتى بنى قيس فقالت المعجوز لعبد هاسعد خذ هذا
السكين والمنديل الأبيض واتبع جساس من وراءه فإذا رأيته قتل كليب فأسرح اذن
والطغ هذا المنديل من دمه فتى فعلت ذلك فأتى أطلقك لوجه الله تعالى فامتثل أمرها
ووقع آثار جساس أما جساس فلم يزل سائر آحتى وصل إلى قصر كليب وسأل عنه
فقالت له أخته الجليلة قد ركب الآن وهو يطبع مهره في وادي الحصار والجندل فقصده
حتى التقى به وهو يطبع مهره وكان كليب بدون سلاح ولم يكن معه سوى خيزرانه
فقط وكان كليب دائر ظهره إلى جساس لأنه كان من عادته دائما أنه لا يلتفت
في أيام الحرب إلى أقل من مائة فارس فأراد جساس أن يغدره من قفاه فما طاووعته
يده على ذلك مهابة ووقارا فلما وصل وسلم عليه فرد عليه السلام فرآه متسربل بالسلاح
عظم كليب الأمر وقال علامك يا ابن عمي أراك بالسلاح الكامل قال
مرادى الصيد والقتل لكنني لا ألتفت بك أعرجت إليك لأسألك سؤالا واحدا
وأعاتبك على ما فعلت فهل كان لك بساتين وكروم ونحن مالنا شيء أنت عندنا

اعجز شاعرة مع بعل لها ابن عمى ورعت ناقةها في بستانك على نجاحنا فكيف تقبلها
أما لنا عندك قيمة ولا اعتبار بهذا المقدار فضرب كليب كفا على كف من شدة
الأسف وقال والله يا ابن عمى ما عرفت أنها ناقة نزيالك ثم ذكر عن سوء أدب الرعيان
وما فعلوا من الضرر في البستان ومع كل ذلك فإني أعوص واعطيها أربعة مائة ناقة
وإذا أردت أكثر فاعطيها ولا يكون ذلك سببا للنزاع والخصام بيننا فإنا أولاد
اعمام وإصهار فقال جساس على سبيل الخداع إني سأرضيها وهو فاصدقته ثم قال
له مرادى أن العب معك سابقين بالجريدة فقال كليب يا جساس انت راكب ظهر
القسيرة وأنا راكب مهر جاهل فقال أنا أسوق أمامك والمهر يسبق الفرس فساق
جساس الفرس فتبعه كليب حتى حكمت تحت يمينه وضربه بالجريد فأصابت ظهره
فقلبت عن ظهر الفرس فأنحدر الدم من فيه ومناخيره فقال كليب قم يا ابن العم فإن
كنت لا تريد أن تلعب غير هذه الجريدة فأصرع واضربني بها فينتهي الحال ثم نزل
كليب عن ظهر المهر ومشى أمامه أما جساس فإنه قد تألم بهذا القدر حتى إنه لم يعد
تمكنه القيام وإذا بعبد العجوز أقبل إليه وجذبه من يده فأوقفه وقال والله إنك
من أحقر الرجال ثم أعلمه بحاله وكيف العجوز أرسلته خلفه لأجل تلك القضية
فتحمس جساس ونهض ومسك له العبد الركاب فركب ثم تقدم نحو كليب وهن
في يده الرمح وطعنه في صدره خرج يلعب من ظهره فوقع على الأرض يحتبط بدمه
فبكى كليب ملء عينيه ودمعه يسيل على خديه فلما رآه جساس على تلك الحالة ندم
وتأسف على ما فعل فتقدم إليه وقبله في لحيته وعارضيه وضمه إلى صدره ووضع
رأسه على ركبتيه وقال سلامتك يا ابن عمى يا أبا اليمامة فقد حلت بي الندامة فوالله
إني فعلت ذلك بدون عقل ولا تمييز فسأخني على هذا الارتكاب القبيح فأجابه
كليب على حلاوة الروح وقال هذا حكم الإله المتعال ما كان أملى منك أن
تباديني بهذه الفعال وتشمت في الأعداء والأندال وتفرق بيني وبين اليتامى والأطفال
وما بكائي على مال ولا نوالا بما بكائي على اليتامى ولكن أهم رب لا يغفل ولا ينام
وابكى أيضاً على غدرك فإنك قتلتني بالغدر والعدوان ولست من أقراني في الميدان
ولا في ملتقى الفرسان ولكن سيجازيك العادل الديان وسوف ترى ما بعل بك من
الهوان ولا أظن بأنه يصفي لك الزمان بعد الآن قمم واذهب إلى الخيام واقرب
الأيام من جزيل السلام ولكن استقن قبل رواحك شربة ماء لأن قلبي قد احترق
من الظما وأشار بهذه القصيدة بقول

حقول كليب اسمع يا ابن عمي أيا حساس قد أرهقت دمي
أيا غدار تطعني برمح ولست أنت في الميدان خصمي
تواثمت الأحاسد والأعادي وباتت إخوتي تبكي وأمي
على ناقة تقتل ابن عمك أمير كريم من لحك ودمك
يوم الضيق كان يزيل همك ويردى الضد في يوم النزال

(قال الراوي) فلما فرغ كليب من شعره ونظامه تخاف حساس واصفر لونه وارتعش قلبه وقال والله يا ابن عمي لا يعرف الإنسان ماذا مقدر عليه ثم أنه رفع رأسه عن ركبته وأتى له بماء فاسقاه ثم ركب وتركه وخلاه وهو يركض ويلتفت وراءه قاصدا أهله وحماه وأما عبد المجوز فإنه بعد ذهاب حساس تقدم ليذبح كليب حسب ما أمرته العجوز فلما اقترب منه وجده يجود بنفسه وهو على آخر رمق فتأمل فيه العبد فوجد ذات هيبة ووقار ووجه يتلألأ بالأنوار فتأخر عنه وخاف منه فظفر إليه كليب ففارق من حلاوة الروح وقال له من أنت وما هو قصصك ومرامك فاعلمني بحالك فقال له لاخفي عنك أنا عبد التسع اليماني فلما قتلته أنت حضرت أخته سماد العجوز الساحرة إلى هذه البلاد لتأخذ بثأره منك وتطفي لهيب نارها وهي التي ألفت الفتنة بينك وبين ابن عمك حتى قتلك وأرسلتني لأذمك وأخذ لها أثر من دمك فقال كليب لقد صدقت فقد ذكر لي تبع هذا الكلام ونفذ قوله الآن بالتماس وهذا تقدير رب الانام فأريد منك يا عبد الخير قبل أن تذبحني تفعل معي هذا الجميل وهو أن ترميني بالقرب من هذه البلاطة القريبة من هذا الغدير لا كتب وصيتي إلى أخي سالم الزير وأوصيه بأولادي ومهجة كبدي وبعد ذلك بأفعل ما تريد فسحب العبد إلى قرب البلاطة والرمح غارس فيه والدم يقطر من جنبه فبكى كليب وتفكر وهو يتأمل على ما أصابه ويتحمر ثم أخذ بيده عودا وغطه بالدم وانشد يقول :

يقول كليب اسمع يا مهلهل مذل الخير قهار الاسود
على ما حل من حساس في طعني طعنة منها يعود
أيا سالم توصي باليتامي صفار وبعدهم وسط المهور
واسمع ما أقولك يا مهلهل وصايا عشر افهم بالاكيد



كليب يكتب وصية للنوز على البطار

و أعطوك زينات النهود
ولو أعطوك مالا مع عقود
ولو أعطوك نوقا مع عهود
واحفظ لي ذمائي مع عهود
فإن صالحت لست أحي أكيد
وقد زادت نيران الوقود
واسفك دهم في وسط بيد
واحصد جمعهم مثل الحصيد
فإني اليوم في ألم شديد
ولا قسدد شكوتك للودود

فأول شرط أخوي لا تصالح
وثاني شرط أخوي لا تصالح
وثالث شرط أخوي لا تصالح
ورابع شرط أخوي لا تصالح
وخامس شرط أخوي لا تصالح
وسادس شرط أخوي لا تصالح
وسابع شرط أخوي لا تصالح
وثامن شرط أخوي لا تصالح
وتاسع شرط أخوي لا تصالح
وعاشر شرط أخوي لا تصالح

(قال الراوى) فلما فرغ كليب من شعره ونظامه بكى العبد عليه ورثى لحاله ثم
تنفس كليب الصعداء وهو مطروح وجعل يقول من حلاوة الروح أين الاحباب
والحجاب أين جندى ودولتى أين ملكى وصولتى تبا لحكم مصيره الزوال فياويل
الذين يتجبرون على الإله المتعال ثم قال للعبد بالله عليك أن تمهل على قليل حتى أتودع
من الدنيا واكتب لآخى أيضا هذه الوصية فقا العبد أكتب يا مولاي رحمك الله
ثم أخذ العودة وكتب يقول من فؤاد مبتول

يقول كليب من مادة ربيعة	فدمعى فوق خدى كالقناه
جفانى الدهر وأرماتى سقيم	فهذا الدهر كم مثلى فتاه
خرجت أنا على مهرى أسير	فليس يبدى أنا سوى العصاه
فاذا ابن مرة جاء الخلفى	يريد قتلى وإبليس طعناه
ضربته بعصاى فوق ظهره	تقنطر راح من فوق الوطاة
أتى من خلفى عبد غريب	سريعا أركبه ووقف خداه
فاستعد وجانى فى حال سرعة	وناره بالحشا زادت لظاه
فان لى دبر وجهك يا ابن عمى	يريد الفساد منى بالفتاه
فأحكم طعنة فى سريعا	وداح جساس هارب بالفلاه
هديت لك هدية ياماهل	عشر آيات تفهمها الذكاه
أول بيت أقوله أستغفر الله	إله العرش لا يعبد سواه
وثانى بيت أقول الملك لله	بسط الارض ورفع السماء
وثالث بيت توصى باليتامى	واحفظ العهد ولا تنسى سواه
ورابع بيت أقول الله أكبر	على الغدار لا تنسى أذاه
وخامس بيت جساس غدرنى	انظر الجرح يعطيك النماء
وسادس بيت قلت الزير أخى	شديد البأس قهار العداء
وسابع بيت سالم كون راجل	لاخذ الثار لا تعطى وناء
وثامن بيت يالك لا تخلى	لا شيخ كبير ولا فتاه
وتاسع بيت يالك لا تضلح	وإن صالحت شكوتك للاله
وعاشر بيت إن خالفت أمرى	انا وإياك إلى قاضى القضاء

ولما انتهى كليب من كلامه التفت إلى العبد وقال له افعل الآن ما تريد
تقال والله يا أمير ما تستحق إلا كل خير وإن يدى لا تطاوعنى على ذبحك فقال

اذبحني لا تني في ألم شديد وعن قريب تأتي إخواني وباقي الرجال والحريم فعند ذلك أخرج العبد السكين وانحنى عليه وذبحه من الوريد إلى الوريد ولوث المنيذيل بدمه ورجع إلى عند سيدته فأعلمها بقتل كليب وأراها دمه ففرحت فرحاً شديداً وصبرت إلى الليل ثم حملت وسافرت بمن معها من تلك القبيلة سرا حتى لا يعلم بها أحد وقالت لقد أخذت الآن ثاري وطفيت لهيب ناري هذا ما كان منها وأما جساس فإنه لما رمى كليب وولى هارب سار حتى وصل إلى قومه وهو في خوف عظيم أصفر اللون متغير الكون فقال أبوه الأمير مرة ابن كنت قال كنت في البرية فالتقيت بابن عمي كليب فقتلته وزال همي وغمي فلما سمع مرة هذا الخبر تبدل صفوه عيشه بالكدر وقبض على جساس من ذراعه كاد يخرج روحه من بين جنبيه وقال يا عديم الزمان ويا أخبت الانام أتقتل ابن عمك وهو من بلك ودمك لأجل ناقة حقيرة وصاحبها سائلة فقيرة فإذا تقول العرب يا غدار إذا سمعت عنك هذه الاخبار فقد أجلبت علينا الأذى والضرر وفضجتنا بين البشر وما زال يوبخه بالكلام ويلطمه من خلف وقدام حتى جاءت إخوانه إليه وخلصوه من بين يديه وهم يعتفوه ويسبوه ويشتموه ما عدا الأمير همام فإنه كان عند الزير في تلك الأيام يتنادمان ويشربان المدام على بير السباع كما تقدم الكلام وليس عندهما خبر بهذه الأمور والأحكام ثم التفت مرة على أولاده وقال لهم لقد حلت بنا المصائب من كل جانب فما الذي عاد يخلصنا من الزير ليث الوادي وقهار الأعادي فوالله لقطع آثارنا وبعلج دمارنا ثم إنه بعد هذا الكلام أشار يقول :

يقول أمسير مرة من قصيد	بأن العار ما يمحوه ماح
جنيت اليوم يا جساس حرباً	علينا في المسا والصباح
وقدت النار في بكر وتغلب	يعم لهيبها كل النواحي
أيا جساس تقتل ابن عمك	كليب البرمكي ليث البطاح
أمسير ما كان له مثيلاً	شديد البأس في يوم الكفاح
أيا جساس من قتل ابن عمه	يبيت الليل يسهر للصباح
فسوف ترى بما يجرى بنا	إذا برز المهمل للكفاح
فيصلب مالنا قهراً وغصاً	بأطراف العوالي والصفاح

(قال الراوي) فلما فرغ من هذا النشيد أجابه جساس بهذا القصيد وعمر السامعين يطول

تأهل مثل أهبة ذى الكفاح	فإن الأمر زاد عن التلاحى
فإنى إن جلبت عليك حربا	فإنى ليت حرب فى الكفاح
فكيف عن الملام فليست أخشى	بينوم الحرب من طعن الرماح
ولمى حين تفشر العوالى	أعيد الرمح فى أثر الجراح
تعدت تغلب ظلم علينا	بلا ذنب يعد ولا جناح
ومالى همه أيدا وقصد	سوى قتل العدى يوم الكفاح

(قال الراوى) فلما فرغ جساس من كلامه قال له أبوه سوف ترى ما يحل بنا من
البلاء والويل من سيف المهلهل فارس الخيل ثم صار يبكى ويتأسف ويلطم كفا على
كف ثم قال لأولاده الرأى عندى أن نكثف جساس ونرسله إلى الزير وإخوته
ليقتلوه بشار كليب وبهذه الوسيلة نزول الفتنة وتطفي النار ونزول الأحزان والآكدان
فإن المصيبة عظيمة وعاقبتها ذميمة وخيمة فقالت أولاده ما هذا الكلام يا أبانا
فهل بعد كليب غير جساس يليق أن يكون ملكا فإن كنت تحسب بحساب المهلهل
فما هو إلا كالأهبل وليس له دأب إلا أكل السكباب وشرب الشراب فقال مرة للعياذ
بالله من كيد الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال لأولاده وأن
أخيك همام له عند الزير مدة أيام فنخاف أن يعلم الزير يقتل أخيه فيقتله ولا يبقيه .
(قال الراوى) وكان لهمام جارية اسمها رباب فاستدعاها مرة إليه وقال لها اقطعي
البقايع وسيري إلى بير السباع واعلمي همام سرا بما جرى وتحدد قولى له أن يرجع بالعجل
خوفا من أن يقتل فسارت الجارية حتى وصلت إلى هناك فوجدت الزير وهمام على سفرة
الطعام وهما بالكلام ويشربان المدام ويتحدثان بالكلام فلما رأها همام وثب إليها
وقال مادهاك قالت سر طويل وحزن وعويل ثم أعلمته سرا بواقعة الحال وطلبت منه
المسير إلى الأطلال فلما وقف على حقيقة الأحوال اعتراه الانذهال وغاب عن الصواب
وتبدل انشراحه بالحزن والاكتئاب فلما طال بينهما الحديث والخطاب خرج الزير
من بين الأطناب كأنه أسد الغاب فوجدهما يتكلمان سرا ويومان عليه فعظم الأمر
لديه فسل الحسام وقام ماهو الخبر ياهمام فإنى أراكم فى قلق واهتمام وأشار يقول :-

يقول الزير أبو ليلى المهلهل	أحس النار فى قلبى ألييب
فقلبي موجه والجسم ناحل	ولا اتقى إلى جسمى طيب
وشاب الرأس منى والعوارض	فإنى صرت فى حال عجيب
وافكر فى الزمان وشؤم فعله	وهذا الدهر يتقلب قلب

أيا همام ألا يا ابن عمي
فما أبصر الحرمة تقول لك
أراكم تكتتموا الأسرار عني
أراكم في حديث وفي وشاوش
فلا تخل الأمور من الحوادث
وإلا افتحوا لي الباب حتى
(قال الراوي) فلما فرغ من شعره أجابه همام بقول:

يقول همام إسمع يا مهلهل
وناري بالحشا قد أحرقتني
أقول أنت تسمع يا مهلهل
فما نحن في وشاوش
أنا وإياك في طرب ولهو
جلنسا يا فتى نيت جملكم

فلما سمع الزير هذا الشعر توقد قلبه بلبيب الجمر وأجابه يقول:

يقول الزير يا همام إسمع
فما لك علم في وقتك كله
فقم اذهب إلى أهلك يا نسيبي
فتأني إخوتي ثم يقتلونك
فما أقدر أن أحميك منهم
فوالله ثم والله ثم والله
فلو جينا ما عيش أكملنا
لكنت أمد يدي تحت سيني

(قال الراوي) فلما فرغ الزير من هذا الشعر والنظام قال لهام أنت من دون بني مرة

تديني وصديقي وزوج أختي ورفيقي ليس عندك علم بهذا المنكر فلا تخاف ولا تفرع
فقال همام لقد جرى القلم يا ابن العم والذي مضى ما بقي يرجع فاما تقتلني عوض عن أخيك
أو تأخذ منا ما يرضيك وترفع عنا الحرب والقتال وتركنا نبقى في الاطلاع فوالله صعب
على هذا الأمر والتهب قلبي بنار الجمر لما سمعت بهذا الخبر الممهل فلا كان حساس المهار
قال الزير وحق من يعرف الغيب وروح أخى وحبيبي كليب إنى لأرفع السيف عنكم

حتى أشنى غليل منكم ثم أفتلكم عن بكرة أبيكم وأهلك النساء والبنات وأجعلكم مثلاً
بين الكائنات ولولم تمكن زوج أختي وسميري ما كنت أعلمتك بما في ضميري بل
كنت قمتك في الحال وأورثتك النكال فسر الآن إلى الاطلاع ولا عدت تريني
وجهك في الحرب والقتال فلما سمع هشام ذلك الكلام ركب ظهر الحصان وأوماً إلى
ابنه شيبان الذي كان معهما في ذلك المكان أن يسير معه إلى تلك الأوطان فامتنع
عن المسير وقال سابقي مع خالي الزيرفسار همام وقد عظم عليه الأمر وهو ينفذ
غبار الموت عن منكبه حتى وصل إلى حلقته واجتمع بابيه وإخوته وأخذ يلوم
جساس على فعله وكيف أنه تجاسر على كتيب وقتله وأعلم قومه بما عزم الزير
نخاف الكبير والصغير وأيقنوا بالهلاك والتدمير واستعدوا من يومهم إلى الحرب
والسكفاح وجمعوا آلات الحرب والسكفاح هذا ما كان على بني مرة وأما الزير
صاحب الشجاعة والقدرة فإنه بعد ذهابه إلى الديار اشتعلت بقلبه لميب النار واعتراه
الاصفرار فصار ياطم وجهه في يده وقد عظم الأمر عليه حتى رقست شعرات شاربيه
ومع ذلك لم تنزل من عينيه دمة لأنه كان من الجبارة السبعة وكان يقول وحق
رب العباد لا بد أن أفتك بنى بكر الأوغاد وأقتل الشيوخ والأولاد ولما طال
المطال وهو على هذا الحال قال له شيبان بن همام دغ عنك هذا الكلام واشرب
المدام فإنك عاجز يا خال عن هذه الفعالي فمن أنت من الأبطال حتى تتكلم بهذا
المقال وتبهاى على الأمراء وأكابر الناس كآبى همام وعمى جساس ثم أنشد إليه
يقول وعمر السامعين يطول .

أنشد شيبان وقال في بيوت	ودمعي من عيني طال
خالي إسمع ما أقول	وحط قولي وسط البالك
خلى الهيج ووطى النفس	وانترك عنك قيل وقال
نقول تكيد بنى مرة	وتقتل كل الأبطال
غدا يا خالي هم يأتوك	بخيل كثير ونعم رجال
يظهر خيول عليك تجول	ودق طبول كما الزوال
ونرج الأرض بطول وعرض	ترحوا قتلى بضرب صقال
يجي جساس قوى الباس	كذا العباس زكى الحال
ويأتى عمر بخيل ضمير	وصفر ونمر وابو جفال

يحي ملك القوم كان
وأخي شيبون بطل مجنون
وتأتى الشوس وكل عبوس
فلما انتهى شيبان من كلامه أجابه
يقول الزير أواه أواه
بولى غدا الفرسان تبيك
أتأريك أنت عدو مبین
وأنا العربي منذ يوم نسكيد
أكيد الشوش تقطع الروس
وبعد كليب لا بيع الروح
وبعد كليب أخلى السيف
وبعد كليب سياج البيض
وأنت يا ابن أختي اليوم
وأبوك أغدى سيفي فيه

يوم الكون كسيع حال
وأبى همهم إن جاك ومال
يخلوا الروس تلال تلال
الزير على شعره ونظامه :

يا ابن أختي عقي زال
يخوفني من أهل أنزال
كلامك ما خيلاني حال
للروس أكيد بطعن وعوال
أنا الجبار فقير بحال
أشلكم بالرمح شلال
طول العمر بكم عمال
ما اعتق منكم رجال
قظوري عدت بغير بحال
واعشى الرمح من الأبطال

(قال الراوى) فلما فرغ الزير من إنشاده نهض الغلام لينكب على جواده ويلحق
بأبيه وأعمامه فضربه الزير بجذامه ألقاه على الأرض فتيل وفي دماه جديلا ثم قطع
صفقه ووضعته في مخلاة حصانه ولفها في قربوس السرج وتركها فصار الجواد حتى وصل
إلى القبيلة وسار إلى بيت مولاه فلما رأت أم الولد جواد الغلام وهو في تلك الصفة قالت
للجارية دونك جواد سيدك فتقدمت الجارية وأخذت المخلاة فوجدت فيها رأس شيبان
فاستعظمت ذلك الشأن واعامت بواقعة الحال فطار عقلها لما نظرت رأس ابنها مقطوع
فضجعت بالبكاء والنواح والعيويل والصياح فاجتمعت عليها نساء الحى من كل مكان
ولما سمع همام الخبر طار من عينيه الشرر فبكى واشتكى وقال لزوجه ضباع نظرت
ما فعل أخوك فوالله لم يبق لى غريم سواه فشقت ثيابها وسارت عند أخوها المهمل
ولامته على ما فعل وقالت أنقتل ابن أختك بئس أخيك ثم أشارت تقول :

تقول ضباع يا سالم علامك
بئس كليب تقتل ابن أختك
حزنت على كليب وما جرى له

بجاه كليب ما سويت يا بني
وتحرق مهجتي وتزيد حزني
وحزني في صميم القلب مبني

(م ه — الزير سالم)

ولكن قد حكم ربي مراده
فأجابها الزبير بهذه الأبيات :

يقول الزبير من قلب حريق
ألا يا أخت قلبي من بكاءك
فوالله ثم والله ثم والله
فلا بد لي من حرب الأعداء
بقتل كليب زاد اليوم حزني
ولا تخشين من أمر يعينني
إله العرش منذ أدعو يجنني
وقتل كل جبار طابني

فلما فرغ الزبير من كلامه قالت له الله درك ياسالم ياقهار الاسود القشاعم لقد
زال لوعتي الآن وخفت عني الأحزان لما سمعت شعرك يافارس الفرسان وعرفت
ما أنت معول عليه من الحرب والطعان وأخذ الثار وكشف العار ثم رجعت إلى
الديار وهي في قلق وافتكار هذا ما كان من أمرها .

(قال الراوي) ولما اشتهر كليب ووصل إلى أبياته الخبر وعلمت بذلك جميع
أهله وبناته فزقوا الثياب وأكثروا من البكاء والانتحاب فتهتكت الوجوه الملاح
ووقع في الحصى العويل والصياح وكسرت الفرسان السيوف والرماح وخرجت
بغات كليب من الحدود وهن مهتكات السطور ناشرات الشعور حافيات الأقدام
يقطعن السهول والآكام وقد امهن أختهن اليمامة وكان ذلك اليوم مثل يوم القيامة
ولما وصان إليه وجدن الطيور حائمة عليه فوقعن على جشته وقبلن يديه وأرتمين
حواليه ولما قرأن ذلك الشعر الذي كتبه على الصخرة زادت أحزانهن وأخذن
يلطمن على وجوههن ثم أقبلت إخوة كليب إلى ذلك المكان وازدحمت الرجال
والنساء والأبطال والفرسان والسادات والأعيان يرثوه بالأشعار وأجروا
طبيب نارها سوى البطل الأوحده والسيوف المهند والصحصاح الشهير الذي ليس له
في ذلك العصر نظير غيرها المجهل الملقب بسالم الزبير فسارت هي وأنختها إليه
وتواقمت عليه وقالت والله يا عم ما كأنك حزنان بما جرى علينا وكأن من
خلوارق الزمان يقتل أخيك ملك العصر والأوان ثم ألقت نفسها غيابة في حجره
ضمها إلى صدره وقد حار في أمره ولما أفاق استبكت عليها الحشرات فأشدت
هذه الأبيات :

مات أبي ياعم من طعن القنا
وأنت اليوم جالس في صفك
يا مهمل ضاقت الدنيا على
وسقاني البين كاسات السموم
غدر به جساس الكلاب المشوم
يا مهمل بالهمل انهن قوم

(قال الراوى) فلما فرغت اليمامة من هذا الشعر والنظام زادت على المهمل الاوجاع والآلام فنهض على الأقدام كأنه سمع الآجام وصار النهار في وجهه مثل الظلام وقال لبنات أخيه سوف ترون ما أفعله وأجريه ثم اعتد بآلة حربيه وجلاده وركب ظهر جواده وسار مع البنات يتقطع الاراضى والفلات حتى وصل إلى ذلك المكان فوجدته مملوءة بالآبطال والفرسان والبنات والفسوان وهم يبكون ويظفون وينوحون وينديون فلما رأوا المهمل قد أقبل فتحوا له طريقاً حتى دخل فوجد أخاه وهو مطروح والدماء من جسده تقطر وتسوح والناس واقفة حواليه فالتقى نفسه عليه وهو يبكى ملء عينيه ويقول سلامتك يا أمير اليمامة يا صاحب الجاه والكرامة فقد أحرقت قلبى بفقدك فلا كان من يعيش بمعدك ولما اشتد عليه الأمر أرتة اليمامة وصية أخيه المكتوبة على الصخر فقرأها وقال وحق الإله المتعال إنى لأصالح إلى الأبد مادامت روحى فى هذا الجسد ثم بكى وتهد وأرثاه بهذه القصيدة أم السادات. وأكبر العمد وهى من أجود مرأى العرب وأحسن أشعار أهل الفضل والأدب.

كليب لا خير بالدنيا وما فيها
ففيها تسمى النعاة كليباً فقلت لهم
ليت السماء على من تحتها وقعت
النار النوق للضيفان يطعمها
الحلم والجود كانا من طبائعه
ضجعت منازل بالخللان قد درست
كليب أى فتى زين ومكرمة
نسكون أولها فى حين كرتها
غدرك جساس يا عزى وباسند
لا أصلح الله منا من يصالحهم
وتوالد البغلة احضرا تخالجة
ويحلب الشاة من أسنانها لبن
إن أنت خايتها من بيتي وأثيها
مالت بنا الأرض أم مالت روا
حالت الأرض فاندكت أهاليها
والواهب الميته الحرا يراعيها
ما كل اللطافة يا قوم تحصيا
تبكى كليب نهاراً مع ليانيها
تقرّد خيلاً إلى خيل ثلاثيها
وأنت بالسكر يوم السكر حاسيها
وليس جساس من يحسب قوايها
حتى يصالح ديب المعز راعيها
وأنت تحيا من الغبرا قاليها
وتسرع النوق لارعى ساعيها

(قال الراوى) فلما فرغ الوزير من هذا المراثية الغرام وسمعت السادات والأمراء تعجبوا من فصاحة لسانه وقوة قلبه وجنانه وما احتوت عليه من الآثار الرقيقة والمعانى البليغة الدقيقة وقالوا والله لقد جاد سالم الوزير فأتى على الشعراء والمشاير بهذا الكلام الذى هو كالدر النضير ثم اجتمعت الأمراء المقدمين وقالوا للمرب المجتمعين أنه ما كان ينبغي البكاء والانتحاب وإن إكرام الميت دفنه فى التراب ثم أتوا بدياب إلى الديار ودفنوه بكل

احترام واعتبار واحتفال ووقار ورثوه بنفائس الاشعار وبنوا على قبره قبة من
أعظم القباب وطلوا حيطانها بالذهب والفضة فكانت من العجب في بلاد العرب
زخرفوها بالنقش الفاخر كتبوا على حيطانها أسماء الإله القادر وهي هذه الاسماء
التي يتكئ بها رب السماء قد أثبتناها هذا الكتاب إفادة للطلاب .

﴿ أسماء الله الحسنى ﴾

الله . الرحمن . الرحيم . الملك . القدوس . السلام . المؤمن . المهيمن . العزيز .
الجبار . المتكبر . الخالق . الباري . المصور . الغفار . القهار . الوهاب . الرزاق
الفتاح . العليم . القابض . الباسط . الخافض . الرافع . المعز . المذل . السميع . البصير .
الحكيم . العدل . اللطيف . الخبير . الحليم . العظيم . الغفور . الشكور . العلي
الكبير . الحفيظ . المقيت . الحسيب . الكريم . الرقيب . المجيب . الواسع . الحكيم .
الودود . المجيد . الباعث . الشهيد . الحق . الوكيل . القوي . المتين . الولي . الحميد . المحصي
المبدئ . المعيد . المحي . المميت . الحي . القيوم . المقتدر . المقدم . المؤخر . الأول
والآخر . الظاهر . الباطن . الولي . المتعال . البر . التواب . المنتقم . العفو . الرؤوف
بمالك الملك . ذو الجلال والإكرام . المقسط . الجامع . الغني . المعطي . المانع .
الضار . النافع . النور . الهادي . الباقي . الوارث . الرشيد . الصبور . جل جلاله
(قال الراوي) وبعد أن تلو أسماء الإله القادر وسميها السادات ورؤساء الشيا

دفنوا الأمير كليب كما تقدم الكلام ذبح الزير على قبره النوق والأغنام وفرق
المال والطعام على الأراذل والأيتام ثم جلس في الديوان وجميع الأكابر والأعيان
والأبطال والفرسان وإخوانه المشجعان وقال اعلموا أيها الأمراء والسادات الكرام
أن جناساً أهانكم وقتل ابن عمكم وملككم فاستعدوا لحد الثأر وكشف العار من
بنى بكر الأشرار فلما سمعوا منه هذا الكلام أجابوه إلى ذلك المرام وقالوا عن
خرد لسان إننا بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك لأن الأمير كليب لا ينتهي
ولم تلد مثله النساء ثم أنهم تحالفوا معه وعاهدوه على كرسى المملكة وبايعوه
وأجلسوه فلما تملك على القبيلة طرد أمراء أحميه الجليلة فسارت إلى بيت أبيها مع
أهلها وجواربها وكانت جليلة بولد ذكر سوف يأتي عند الخبر واستعد الزير
من ذلك اليوم لقتال القوم وحلف بأعظم الأقسام بأنه لا يشرب المدام ولا يلنز
طعام حتى يأخذ ثأره بمجد الحسام وينتقم من بنى بكر أشد الانتقام أو أنه يموت
تحت أرجل الخيل ولا يبالى بالويل ثم أمر الرؤساء والقواد بجمع العساكر والأحناد



(الزير سالم يأخذ ثأره بجد الحسام وينتقم من بني بكر أشد الانتقام)

وأن يكونوا في استعداد للحرب فامثلوا أمره في الحال وتجمعت الفرسان والابطال
حتى امتلأت الروابي والتلال وكانت قد انضمت إليه عدة قبائل وأمدوه بالعساكر
والجحافل حتى سار في أربع مائة ألف مقاتل وقال لما بلغ بني بكر هذا الخبر اعترام
القلق والضجر وخافوا من العواقب وحلوا النواصب فجمعوا المراكب والكتائب
وسارهم الأمير مرة إلى الذئاب وهو مكان شهير يبعد ثلاثة أيام عن قبيلة الزير
وهناك انضمت إليهم بعض القبائل من العربان فكانوا نحو ثلاثمائة ألف وأقاموا
في ذلك المكان ولما سمع الزير برحيل مرة وأولاده إلى الديار قال لا بد أن
أقتل الآثار وأقضي الكبار والصغار ثم أمر القائد الكبير بسرعة المسير فامثلوا
ما أمره وفعلوا ما ذكره وفي الحال دق طبل الرجوع فارتجت منه السهول
والمروج وهو الطبل الذي كان تتبع حسان ولم تكن إلا ساعة من الزمان حتى
ركبت الابطال والفرسان وركب المهمل منسربلا بالسلاح كأنه ليث الفساح
(انتهى الجزء الرابع وبأية الجزء الخامس من قصة الزير)

الجزء الخامس

من قصة الزير أبو ليل الملهل

وعلى رأسه الرايات والبنود ومن حوله القواد والجنود فعند ذلك سارت المواكب
قاصدة الذئاب وما زال العسكر يقطع البر الاقفر إلى أن أشرف إلى تلك الديار
اليوم الثالث عند نصف النهار ولما قرب وانكشف اليباغ وراه الأمير مرة ومن
معه من الرجال والفرسان قالوا وحق الإله القدير المتعال لقد أقبل علينا سالم الزير
بالمجوع والجاهير والفرسان المشاهير واليوم تباع الأرواح ببيع السماح في عاجل
الحال انتخب الأمير مرة ألف من الأبطال وأرسلهم لملاقاة الأعداء في تلك البيداء
وكان المقدم عليهم ابن الأمير جساس وجماعة من علماء الناس فسار الجحفل طالبا
جيش الملهل ثم فرق مائة ألف أخرى في الصحراء وقدم عليهم ابنة همام وحثم
على الخرب والصدام وأقام هو بباقي العسكر على الجانب الأيسر حتى إذا انكسرت
الفرقتان يحمل بمن معه من الفرسان ولما شاهد الملهل تلك الحال وانقسام الرجال
والأبطال فقسم عسكره إلى ثلاثة أقسام وتقدم ولما اقتربت العساكر من بعضها
بعض وانتشر جموعها في تلك الأرض حملت الفرق على الفرق وهجم الجيش على
بعضه وانطبقوا وقصد الملهل فرقة الأمير مرة بعشرة آلاف من أهل الشجاعة
والقدرة وفي الحال اشتبك القتال وعظمت الأهوال وجرنى الدم وسال وارتمت
الديان والتلال من قهقهة النضال فكان يوماً مريعاً وحرباً فظيماً يشيب منه رأس
غلام قبل النضال فما كنت ترى إلا رؤسا طائرة ودماء فائرة وفرسان غائرة فله
الملهل وما فعل في ذلك اليوم من العمل فإنه هجم هجوم الأسود وفرق المواكب
الجنود ونكس الرايات والبنود وقتل كل جبار وثمود وكان كلما قتل فارس
مخرب يقول يا ثارات كليب مثلك الحبيب يلقى نفسه في مهاوى العطب أملا بالنصر
بلوغ الأرب وما زال على تلك الحال حتى قتل خمسة من الأبطال ولما اشتدت
أهوال تأخرت عنه الرجال تنوفا من الهلاك والوبال وهو يحول ويدور ويهدر
في سود والنور ويحول كلياً قتل الجور ابن عينك اليوم تراني وتشاهد حربي
وسطاني في اليقين كنت فداك ولا كان من يسلاك

(قال الراوى) وكانت نيران المعامع والحرب والوقائع مشتبكة في ثلاثة مواضع واستظهرت جيوش المهلهل على أعدائها وبلغت غاية مناهها وقطعت باقي الفرق كما فعل سيدها ومولاها واستمر القتال على هذا الحال من الظهر إلى غروب الشمس وكان قد قتل من بني بكر أوفى من ثلاثين ألف نفس ومن جماعة المهلهل نحو خمس آلاف بطل فعند ذلك دقت طبول الانفصال فارتدت عن بعضها الفرسان ونزلوا في الخيام والمضارب ورجع المهلهل وهو قاهر وغالب كأنه أرجوان بما



(البطل أمرؤ القيس حامى ظهور الزير سالم المهلهل يطعن الحربة في أحد الأعداء)
 حال عليه من أدميه الفرسان فاجتمع بالسادات والأعيان في الصيوان فنبهوه
 بالسلامة وقالوا مثلك تكون الشجعان يا زينة الأكوان وجوهرة هذا الزمان
 فشكركم من هذا الكلام ووعدهم بالخير والإنعام ثم أكلوا الطعام وأخفوا
 يقظا كرمين بأمر الحرب والصدام وكان للمهلهل صديق يركن إليه ويعتدق أمره
 عليه قوى أتيان فصيح اللسان يقال له امرؤ القيس ابن أيان وكان يقاربه بالفرسية
 ويساويه بالفصاحة والهمة العالية فقاتل معه في ذلك اليوم وفك في صناديد القوم
 وكان لا يقاربه الزير في القتال ويحمى ظهوره من خيل الرجال فقاتل له المهلهل أمام
 الفرسان وأيك ما هو يا ابن أتيان في المنجوم على الأعداء اللثام تحت جناح الظلام

قاني والله كلما أذكر قتل كليب تتوقد بقلبي النيران وليس لي عنه صبر ولا سلوك
فقال تمهل يا أمير مهلهل فإن النهار قد اقترب ولا بد لنا من بلوغ الأرب لأن
القتال في الليل يجلب علينا الهم والويل فتعطلت الأحزاب بالأحزاب ولا تعود
تعرف الأعداء من الأحقاب لأن الظلام يحجبنا بعضنا البعض ونشئت في هذه
الأرض فاستصوب كلامه الزير فقال هكذا أشارت فرسانه :

(قال الراوى) وبات الجيشان يتحارسان وأوقدوا النيران فكانت بنو بكر
وباق قبائل العرب قد باتت في شدة وتصب وأيقن الأمير مرة أنه سيفلب ويقهر
من سيف الزير الأسد الجسور ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح تبادرت
العساكر إلى ميدان الحرب والكفاح واصطففت الفرق إلى صفوف وترقت المئات
والآلاف وتأهب المهلهل للحرب واستعد للطعن والضرب فركب ظهر الحصان
وتقدم إلى معركة الطمان وتبعه امرؤ القيس بن أبيان وقواد الأبطال والفرسان
بقلوب أقوى من الصوان وكذلك ركب الأمير مرة وبقية الفرق واعتقلوا بالسلاح
والدروع فعند ذلك دقت الطبول وصهلت الخيول وارتفعت الرايات على رؤوس
الأمراء والسادات من جميع الجوانب والجهات وهجم كل فريق على فريق وتقاتلوا
بالسيف والمزارق والتقت الأمم بالأمم وقام الحرب على ساق وقدم وما مضى
ساعة من النهار حتى اشتد لهيب النار وطلع للقتال الغبار وانزل الجبابرة حار
وارتفع الصياح وعلا وارتجت أقطار الفلا ولبست الأرض من الدما حلالا وعظم
بينهم البلا والويل وعاد النهار كسواد الليل وقال المهلهل في ذلك اليوم وما قصر
وفعل أفعالا تبق وتذكر فإنه اقتحم صفوف الأعداء كأنه ليس الوادى وحال
الميامن والمياسر وطعن فيها طعنا يذهل النواظر ويمحى العقول والبصائر وهو
يقول بالنارات كليب مهجة فؤادى ومن كان سدى واعتمادى ولما طال المطال
أشقى غليله من قتال الأبطال قال :

ذهبت الصلح أو تردوا كليباً	أو نبيد الحيين نكرا وذهلا
ذهبت الصلح أو تردوا كليباً	أو تعم السيوف شيان قتلا
ذهبت الصلح أو تردوا كليباً	أو أزهد للرجال قهراً وذلا

فتعجب فرسان من شعره ومقاله وانذهلت من هول قتاله وكذلك اندهشت
بأبطاله وما زال الخرب يعمل والدم يذل والرجال تهلل إلى أن ولي النهار

وارتحل ودخل الليل وأقبل فعند ذلك رجع الأمير المهلهل وباقي الجيش والجحفل
وجميع أكابر عشيرته وأهله وإخوته يتحدثون فيما يجري ويكون فاستقر الرأي على
سرعة الإنجاز والجهاد في الحرب والبراز قبل أن يطول الأمر وتفوتهم الغلبة والنصر
ثم إنهم أكلوا الطعام وباتوا في الخيام ولما طلع النهار وأشرقت الشمس والانوار
تأهبوا للحرب والكفاح فتقلدوا بالسيوف والرماح ودقوا الطبول وركبوا
ظهور الخيل وتقدمت الفرسان والابطال إلى ساحة القتال وكذلك فعل الأمير مرة
والأمير جساس ومن يلوذ بهم من عظماء الناس والتقت العساكر بالعساكر وتقاتلوا
بالسيوف والخناجر وكان الأمير المهلهل في أول الجحفل فصاح وحمل والتقى الفرسان
بقلب أقوى من الجبل وهو يهذر كالأسد ويضرب فيهم بالسيوف المهند ويقول
يا ثارات كليب ليث الصدام وزينة الليالي وكان كما قتل فارساً يعيد هذا الكلام
فقصده الابطال من اليمين والشمال وهو يضرب فيه الضرب الصائب ولا يبالي
بالعواقب حتى مزق الصفوف بحملاته وفرق الألوف بتواتر طعناته وما تنصف
النهار حتى قتل مائة بطل كرار وكان من الابطال والفرسان المذكورة كذلك فعل
أمرؤ القيس ابن أباد وباقي القواد والشجعان وما زالوا على تلك الحال إلى أن ولي
النهار بارتحال فارتدوا عن الحرب والصدام ورجعوا إلى المضارب والخيام وكان
قد قتل من عرب جساس في ذلك النهار عشرون ألف بطل كرار ومن عرب المهلهل
تحو ثلاثة آلاف بطل ولما أصبح الصباح استعد الفرسان للحرب والكفاح فركبوا
ظهور الخيل وتقاتلوا بالسيوف والنصول وهجم المهلهل على الفرسان الفحول
كأنه الغول وهو ينشد ويقول :

هلموا اليوم نلتقى يا آل مرة	ولو كانوا ثلاثين ألف كرة
وسيف الهند يقطع في يميني	فلا تخشى الممالك والمضرة
فاحموا يا بني عمي لظهري	فتحظوا بالآمان والمصرة
فكل الناس ترهب من قتالي	إذا ما جئت في الميدان كرة
سوف أيبس جساماً وقومه	وأستقيم في حربي كأس مرة

ثم إنه لما سئل على الكتاب والمواكب وأظهر بأفعاله الغرائب والجمائب
وقتل كل شجاع غالب :

(قال الراوى) وما زال القوم في حرب وصدام وقتل وحصام مدة ثلاثة
شهور حتى أشفى الوير غليله من بني بكر وقتل منهم كل سيد جليل وفارس نبيل

وكان عدد من قتلهم في تلك الوقائع نحو مائة ألف مقاتل ما بين فارس وراجل
وقتل من جماعة الزير نحو عشرة آلاف بطل فلما رأى حساس ما حل بقومه من
النوائب خاف من العواقب وعلم أنه إذا ثبتوا أمامهم يهلكون هلاك الابد ولا
يبقى منهم أحد فولى وطلب لنفسه الحرب مع باقي طوائف العرب وغنم الزير غنائم
كثيرة وأموال غزيرة ثم رجع بمن معه من الفرسان إلى الاطلال وهو في أحسن
حال وأنعم بال ونزل في قصر أخيه وصارت ملوك العرب تكتابه وتهادنه وكان
يتربص الاوقات للحرب والغزاة فشكرته اليمامة على ما فعل وقالت لا عدمتك أيها
البطل فانك أخذت النار وطفيت لهيب النار ورجعت بالعرز والانتصار فشكرها
على هذا الكلام وقال وحق رب الانام لا يشقى فؤادي ولا يطيب لذني رقادى
حتى أقتل الأمير حساس واجعله مثلاً بين الناس وهذا الأمر سينم عن قريب
بإذن الله السميع المجيب .

(قال الراوى) بينما هو يتربص الاحبار ويقتنى الآثار إذ دخل عليه العبد نعمان
الذى تقدم ذكره قبل الآن وكان من أصحاب الزير وأصدقائه المشاهير فسلم عليه
وتمثل بين يديه فتعص له على الاقدام وأكرمه غاية الاكرام وبعد أن جلس قال
للزير اعلم يا أميرى قد جيت الآن من أبعد مكان أولاً لا هنيئك بالانتصار وأعزيتك
على فقد ذلك البطل الكرار وثانياً لا علمك بأنه ظهر لى في المنام من مدة عشر أيام
رؤيا عجيبه تشير إلى أحوال غريبة وهو أنه قام عليك سبعة سنين منجوسة وأيامها
عليك معكوسة فأياك من هذا النهار أن تحارب أحد من ملوك الاقطار بل
تجنب وقوع الفتن وتبقى مرتاح في الوطن فتى تمت هذه الليالى وافقك السعد
والإقبال بإذن الإله المتعال فإن حاربت انتصرت وإن قاتلت ظفرت وقهرت
فشكره الزير على ذلك الاهتمام وغيره بمجزي الانعام ومن ذلك اليوم أخذ لنفسه
الحذر وتجنب مخالطة البشر وكان يصرف أيامه بشرب المدام وأكل الطعام واشتهى
الخبر في القبائل أن الزير أوقف الحرب مدة سبع سنين كوامل :

(قال الراوى) وكانت بنى مرة قد هامت في الاقطار خوفاً من الهلاك والدمار
وتدب حساس غاية الندم يقتل كل من الأسد القشمشم وما زال هو وقومه في خوف
وحذر عن عواقب الأمور إلى أن بلغهم خبر توقيف القتال فذالت عن قلوبهم
ألمومهم وتصوروا أن يوجهوا إلى الاطلال .

هذا ما كان من بنى مرة وجساس وأما الزير الفارس الدعاس فإنه استمر على تلك الحال وهو في أرغد عيش وأنعم بال إلى أن كانت نهاية السنة السادسة فركب إلى الصيد والقتل في جماعة من فرسانه وابتعد عن الديار نحو ثلاثة أيام ومن الاتفاق الغريب فإن الأمير جساس رأى حلاً في بعض الليالي وهو أنه قد في قرب صيوانه حوض من الماء فبينما كانت قومه تشرب منه فإذا بذئب كاسر قد جاء إلى الحوض وهو بصفة جل كبير وله ثمانية أنياب فشرب من الماء ثم ضرب الحوض جنبه فانشق من جانبه وتهور ذلك الماء حتى كادت قومه أن تهلك من شدة العطش والظما ثم رأى النسوان والأولاد بئياب السود والدم جارى مثل الجارى والجمال تنهش بعضها البعض ودماها تسيل على وجه الأرض فاستيقظ جساس خائفاً من هول ذلك المنام فاستدعى إليه إخوته وبنى الأعمام وقص عليهم ما رأى وأبصر فاستمعوا ذلك الأمر وقالوا لا يوجد من يقدر على تفسيره سوى المنجمين فإن حسن عندك أرسل استدعى عمار الرياحى فإنه يعسره لك على يقين فأرسل إليه وحضر وقص عليه ذلك الخبر فضرب ورسم الأشكال فبانت له حقائق الأحوال ثم التفت على جساس ومن حضر هناك من الناس وقال لهم هذا المنام من عجائب الأيام وهو يدل على شر عظيم وخطب جسيم سوف يحل عليكم من سالم بوقت قصير وقد أظهر لي أيضاً بأن أخ المهلهل عنده مهر أدهم اسمه عندهم قوى العصب والحيل عديم المثال في الحيل فسهل الزير مقرون بهذا الحصان وبه ينتصر في الحرب والظعن فإذا ملكتم هذا الجواد نلتم المراد وأسرتموه في القتال والطراد

فلما سمع جساس هذا الكلام استبشر بيلوغ المرام وقال لهم قد بلغنا بأن الزير غائب عن القبيلة وما في الحى غير النساء والحصان موجود في الديار وهذه إزالة الغصة هم لأنه أرسل رجلاً ليكشف الخبر ثم رجع وأخبره بصحة الكلام فعند ذلك ركب جساس في ثلاثة آلاف بطل وطرق باب المهلهل على عجل وأحاط بساحة الدار من اليمين واليسار فاستعظم بنات كليب ذلك الأمر ولم يعلن ذلك السبب فطلت اليمامة برأسها من الشباك وقالت له وهو راكب على ظهر الفرس ما هو الداعى يا خال بقدمك إلى الحى بالابطال والحى عالى من الرجال فقال لها جئت بطلب المهر الأدهم المدعو بعندم فقالت له أهلاً وسهلاً بك مهما طلبت فلا تمسك عنك غير أنه لا تخاف بأن المهر خاصة بمعنى عدية فلا يمكننا أن نسمع فيه ثم أشارت تقول

بكم قد حلت البركة علينا وزال الشر عنا مع نكال
 فبهما تطلبوا مني تشوفرا خيولا مع بغال وجمال
 ولكن مهر عمي شر ممكن أسله قات المهر غالي
 (قال الراوي) فلما سمع حساس شعرها ونظامها أجابها يقول على كلامها
 يهدين اليدين :

تعالى اسمعوا قولي اليامة تقول المهر لا أعطيه غالي
 فاني قاصد أخذه سريعا ولا أخشى بعده ولا أبالي
 (قال الراوي) فلما فرغ حساس من شعره نزل عن ظهر الفرس ودخل إلى
 لاصطبل فوجد المهر فوضع عليه العدة وركبه وقال اليامة قد أخذت الحصان
 وغدا أطاردكم على ظهره ثم سار وهو فرحان حتى وصل إلى الاوطان فقال لآخيه
 قد أتيت بالحصان ومرادى أجربه في الميدان فاستعدوا ثلاثين رأسا من الخيل
 للصواف فاركبهم واكنوا في عشر مكامن وأنا أمر عليكم أسرع من الريح
 فاتبعوني في البر الفسيح فان سبق هذا الجوار بلفظ المراد في الحرب وانطراد
 فأجابه إلى ما طلب وأراد وركبو الخيول الجياد وركب سلطان أخو حساس
 القميرة ووقف في آخر كمين وركب حساس ذلك الحصان وأطلق له العنان فسار
 في تلك القفار أسرع من الطير لما طار ولما اقترب من الخيل تبعته فسبقها جميعا
 ماعدا القميرة ففرح حساس ثم نزل عن ظهره وأمر العبيد أن يربطوه بقرب صيوانه
 ووكل به مائة عبد وقال لقد أقبل عاينا السعد وسوف نقتل ذلك الوغد .

(قال الراوي) هذا ما كان من حساس وأما الزير فإنه عند رجوعه من الصيد
 استغنى ذلك الحصان فلم يجده مع الخيل فصعد إلى القصر وسأل اليامة وأشار بقوله

يقول الزير أبو ليلى المهازل	بدمع قد جرى مني بداد
يمامة رحت أنا للصيد قانص	وقوى ولاخوتي ثم الجياد
لنا عشرون يوما في قلاوة	ودرنا من بلاد إلى بلاد
وصدنا طيورا ووحوشا كثيرة	ودرنا رجعا للبلاد
وجيت مهر أخى فما لقته	شرد بعقلي وعنى عاد غاد
فأين المهر قوطر يا يمامة	عدم صبرى وفارقنى رشادى
أما المهر أم أحد أخذه	من الاوباش والناس الاعادى

فلما سمعت البياضة شعر عهها أجايتها تقول :

تقول البياضة يا عم إسمع
أبي جساس أخذه غصب عني
فقلت تأخذه يا خال تندم
فقال غدا ألافكم بعزمي
له يا عم ثلاث أيام غايبه
فقم يا عم شد الخيل واركب
وميل على بي مرة بسيفك
يا عمى عدية اليوم يومك
وهاؤوا رأس جساس سريعا
فلما فرغت من شعرها ونظامها أجايتها الزير يقول :

يقول الزير قهار الأعادي
غدا لا بد أجد في لقاهم
وأخذ ثارنا من آل بكر
وأخذ مهرنا المدعو بعندم
فمن يذهب يقول لأولاد مرة
أنا كم مهلهل مع آل تغلب
ألا يا آل مرة سوف أشفي
ولا يخفناكم يا آل مرة
أنا السبع الجسور في كل وادي
واحصد جمعهم يوم الجهاد
وأطفى النار من طي القوادي
ويظهر ذكرنا بين العبادي
أنا كم اليوم دباح الأعادي
أسود الحرب في يوم الطراد
نقتل سادتكم قوادي
بقتل كليب صرتم لي أعادي

فلما فرغ الزير من شعره دخل وجلس في الديوان وجمع إخوته والأمراء
والأعيان وأخبرهم بواقعة الحال وقال لهم ما رأيكم في استجلاب الحصان فقالوا له
الرأي رأيك ونحن طوع يدك قال متى كان الصباح تركبوا في ثلاثة آلاف فارس
وتسكنوا في وادي الهجين وأنا أكن في وادي المظلا وكان هذا المكان يبعد عن
بني مرة مسافة ميل ثم قال لآخيه عدية وأنت قم الآن وغير ثيابك وزيك والبس
ثياب ممزقة حتى لا أحد يعود يعرفك واذهب لحى بني مرة وتجلس بقرب صيوانه
جساس فإذا سألوك عن بلادك ومبتك فقل لهم إني من بلاد الصعيد ومهنتي هي
مياسة الخيل وأنا قد بلغني أن جساس من محبته في الحصان كل يوم يساهمه إلى سايس
فإذا قال لك هل تريد أن نخدم عندي وتسوس هذا المهر فقل نعم حتى إذا تمكنت

فنه تركب ظهره وتلحقنا إلى ذلك المكان فتى صرت هناك لا تخف ولا تحسب لهم حساب ولو كانوا بعدد التراب فإنى سأبيد جميعهم بعون رب العالمين وآخذ ثأرهم من جساس اللعين فاستصوب رأيهم ولبس ثياب ممزقة وتعمم بعمامة والتحف بحرام حقيق وغير زيه وتتكبر وسار يقطع البر الاقفر إلى أن دخل حتى بنو مرة فقصده صيوان جساس وكان قد أقبل الليل فرقد بين أطناب الخيام ولما كان الصباح جلس الأمير جساس واجتمعت حوله أكابر الناس ثم وضعوا موائد الطعام وأخذوا يتذاكرون بالكلام فيبيناهم كذلك إذ حانت من جساس التفاتة فرأى عديّة وهو على تلك الصفات فشفق عليه وقال لبعض غلمانہ أطعم هذا الفقير واسأله عن حاجته فأخذ له الغلام طبق الطعام وسأله عن بلاده فقال إننى من بلاد الصعيد ومنهتنى سياسة خيل الاما جيد فقد جار على الزمان فأتيت من الاوطان قاصداً أهل النضل والإحسان إلى أن وصلت إلى هذا المكان فطيب الغلام خاطره وأعلم مولاه بحاله فقال جساس إذا كان بلاد الصعيد فهو أدري بسياسة الخيل من العبيد فدعوه يسوس لنا عند المهر الجديد وأنا أعطيه كل ما يريد وإن وجدته من الماهرين سلمته جميع خيلي وجعلته رئيس اصغلي فلما قال له الغلام هذا الكلام دعا لجساس بطول العمر ثم لأنه تحزم وتقدم إلى المهر ففك قيود رجله وقبلة بين عينيه وقال هذا يومك يا جوادى فقد بلغت الآن مرادى وكان المهر لما رأى صاحبه عرفه فقال إليه وآلفه فتمعجب جساس وباقي الناس لان الجواد كان لا يألف أحد من العبيد المركلين عليه وكان كل من قاربه ضربه بيده ورجله فقال جساس وحق رب الانام إن هذا السائن يستحق الإكرام والإنعام وكان عديّة لما تمكن من المهر ركب على ظهره ثم لكره برجله وصاح فسار مثل هبوب الرياح وجد في قطع البطاح كأنه طير بلا جناح فلما رأى جساس تلك الحال تغيرت منه الاحوال وعلم إنها حيلة قد تمت عليه ولطم على خديه ووجهه وصاح على الابطال والفرسان وقال دونكم وهذا الشيطان فقد احتال علينا وأخذ عنا بالمكر والاحتيال حتى نال طلبه وبلغ قصده وأربه فعند ذلك ركب الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول وتبعوه في تلك السهول وهم يصيحون وواه ويحمدون في قطع الفلاة إلى أن وصل إلى ذلك الوادى القدير فوجد أخاه الزير وهو كامن هناك في جماعة من الابطال صناديد الرجال فأعلمه بواقعة الحال فقال خذ حذرک الآن فقد أتتك الفرسان من كل جانب ومكان

فتبسم المهلهل وقال سوف رى ما أفعل ثم إنه نزل عن ظهر حصانه وأعطاه
 لأخيه وأخذ المهلهل الأدهم ووضع عليه عدة جواده ثم ركب وتللم وإذا بالخيـل
 والمواكب قد حاطت به من كل جانب فصاح عليهم وحمل بقاب أقوى من الجبل
 ومال عليهم بالحسام كأنه ليث الآجام فطير الرؤوس عن الأجسام وقتك فيهم
 فتك الذئاب بالأغنام وفي أقل من ساعة أدركته بريمة الجماعة الذين كانوا مكنين
 في وادى الهجين فانصبوا عليهم كالشواهين من الشمال واليمين وكان قد وصل
 الخبر إلى حساس فأخذه القلق والوسواس فركب بياق الأبطال ومن يعتمد عليهم
 من الرجال وقصد ذلك المكان وقاتل قتال الشجعان والتقت الرجال بالرجال
 والأبطال بالأبطال وعظمت الأهوال وجرى الدم وسال وكثر القيل والقال
 وتزلزلت الأرض من هول القتال وكانت واقعة عظيمة لم يسمع بمنلها في الأيام
 القديمة انهزم فيها حساس أقبح هزيمة وغنم المهلهل غنيمة جسيمة لها قدر وقيمة
 ورجع إلى الديار بالعز والانتصار فالتفتة النساء بالدفوف والمزامير ثم طاع إلى
 النصر وهو منشرح الصدر فشكرته بنات أخيه على ما فعل وقان لله درك من بطل
 فقد أخذت النار وطفيت من القلوب لميب النار فإله يحفظك ويميقك وينصرك على
 حسادك وأعاديك فشكرهن على ذلك الكلام وبعد أن خلع ثيابه جلس للطعام
 وشرب المدام ثم خلت أمه فقبلته بين عينييه وهنأته بذلك الانتصار وطبت منه
 أن يرفع عن بنى مرة السيف البتار فاستقبلها بالوقار والاعتبار وقال لها والله
 إني لا أصالحهم يا أماه حتى يعود كليب إلى قيد الحياة ثم تذكر تلك الواقعة وما
 جرى له في تلك الأيام مع القوم فأنشد يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الزير أبو ليلى المهلهل	وقلب الزير قاسى ما يئينا
وإن لان الحديد ما لان قننى	وقلى من حديد القاسيينا
تريدى يا أمية أن أصالح	وما تدرى بما فعلوه فينا
فسمع سنين قد مرت على	أبيت الليل مغموماً حزينا
أبات الليل أنعى في كليب	أقول لعله يأتى إلينا
كان كليب فى رؤوس المملا	تغشاء ذئاب الجائعينا
أتنى ذناته تيكى وتنمى	تقول السوم صرنا حارينا
فقد غابت عيون أخيك عنا	وخلانا يتامى قاصرنا

ملك السيف في وجه اليمامة
وأنت اليوم يا هني مكانه
وقلت لها ما تقول
كئيل السبع في صدمات قوم
فدوسي يا يمامة فوق رأس
فإن دارت رحالنا مع رحام
أقاتلهم على ظهر المهر
فشدى يا يمامة المهر شدى
وهاتى حربى رطلين وأزود
ونادى على عندي وكل قومي
ونادى إخوتي يأتوا سرياً
فنادهم أتوا كاسود غاب
ويأتوا بحرسون الليل كله
وقلت لها أمام الحاضرينا
وليس لنا نغيرك معينا
أنك عمك حماة الحائفينا
أقلمهم شمالاً مع يميننا
على شائى إذا كنا نسينا
طحناهم وكنا الطاحنيننا
أبو حجلان مطلق اليميننا
وأكسى ظهره السرج المتينا
وحطباها على عدد متينا
صناديد الحرب المانعيننا
لنلقى جيش بكر أجمعينا
وقالوا قد أتينا يا أخينا
وقضوا الليل كله وساهرينا

(قال الراوى) فلما فرغ الزير من شعره ونظامه شكره الجميع على مقاله وباتوا
تلك الليلة في سرور وانشراح ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أمر الزير
قومه بالاستعداد للحرب فركب ظهر الجواد وتبعته الفرسان والقواد وقصدوا
بنى مرة بقلوب قوية وهم عليه فالتقاهم حساس مع إخوته وأهله واشتبك بينهم
القتال وعظمت الأهوال وابتلت بنى مرة بالبلاء والويل وكان الزير يحمى فيهم
بالنهار والليل واستمر القتال بين الفريقين مدة سنتين حتى فقد من بنى مرة في
هذا الحرب الأخير نحو اثني عشر ألف أمير عدا السادات والأكابر والجيوش
والعساكر وكان الزير يأمر قومه بقطع الرؤوس ووضعها في الخازن لأنه كان قد
أقسم بالله العظيم أن يملأ البيوت من جماجمهم وباقي الأماكن فلما طال المطال
واشتدت على بكر الأهوال اجتمعت أكابر الناس مع الأمير حساس وأخذوا
يتفاوضون كيف يتخلصون لأن الزير لا يقبل منهم فدى وجميع سائلهم
التي استعملوها في توقيف الحرب راحت سدى فقال سلطان أخيه حساس أعلم
يا أخى بأن الزير في كل صباح يمر على قبر أخيه فيجيبه بالسلام ويقول له
قد قتلت في ثأرك فلان وفلان فهل أكتفيت أم لا فلا يجيبه أحد فالرأى

عندى أن نتخبروا رجلاً وتضعوه داخل القبة بحيث لا يراه أحد فإذا مر الزير على القبر حسب عادته وسأل أخاه ذلك السؤال فيجيبه الرجل بصوت خفيف من قلبه ضئيف لقد اكتفيت يا أخى فاعمد سيفك من هذا اليوم عن قتال القوم وإيّاك أذية البشر فإن ذلك مما يجلب على الضرر فإذا سمع هذا المقال فلربما ينظلي عليه الحال فيكف عن الحرب والقتال فتستريح من القيل والقال فاستصوب جسّاس وباقي الاعيان رأى الامير سلطان .

(قال الراوى) وكان في القبيلة رجل فقير الحال عديم الاشغال فاستدعاه جسّاس إليه وقص ذلك الكلام عليه وقال له إذا بلغنا الأرب وأجبنا إلى الطالبه أعطيتك مهما تريد المال والعبيد فقال الاجرة مليحة ولكن الطريقة خطيرة فحيحة فأخذ جسّاس يحسه بالكلام ويرغبه في هذا بالشعر والنظام :

على ما قال جسّاس بنى مرة	ألا يا فارغ الاشغال اسمع
قلى عندك حاجة صغيرة	فتمضيها سريعاً ثم ترجع
فإن الزير لا شانا جميعاً	وفرّق جمعنا في كل موضع
ولا يقبل رجاء ولا عطايا	وعن الافعال ما كان يرجع
بشار كليب صرنا شرايد	اعدم في الوغى كل ليث أروع
يمر في قبره في كل صباح	ويزعق بصوت للأكبأ يصدع
يقول ألا نعمت أخى صباحاً	أيكفى ما قتلت تريد أرجع
فأذهب واختبى في القبر حالا	إذا صاح الملهل أنت تسمع
إذا سألك أحارب أو أصالح	أجيبه أنت محفوظ أرجع
إن رضيت منهم نلت تارى	وأنت بقتلهم لا عدت تطمع
لعمري يظن إنك أنت أخيه	فيصفح عن ما آتينا ويرجع

(قال الراوى) فلما فرغ جسّاس من هذا المقال قال له عديم الاشغال على الرأس واليمين ولما كان الليل حفروا سرادباً وصلوه إلى القبر وأدخلوا ذلك الرجل فيه ، ولما كان الصباح ركب اليرير ظهر الحصان وتبعه الابطال والفرسان ومر على قبر أخيه حسب عادته وتنادى بصوت عال نعمت صباحاً يا أخى كليب فقد قتلت في ثارك نهار أمس خمسة آلاف نفس أيكفى ما قتلت منهم أو أرجع افتيهم عن تكره أبهم (م. — اليرير سالم)

فأجابه ذلك الرجل من القبر بصوت خفيف وأنت أنعمت صباحاً يا أخى الخنون
ياساقى الضد كاس المنون كف الحرب فقد اكنفيت وإن قاتلتهم بعد
اليوم تكون قد تعديت وبغيت فتزيدنى ضرراً وغماً وكدرأ فإن نفسى قد بلغت
مناها ونالت مشتهاها فكثرت خيراتك وزادت الدنيا مسراتك .

(قال الراوى) فلما سمع الزير هذا الكلام زالت آتراحه وزاد فرحاً وانشراحه
وقال سبحان الرحمن الرحيم الذى يحى العظام وهى رميم أنت يا أخى بخير ونحن
بعدك نقامى الضنك والضير ثم نزل عن ظهر الحصان ودخل إلى القبر وهو فرحان
وقال إذا كنت بخير يا أبا اليمامة فما هى هذه السكنة والإقامة بعد العز والكرامة
فقمم إلى عند بئائك فانهن فى حزن وكدر ثم تقدم إليه وتأمل فيه بالنظر فرآه إنه
ذلك الرجل المعهود فغاب المهلهل عن الوجود فجذبه من لحيته وأخرجه من
السرداب وقال له أصدقنى بالخطاب فمن أنت ومن تكون قبل أن تشرب كاس
المنون فأعلمه بواقعة الحال وحقيقة الاعمال فسل السيف ليقتله وقد أغاظه فعله
فقال أنا بجيرة كليب أخيك فلا كان من يعاديك وقد غرتى جهلى من قلة عقلى
حتى جرى ماجرى يا نخر الورى .

فلما سمع الزير كلامه أبدى ابتسامة فصفح عنه وأعطاه جواداً من أطايب خيل
العرب والى دينار من الذهب فدعا له بطول العمر وخرج من القبر وهو يقول :
والله إن الأمير كليب يحمى اليوم الحائف فى ممانه كما كان يحميه فى أيام حياته ثم
رجع إلى القبيلة وهو يتعجب من تلك الحيلة وفى الغدركب فرقة من الأبطال وقصدوا
بنو مرة واشتبك بينهم القتال وعظمت الأهوال وما زالوا فى قتال وحدام مدة
عشرة أيام فانكسرت بنو مرة أشد انكسار وقتل الزير مقتلة عظيمة المقدار وكان
يأتى برأس سادات الجماعة فيضعها على قبر كليب مدة ساعة ثم يذقها تحت الثرى
ويبنى فوقها القصور والقرى وكان كلما أقبل من الحرب فى المساء تلتقيه اليمامة مع
جماعة من الفسقاء فيقول ياسيد الناس هل أتيت برأس خالنا جساس حتى نخلع السواد
ويطيب القواد فيقول كوني براحة بال فسوف تبلغين الآمال بإذن الإله اسعال .
هذا ما كان من المهلهل وأما جساس فإنه قد استقبل ولما ضاق به الحال اجتمع
أهله وعشيرته وعقدوا بينهم ديواناً فاستقر رأيهم على أن يذهبوا إلى بلاد الحبشة
والسواد ويلجأوا بالملك الرعيني ابن أخت التبع حسان فركب فى ثانى الايام
بشرته وأكابر عشيرته وأشد سدة أنته الجيلة فخرج لهم حريم الملك الرعيني

وبقي أخوه شوايش في الحى وكان هذا الرجل يحب الزير من أيام صباه فمئذ رحيل
جساس حضر شوايش إلى عند الزير وأعلمه بما جرى وكان من مسير إخواته إلى
عند ملك الحبشة والسودان فأعطاه الزير الأمان وقال له إني ماعدت أحاربكم من
الآن حتى نحضر إخواتك إلى الأوطان بالأبطال والفرسان وتوقف الزير من ذلك
اليوم عن محاربة القوم وصار يصرف أوقاته بالصيد والقتص هذا ما كان من المهلهل
وأما جساس فإنه قد جرى في قطع القفار حتى وصل إلى بلاد الحبشة وتلك
الديار ودخل على الملك الرعيني ووقع عليه بعد ما أعلمه بحالهم الحاضرة وطلب
منه النجدة والمساعدة على حرب الزير وذكر له أيضا بأن كليب قتل خاله تبع حسام
وقتله هو وبقتله قام أخوه الزير يحاربهم حتى كاد أن يفتنهم فلما سمع الرعيني هذا
الكلام قال لقد بلغت اليوم منكم المرام ولا بد من ذبحكم بحد الحسام لأنكم من
قوم لئام قتلتم خالي وأنتم تستجيرون بي ثم أمر بقبضهم وكانت الجلييلة واقفة على
باب الصيوان وهي مثل الطاووس لابسة آخر الملبوس كأنها العروس فلما شاهدت
ما جرى على قومها خافت من العواقب فشقت المواقب وتمثلت أمام الرعيني فقبلت
أياديها ودعت له بطول العمر فلما رآها الرعيني تعجب من فرط حسنها قال قلبه إليها
ووقع في شرك هواها فقال لها من تكونين يا مهجة الفؤاد وبغية المراد فقالت له
أأخت القوم الذين أمرت بقبضهم بدون ذنب ثم أشارت تقول :

ما قالت الجلييلة بنت مرة	أيا أبو فهد اصحى دير بالك
وانظر يا سياج البيض فينا	وانظر الذي وقفوا قبالك
أنا لقيتك يا ملك الوادى	يا من بالملأ شاعت فعالك
ملوك الأرض كنايا مسمى	فأنت نظيرنا ونحن مثالك
فالذى جرى كله مقدر	أيا نحر الورى من قتل خالك
قتل خالك كليب في حسامه	وقام أخى الذى واقف تبالك
قتل لكليب خالك بسيفه	كرامة خاطرك واصفى بالك
ظهر لكليب أخ اسمه المهلهل	حرمتنا التوم زاد الله مالك
قتل منا أما جيد كثيرة	أقينا واقفين على ديارك
فهذا اليوم يومك يا مسمى	فدق الطبل واركب فى رجالك
وسر معنا إلى الزير المهلهل	فاقتل ودوسه فى نعالك

ونحكم سائر العربان يا مالك
ولا تشمت العدا يا أمير فينا
وأنت صمدع شهم كريم
(قال الراوى) فلما فرغت الجليلة من نظامها وفهم غوى قصدها ومرامها
ثارت في رأسه الحمية وقال قد فهمت قولك يا صبية ثم أشار يقول وعمر السامعين
بطول :

قال الرعيني أبو فهد قال
وأنتم افهموا قولى يا مالوك
أليس تلتجوا فى الجميع
من حرر الزير يا أهل الكرم
فوحياة رأسى ورحمة أبى
لا ركب عليه بكل الفحول
واقتل عداكم بجاه السيوف
جليلة طيبي أنت وأبشرى
يا أخى غطاس انهض الآن
نادى على الجيش أن يركبوا
ودقوا الطبول وشدوا الخيول
فدعنا نسير نزيل عسير
عن أولاد مرة هذا النكال

(قال الراوى) فلما فرغ الرعيني من كلامه نهض أخو غطاس الوزير وجمعوا
الأبطال والفرسان والعساكر السودان ونادى المنادى أن السفر يكون بعد ثلاثة
أيام ولما تجهزت العساكر للمسير لحرب الزير كان عندهم ستمائة ألف بطل ففرح
جساس ومن معه من الناس لما رأوا تلك المهيول قد امتلأت بالخيول وفى اليوم
الثالث دقت الطبول ولحمت النصول وسارت العساكر كالبحور الزواجر فى أوائهم
الملك الوعيني وأكابر دولته وجساس وباقي عشيرته وما زالوا يقطعون البرارى
والآكام حتى وصلوا إلى بلاد الشام فأرسل جساس يعلم قومه بقدوم هذا العسكر
وأن يهيئوا لهم الأطعمة والذخر فلما سمعوا هذا الخبر فرحوا فرحاً عظيماً وهيئوا
طعم ما يحتاجون إليه من الطعام والمداوم وخرجت النساء والرجال للقائهم فلما

وصلوا إلى الديار نزولوا في المضارب والحيام وقد تبائن قوم حساس بالنجاح
والظفر وبلوغ الآمال .

(قال الراوى) كل هذا يجرى والوزير ليس عنده خبر بشئ من هذه الامور
بل كان مواظبا على السرور وشرب الخمر فينما هو كذلك إذ دخل عليه اخوه
عدى وقال له أنت جالس في صدك ولا تدري بما دهاك من أعداك وأشار بقشه
فيقول :

لقد قال الفتى المدعو عديا	ردم العين فوق الخد ساجم
أراك اليوم في زهو وهو	تنبه يا اخي إن كنت قائم
فقم وانظر على ماسوف يجرى	من الاعداء يا ابن الاكارم
أنونا قوم مرة بالرعى	ملك جبار بالاحكام ظالم
لقد ذهبوا إليه يا مهلهل	بفاء بست كرات عوالم
هم من كل قوم ليت أروع	وهو من بيتهم مثل الصقر حاتم
تبدي الوزير حالا ثم قال له	تخاف من العدى وأخوك سالم
أنا وحدى الأقيهم بعزى	أنا النعاس في يوم الزحام
واني سوف أقتلك بالرعى	واقطع رأسه والله عالم
وأقفي جيشه مع جيش مرة	أنا المقدم ما بين المعالم

(قال الراوى) فلما فرغ الوزير من نظامه وفهمت قومه خوى كلامه تعجبوا
من هذا المقال وشكروه على تلك الفعال وأخذوا يستعدون للحرب والقتال .
وأما الوزير فإنه صبر إلى الليل فقير زيه وتنكر حتى لم يعد يعرفه أحد من البشر
وجعل نفسه كأحد شعراء العرب الذين يقصدون الامراء وأرباب المناصب والرتب
طعما في الفضة والذهب ثم ركب الحصان وتقلد بالحسام من تحت الثياب وأخذ
معه بعض الغلمان وسار إلى قبيلة بني مرة ولم يعلم به إنسان ولما اقترب من الحلة
نزل عن ظهر الجواد وسلمه إلى الغلام وقصد المضارب والحيام حتى وصل إلى
هيوان الرعى فوجده جالس وحده فدخل وسلم عليه وتمثل بين يديه فلما رآه
الرعى في ذلك المنظر خاف وانذر وسأله عن مهمته فقال إننى شاعر أطوف على
الامراء والاكابر فأحصل منهم على الانعام ومزيد الإكرام وقد سمعت أنك فى بني
مرة فأنت قاصدك من مويثة البصرة إلى أن تشرف بطلانك وتمثل أمام حضرة ملك

(قال الراوى) وكان للرعيني زوجة تدعى بدور كانت خلف الستار
تسمعت ما دار بينهما من الايراد فأرسلت جاريتها تقول للملك أن يأمر الشاعر
بالإنشاد فقال الرعيني انشد يا شاعر فأشدد يقول :

قال الاديب الذى طالب إحسانك	جرحى بوسط الحشا والقلب بزار
يا بوفهد يا رعيني استمع ما أقول	يا من قلوب المدا بالروع مزار
قد كنت قبلا فى خير وفى نعم	مستورا ما بين أهلى ما أنا ممتاز
فصرت شاعر على الاجواد	أطوى الاراضى ماشى على عكاز
قالوا فسر للرعيني مقصد الشعر	فذاك جواد يعطى كل ممتاز
تجئت طالبا إحسانك وإكرامك	يا من حويت المكارم بعطا الممتاز

(تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس)

الجزء السادس

من قصة الزير أبو ليلي المهلهل

(قال الراوي) فلما فرغ الزير من كلامه أمر الملك الخزندار أن يعطيه ألف دينار فعند ذلك سل الزير سيفه الأبر أسرع من لمح البصر وضرب الرعيني على عاتقه خرج من علاقته ثم مال على الطواشية والخدام بضرب الحسام وبعد ذلك هجم على الخيام كسبع الآجام فقتل الرجال ومدد الأبطال فوقع في السودان الضجيج والصياح والعيول والنواح فخرجت الأبطال من المضارب وركبوا ظهور الجنائب فتقلدوا بالسيوف وهجموا على بني مرة صفوف صفوف وهم لم يعملوا سبب ذلك الوليل من شدة سواد الليل غير أنهم ظنوا بني مرة قد خدعوه حتى أتوا معهم إلى بلادهم فقتلوا ملكهم وغدروهم فلما رأى حساس ما حل بقومه من السودان استعظم ذلك الشأن فركب جواده وتبعته أجناده واضطرب أن يدافع عن نفسه ويحامي عن أبناء نفسه فمات تلك الليلة حتى استقتل وفعلت وجاله مثلها فعل وكانت ليلة مهولة وحادثة غير مأمولة كثر فيها القتل والجراح إلى وقت الصباح وكان المهلهل لما بلغ القصد والامل بذلك العمل أرسل عبده في الحال إلى الاطلاع في طلب الفرسان والأبطال فحضروا عند طالع النهار وأحاطوا بالاعادي من اليمين واليسار وحكموا قهيم ضرب السيف البتار واستمر الحرب والصدام بين القوم ثلاثة أيام حتى أبلاهم المهلهل بالويل والدمار وقتل منهم كل بطل مغوار وأسد كرار وكان من جملة المقتولين الأمير غطاس قائد جيش السودان فلما رأت الجيش ما حل به من الهوان ولت الأدبار وأوسعت في جوانب القفار وكذلك انهزم حساس ومن تبعه من الناس وتفرقوا بالفلاة وهم يفسدون النجاة ورجع الزير مع قومه النغابيين غانمين ظافرين فدخل القصر بالعز والنصر وصحبته أكابر القواد الذين عليهم الاعتماد وهم يثنون على المهلهل ويقولون لا عدونا طلعك أيها البطل فبسيبك فلنا المراد وقهرنا الاعادي والحساد فلا زالت أيامك في سعود وعدوك مقهور ومكود ثم إنهم أكلوا الطعام وشربوا المشام وبنوا تلك الليلة في سرور وأفراح على ذلك

ثم تضرع .

وأما الأمير جساس فإنه بات في قلق ووسواس وندم على ما فعل وقطع من سلامته الأمل ولا سيما لما بلغته الأخبار بأن ذلك الاختلاف والاسكسار الذي جرى عليهم في الليل والنهار كان بحيلة المهلهل الأسد المكرار فراد همه وحظهم حزنه ورغبه فكانت قبائل العرب يطلب منها المساعدة على قتال بني تغلب فانضمت عدة قبائل برسم المساعدة وصاروا جميعهم يداً واحدة وكذلك انضم مع الوزير جملة قبائل مشاهير حتى لم يبق في بلاد العرب قبيلة إلا وانضمت مع بني تغلب .

(قال الراوى) من غريب الانفاق المستحق التسطير في الأوراق بأن الأمير مهلهل خرج ذات يوم في عشرة آلاف بطل ومعه الأمير كتياف وكان من أشرف تغلب وفرسانها الغطاريف وتبطن في جوانب القفر ليحس أحوال بني بكر فر بقبيلة من قبائل العرب يقال لهم بنو تميم وهم من فرع تغلب وكانت هذه القبيلة ذات خيرات جزيلة واجتمع المهلهل بفرسانها وسيدها الأمير عمرو وقال لهم اركبوا معنا يا بني تميم لقتال بني بكر فأبوا وقالوا عن فرد لسان لا نحارب من لم يحاربنا من العربان فقال المهلهل أما شملتكم الحرب لحد الآن فقالوا لا يا فارس الميدان فقال فوجئ الإله العتائق ما كنت أظن إنها شملت كل من في المغارب والمشارق ومادام الامر كذلك يا وجوه العرب تنحوا عن منازلكم خوفاً من حلول العرب واقصدوا غير هذه الديار مرادنا أن نقاتلهم تحت ستور الاعتكار فإن حاربناهم لا تأمنون على أنفسكم من شرهم وأذاهم لأنكم فرع من قبيلة بني تغلب فينتقمون منكم لهذا السبب فقالوا ما علينا من بأس فإنهم يحاربون من يتعرض لهم من الناس فاغتاظ المهلهل من هذا الكلام وكان عليه أشد من ضرب الحسام فتركهم وسار من الأثر بمن معه من العسكر وجد في قطع القفار فالتقى بقوم من بني بكر في ذلك الجوار فكبسهم تحت ظلام الليل وأبلاهم بالنبل والويل فسلب أموالهم وقتل رجالهم وأخذ رؤوس ساداتهم العظام ورجع في الظلام وطرح الرؤوس بين خيل القوم المعتزلين من بني تميم المذكورين كانوا راقدين ثم تركهم وارتحل وسار حتى عجل فلما استيقظت بنو تميم من المنام ورأت الرؤوس بين أطناب النيام فأيقنوا أنها مكيدة من المهلهل فراد بهم الخوف والوجل وعلموا أنه لا بد أن العدو يتهمم بذلك العمل فنهضوا وارتحلوا من أطلالهم ومواشيهم وأموالهم وانضمروا إلى قبيلة بني تغلب والتجأوا بالمهلهل فارس العجم والعرب فلم يبق قبيلة من قبائل العربان في ذلك الزمان إلا شملتها الحرب والهوان .

(قال الراوى) ولما عظم الامر على حساس وضافت به الانفاس فصعد
العابد نعمان الذى تقدم ذكره قبل الآن فوقع عليه وشكا خاله اليه وبكى بين يديه
وطلب منه أن يسير بالعجل ويقصد الأمير مهلهل ويطلب منه كف الحرب والطعان
مدة من الزمان لحينما ترتاح النفوس والقلوب من هول تلك الحرب التى أهلكت
الرجال ورملت النساء ويتمت الاطفال فلما سمع قوله رق له فدار إلى عند المهلهل
في الحال وطلب منه أن يكف القتال ولو برهه قصيرة ومدة يسيرة وذلك لراحة
القبيلتين وخير الفريقين فاجابة إلى ذلك المدام لانه كان يحبه دون ابي الانام وأمر
بتوقيف الحرب عن القوم من ذلك اليوم واشتغل المهلهل في تلاءم الايام بالملاهي
وشرب المدام وأكل الطعام وسماع الاصوات والانغام ومعاناة النساء في الصباح
والمساء وكان حساس يترقب على المهلهل الفرص ليقتله ويزيل ما بقلبه من الغصص
فبلغه في بعض الايام أن الزير طريح الفراش في الخيام من كثرة شرب المدام
وأن إخوته قد خرجوا للصيد ولا يرجعون إلا بعد ثلاثة أيام فجمع إخوته
وأعلمهم بذلك الخبر واتفق رأيهم أنه بعد غروب الشمس يركب أخزم سلطان
في جماعة من الفرسان وبكيس سالم الزير على حين غفلة ولما كان الليل ركب
سلطان في ثلاثة آلاف بطل وقصد حى المهلهل ولما صار هناك هجم عليه وهو
واقف في الخيمة سكران فأحاطت به الفرسان وقبضوا عليه وأوثقوه كتافاً .
ثم نزلوا عليه بالسيوف إلى أن أنخنوه بالجراح وأتلفوه حتى صار عسرة لمن
اعتبر وكان دمه يسيل كالطر فزادت أفراحهم وزالت أراحهم وقالوا لقد طغنا
الارب ورفعنا الحرب عن العرب .

ثم إنهم وضعوه في جلد جاموس وأخذوه إلى عند أخته ضباع وقالوا لها
لقد أتيناك بقاتل ولدك نخذه واشنى منه غليل كبذك فيأما قتل ويتم ورمل
فما هان عليها ذلك الامر لكنها أظهرت لهم السرور والفرح وقالت إن جزاء
الغدار الحرق بالنار ثم تركوها وساروا وأما هي فقد احتارت في أمرها
وزادت أحزانها عليها وإنه وإن قتل ولدها فإنه شيد للقبيلة ذكر لا يبور
على مدى الدهور .

فبينما هي في بحر الافتكار وإذا به قد فاق من غشوته وصحى من سكرته وقال

وهو على آخر رمق سبى الحى الدائم ثم صاح يطلب عبده شهوان وهو يظن
أنه في ذلك المكان فقات له ضباغ قد انتقموا منك أعداك فاصحى فقد ذهبت
الموت والهلاك فلما رأى ذاته عند أخيه وعبر على تلك الحال أشعر وقال :

قال الزير أبو ليلى الملهل	ونار الحزن توفد في حشا
فكان كليب ملك البرايا	أنى جساس غدره بالفلاء
جلست في مكانه أخذ لثاره	وكنت أنعمه صبأها مع مسا
فقال الشيخ كف الحرب عاجل	ولا تقتل لسيف ولا قناه
جلست بخيمتى والذن جنى	وعندى العبد ما عندى سواه
وقرمى كلهم للصيد راحوا	فعرفوا القوم مع بانى العدا
أنونى والمقدور كان كائن	وحلى كل بما أن تراه
أتوا بي لعندك يا أخت حتى	تنالى الثار يا غايه مناه
كلينى يا ضباغ أو اقلينى	أنا أخرك إذا احتبك القناه
فاننى تشبى اللبوات حقا	وإنى مشبه سبع الفلاء
فألقينى بصندوق مزفت	وارمينى بهجر فى مياه
أيا أسما افعلى أنت بأصلك	ربيعه يبتلى ما غياه

(قال الراوى) فلما فرغ الزير من كلامه غاب عن الوجود وصار فى صفة
المفقود وكانت ضباغ لما سمعت من أخيها هذا الكلام صار الضيا فى عينها ظلام
ثم لأنها جاءت بصندوق كبير فوضعت فيه سالم البروز فنته وطلته بالفار وكان
عندها عبدان أمرتهما أن يحملا ذلك الصندوق ويلقياه فى البحر فحملاه وسارت
هى معهما تحت جناح الظلام إلى أن وصلا إلى شاطئ البحر فطرحاه هناك فى البحر
ثم بكى ضباغ عندما غاب عنها أخيها ورجعت تنوح من فؤاد مجروح تقول
يا ليتنى كنت فداك ولا كان من يسلاك فقد أحرقت قلبى بفراقك يا جميل المحامل
وغر الا و آخر ثم أشدت تقول بهذه الايات :

تقول ضباغ من قلب حزين	أيا عيني فريدى فى سكاما
كوانى البين فى أول زمان	رمانى الدهر فى أعظم بلاها
أيا دمعى فزيدى فى سخاكى	عسى عزونة فقدت أعاها
فقد كان ملوك البرايا	ومن أعلاموك الارض جاها
كليب جساس الذى قتله	طمعنه طمعه يرمحه فى قفاما

ترك دمه على الأرض فاير
وقام الزير كي يأخذ بثاره
لقد قتله سلطان بغدر
فقال خذوه إلى أخته الحزينة
لخفيه في صندوق مقفل
وقلت له روح يا جل الماهل
وقلت قتله يا غر قومك
أيا يوماً أخذه الموج عاجل
فقلت له روح أيا سبع بغاب
وهذا صار في عصر الجميلة
فسر يا ربح واخبر اليمامة

ثم رجعت إلى الحى وصبرت حتى رجعت إختها وبني عمها من الصيد فأعلنتهم
بذلك القضية وما حل بالزير وقالت والله إنكم بعد الماهل تتعبون مع جساس
فتأسفوا جميعهم عليه وبكوا من فؤاد موجد ثم أن ضباع كتبت ما فعلت
بأخيها وشاع الخبر إنها أحرقت بالنار وأخذت النار ولما شاع الخبر وانتشر بين
الناس فرحت بنو مرة وجساس وأما إخوة الزير فإنهم شقوا ثيابهم من فرط
أحزانهم وأخذوا يمددوه ويندبوه بالأشعار ويدكرون ماله من محاسن الآثار
وكان أكثرهم حزناً أخوه عدى الذى يقول فيه :

أيا وبلى فدمع العين هلا
على فقد الفقى مهلهل
غدونا كنا للصيد عنه
وعند رجوعنا لم نلتقيه
فمن يوم أخيه كليب ول
وما فارق محله طول عمره
مهلهل راح من أولاد مرة
وبعده كيف عاد بصير فينا
ترى بعده سيحقتنا جميعاً

على الحدين من دمعى صباية
أنور العين تدرى ما أصابه
وهو جالس كأنه سبع غابه
فأحرق وسط مهجتها غيابه
فلا يسرح ولا يلتق صحابه
ولا نعرف له مدة غيابه
وسهم اللبن ذر لنا غرابه
لأن جساس مات بعد عذابه
بشتنا ولا نعلم عذابه

أيا إخواني ماذا نسوي
تعال أخى يا فرعان قوللى
أيا سراف يا ناصر تعالوا
ويا حنبل ويا باقى الأمانة
فقول الزبر ولى وراح منا
والمهلل ناصب الخيمة بعيد
وحده يسكر بليسه والنهار
فى ثلاثة آلاف فارس غامين
هجمت عليه يا أخى بالمهمل
ضربه جساس بالغ بالسيوف
ضربه حتى قطع منه النفس
ثم أخذه لأخته ضباع
أخذته حرقته بنار
هذا الذى فعلت بعدك يا همام

وأي نروح من هذه العصاة
فقللى والحشا يا أمير ذاه
أيا هزوز يا منية شباه
تعالوا واسمعوا منى الخطابه
قتيل ويندفن تحت الترابه
فى وسط بستان له يا حبيب
رحمت أنا إليه من بعد المغيب
كل فارس مثل سبع وديب
ورقعنا عليه بضرب عجيب
حتى صار دمه جارى صديب
رانطرح بلا مسعف ولا حبيب
لتأخذ بشار ولدها الحبيب
وألقته على جمر نار اللهب
يا حما البيض فى يوم النكيب

(قال الراوى) فلما انتهى سلطان من كلامه شكره جساس على إهتمامه وقال
بارك الله فيك يا همام فإن فملك هذا يبقى مدى الأيام ثم ساروا إلى الحى وهم فى
أفراح وسرور وانشرح ولما وصلوا إلى الصيوان جلس جساس فى الدوران
واجتمعت حوله الأبطال والفرسان ثم أمر بدق الطبول ونفخ الزمور وعمل ربيعة
عظيمة لها قد وقيمة فاجتمع فيها خلق كثير من كل أمير وسيد جطير ورقصت
النساء والبنات ودارت بينهم الأفراح والمسرات وانشرحت خواطر السادات
وكان عندهم ذلك النهار من أعظم الاعياد الكبار .

(قال الراوى) وكان لما بلغ بنو قيس حقيقة الخبر أن المهمل مات واندر
غابوا عن الوجود وأيقنوا بالموت الأحمر فرادت بليتهم وعظمت مصيبتهم فمنهم
من ارتحلوا من الديار وقصدوا الأمير جساس وطلبوا منه الأمان دون باقى الناس
فأعطاهم الأمان وجعلهم من جملة الخدام والغلمان ولم يبق عند إخوة الزير الاشراف
الا شردة يسيرة وعصبة حقيرة فقصدهم جساس بالأبطال ودار بهم من اليمين
والشمال فسلموا أمرهم إليه ووقعوا عليه فنهب أموالهم وأخذ نوقمهم وجمالهم ثم
أشترط عليهم أن لا يوقدوا نارا فى النهار والليل ولا يركبوا على ظهور المهمل بل

يصيرون مكانهم في الخيام فأجابوه إلى ذلك المرام خوفاً من الاندثار ونزول الدمار
 وبعد هذا رجع إلى الديار بالفرح والاستبشار فعمم شأنه وتأيد بالعزم مكانه وسار
 في مقام عظيم وحكم على السبعة أقاليم (قال الراوي) أما إخوة المهلب فإنهم بعد
 هذا العمل رحلوا من أطلالهم بأولادهم وأطفالهم ونزلوا في وادي السماب وهم
 يبكي وانتحاب وذل وعذاب وصبروا على حكم رب الأرباب هذا ماجرى لهؤلاء
 من العبر وأما الزير الأسد الغضنفر فإنه لما ألقته أخته في البحر كما سبق الخبر فقدفتها
 الأمواج في البحر العجاج إلى أن سافته التقادير الإلهية إلى مدينة بيروت وكان اسمها
 الخيرية وملسكها يدعى حكيم بن عزرا وكان من أجل الملوك قدراً واتفق بالأمور
 المقدر أن ثمانية من الصيادين بينهم يصطادون سمك نظروا ذلك الصندوق في البحر
 للعجاج تلعب فيه الأرياح وتقذفه طوارق الأمواج فقال أحدهم الآخر انظر يا صمويل
 هذا صندوق يارؤيل قد ساقه إلينا إله إسرائيل ثم إنهم قصدوه في الحال ومحبوه
 إلى الشاطئ بالحبال وذلك بعد تعب وتكدماً عليه من مزيد فقال رئيس الشختر
 لبقاى الأعوان تعالوا حتى نقسمه علينا الآن قبل أن نفتحه يا إخوان فتأخذ كل
 واحد منا حقه قدر ما يستحقه فأجابه بعض الرجال ما هو مرادك بهذا المقال فقال
 إن لي النصف ولكم الآخر لأنى صاحب الشختر ورئيس الأكر فقال وحق بخمار
 العذير ما تنال منه شيء يا شبيب ثم وقع بينهم الخصام وتشتبوا بالكلام فضرب
 أحدهم الرئيس بسكين فقتله وكان للرئيس أخ فضربه القاتل بالمقداد فجندله وما
 زالوا يتقاتلون طمعا بالمال حتى قتل منهم عدة رجال ولم يسلم سوى رجل واحد
 واتفق بالامر المقدر أن حكيم كان قد خرج في تلك الساعة مع أكاره ولاته للصيد
 والقنص فز من ذلك المكان فوجد الصندوق والرجل والقتل مطروحة على الأرض
 فوقف وسأل الصياد عن السبب فأخبره بواقعة الحال فتأمل الملك في الصندوق فتعجب
 من كبره وثقله وأد أن يعرف ما فيه فأمر بحمله إلى السرايا وارتد راجعاً مع باقي
 رجاله فلما صار هناك أمر بفتحه ففتحوه وإذا رجل طويل القامة عريض الهامة
 واسع المنكبين كبير القدمين مشخن بالجراح من ضرب السيوف وطعن الرماح
 وقال الملك لحواشيه ما وجدتم فيه قالوا يا ملك الزمان فيه إنسان كأنه من
 عطاريت السيد سليمان له عيون كعميون السباع فلما نظر الملك خاف وارتاع وقال
 للاتباع كم له من الزمان ياترى في هذا المكان (قال الراوي) وكان هذا الملك حكيم
 طيب ماهر اسمه شمعون وتقدم إلى الزير وهو مطروح وجس زلقومه وعرق الروح
 فوجده مختلج في أعصابه فقال للملك أن الرجل في قيد الحياة فقال له هل تقدر أن

تسفيه وأنا أعطيك ما تشتهي قال نعم يا مولاي ثم نهض على الاقدام وقال
بسم الله العلي العظيم فشمّر عن زنوره وأخذ أسفنجة وبأها بالماء الخارج ومسح
الجروح ووضع المرمم على القروح ثم جاء بمسل النحل فغلاه وفتح فيه وأسقاه
وفي برهة قصيرة اطلجت أعضائه وتحركت وفتح عيناه فنظروا أمل في ذلك المحفل
فرأى جماعه من الرجال صفر الوجوه بسوالف طوال فاعتراه الاندهال وشكر
الإله المتعال فقال له حكمون من أنت ومن تسكون . ما در إسمك ؟

فقال إسمي الموحّد أنا عبد الإله العظيم رب موسى وإبراهيم

فقال ما هي قصتك وسبب وضعك في هذا الصندوق ؟

فقال كنا أربعة سياس عند الملوك وكنت أنا المقدم على الجميع فخدوني
وضربوني ذات يوم بقصد أنهم يقتلونني فغبت عن الوجود من ألم الضرب ولم
أر نفسي إلا في هذا المكان .

فقال الملك للحكيم خذوه إلى عندك وداويه بالعلاج حتى يشي وبعد ذلك أحضروه
إلى عندي فأخذه الحكيم إلى داره وعالجه مدة من الزمان حتى ختمت جراحه
وتحسن أحواله فأتى به إلى عند الملك ولما دخل سلم عليه وتمثل بين يديه فقال له
الملك كيف أنت الآن يا موحّد ؟ فقال له بحسب أظارك الشريفة قد شفيت وحصلت
على دوام العافية فله در هذا الحكيم فإنه يستحق الانعام والاكرام فهما أنعمت
عليه فأبى سأعطيك إياه فتبسم الملك من هذا الكلام وأنعم على الحكيم ثم التفت
إلى المهمل وقال أعلني بحالك وكيفية أحوالك وأشار الملك يقول :

قال أبو ستير حكمون الملك	يا موحّد استمع مني المقال
هات احكي لي على ما صار فيك	ما عملت وما فعلت من الفعل
حتى طفت يا موحّد بالرماح	جروحك كثيرة بسيوف فقال
يا موحّد أنت اليوم مليح	قرم فارس خيل ما أنت نذل
قولي عن ذي الجرح كيف صار	وما سبهم قول يا سبع الرجال
ثم أعلني على ما قد أقول	يا زكي الأصل عن عم وخال
في بلاد أتوك الغامين	يضربون الشور لك معهم مقال
بعد هذا قل لنا عن صنعتك	الذي تأكل منها خبزك حلال

فلما فرغ حكمون من مقالته قال له الزيراعلم أيها الملك الجليل صاحب الفضل

الخييل إن سألت عن حسيبي ونسيبي ووظيفتي أبي فإنه كان ملكاً من ملوك العربان ثم غدر به الزمان حتى صار يسوس الخييل وأنا تبعته مهمته وهذه وظيفتي ومنهني وأشار بقول :

يا ملك حكوم يا حكم الخصال	قال أبو ليلى المهمل في قصيد
بجاسي في الوسط فوق أعلا الجبال	في بلادى إن سألت عن الجلوس
ما أحد يقدر يخالف لي مقل	وإن سألت عن الشور كل الشور لي
فالعذارى هملت فوق الجبال	وإن وقع الحرب وغرب السيوف
والقتول تلول عادت كالرمال	والسيوف الجذب عاد لها مرير
ما مثالي في اليمين وفي الشمال	فذاك اليوم أنا أعز الملاح
وأشبع للضيف من لحم الخمال	وإن أنا في ضيف أنا أعز الضيوف
ابن وائل ذاك لي يا أمير خال	والفتى المعروف منجد يا أمير
صنعتي حاصود في رؤس الرجال	إن كنت تسأل يا ملك عن صنعتي
مال فيه الدهر يا حكوم مال	أما أبي فكان ذو قدر عظيم
بالكرامة بعد عزه والدلال	صار سايس بعد عزه للخيول
أسوس الخييل ما مثلي مثال	وأنا قد صرت سايس بعده
قد ضربني برجله أربع نعال	وحرو حاقى هي من عض الحصان
راحت السكين تلعب للعزال	قت من كدرى ضربته في حشاه
وأرموني بالدل مع كثر الخيال	لأجل ذاك المهر سوى هل فعال

فلما سمع حكوم هذا الكلام من الزير غضب عليه وقال له أنت كذاب فقد أخبرني قبل الآن رفاقك قتلوك واليوم تقول الحصار ضربني فتكذب علي وتحتقرني فلو كنت من الأكرام ما جرت عليك هذه العظائم ثم صمم على قتله فتشفعت فيه أكار دولته ووضعوه في الحبس وبقي هناك مدة سنة كاملة وكان يسطو على المحاييس وبأكل طعامهم فضجوا منه الناس وشكوا أمرهم إلى الملك وقالوا له إذا كان هذا ساس كما يقول فاجعله يسوس الخييل لأنه يقاسمنا على طعامنا غصبا وقهرا وهذا الأمر لا يطاق فدعاه يشتغل وبأكل خبره بعرق جبينه فاستدعاه الملك إليه وقال له هل أنت ماهر يا موحد نساسة الخييل قال نعم فقال سلموه خيائنا فإذا وجدنا له معرفة في ذلك أكرمناه (قال الراوى) وكان كثيراً ما ينفرد بنفسه ويتذكر له وعشيرته وما هرفيه من الإهانة والامروبيكى ويقول باليت شعري ما جرى

على أهل من بعدى لأن الأسير كما يحق على الحاذق البصير بمنزلة العبد الحقير ولو كان من بيت شهير وعالم تحرير فكيف من تكون جناب الأمير سالم الزير الذي قهر الأبطال والمغاوير وشاع ذكره عند الملوك المشاهير فإنه بعد ذلك العزو والاحترام وعلو الخاء ورفع المقام وفع في أسر بني إسرائيل فكان الموت أهون عليه من هذا القيل ولكنه سلم أمره إلى الله وقام ينتظر نفوذ حكمه وهو يتأمل الفرج والمخلص من شرك الإقناص وكان قد انتخب له فرساً من أطايب الأفراس كانت طويلة العنق قصيرة الرأس وأجود من القميرة فرس حساس فاعتنى بتربيتها حتى حالت فأحدها إلى شاطئ البحر وربطها هناك فخرج عليها حصان من البحر فشب عليها فراحت حامل وبعد عام ولدت مهر أدهم وكان كامل الأوصاف مليل فسماه الأخرج لخروج أباه من البحر ثم فعل معها ذلك العمل في الثاني فولدت له مهر آخر كأنه الأبحر حصان عنتر فسماه أبو حجلان واعتنى بهما دون باقي الخيل وكان يسوسهما في النهار والليل استمر على تلك الحال مدة أربع سنين وهو يطلب الفرج من رب العالمين .

حرب برجيس الصليبي مع اليهودى

(قال الراوى) واتفق في تلك الأيام أن برجيس الصليبي أحد ملوك الاروام حارج مع أخيه سمعان في ماتي القسطنطين من بلاد كسروان وتلك الحدود لمحاربة حكمون اليهودى وذكر رواية الإخبار وعظماء الاعصار بأن مدينة حكمون كانت نفس مدينة بيروت كانت مزخرفة البنيان وكثيرة الخوانيت والبيوت ولما اقترب إليها برجيس بالعساكر النصرانية نصب خيامه في الاسرفية وكتب كتاباً إلى حكمون يقول فيه من الملك برجيس بن ميخائيل إلى حكمون ملك نو إسرائيل أما بعد فإنك قد خالفت الشروط ولم تيسل لنا الخروج المربوط وقد مضى خمسة أعوام وأنت تحاولنا بالسكلام فاقضى إتناقصدناك الآن بالأبطال والفرسان كأنها مرده الجان لا تخاف طعن الرماح ولا نكل الحرب والكفاح فإن دفعتم الخراج المطلوب من عشر مالك توقفنا عن حربك وقتالك والإلحاق من أوجد الإنسان والمسيح الذى ولد بلا دنس خرجنا ديارك وطفينا نبارك وقلعنا آفارك وجعلنا الولايات اليهودية تابعة للأقاليم المسيحية فاسرع في رد الجواب قبل حلول العذاب ثم إنه ختم الكلام بهذا الشعر والنظام :

على ما قال برجيس الصليبي
شديد البأس ما بين الترابيا
أذل القوم في سني ورعي
أنا قاصد لحكمون اليهودي
وأخبره بفرسانى وجيشي
بهم من كل قرم ليث أروع
يريد المال أرسله سريعا
وعشر الخيل مع عشر العذارى

كريم الوالدين أبا وحدا
على السادات دوما مستجدا
أفد الشرش والهجمات فدا
فأعله بما قد استجدا
وما عولت أن أفعله جدا
يصعد الخليل في الميدان صدا
وإن لم يمتثل أمرى فبرا
بنات قد زهوا وجها وفدا

(قال الراوى) أن الملك برجيس سلم الكتاب إلى قائد اسمه فرنسيس وأمر
أن يسير لعند حكمون فيعطيه الكتاب ويأنيه تسرعة الجواب فامتثل القائد أمر
فولاه وجد في قطع الفلاة إلى أن دخل البلد وقصد حكمون دون أحد فلما وصل
إليه سلم وأعطاه الكتاب وتمثل بين يديه وكان عند حكمون جماعة من أخيار
اليهود وهم يطالعون في التوراة والتلمود ولما فض الكتاب وقرأه وعرف حقيقة
معناه احمرت عيناه وصاح على الرسول صوت مثل الغول وقال هكذا يكتب لى
برجيس يا خبيث يا تميمس فلولا العار يابن الاشرار لكنت قطعت رأسك وأخذت
أنفاسك فاذهب وقل لمولايك أن يستعد للحرب والعراك فإنى لأهابه ولا أحسب
حسابه فخرج فرنسيس من بين يديه وهو ينفض غبار الموت عن عينيه ثم صاح
الملك حكمون على أخيه صهيون ووزيره قسمون وقال لهما استعدوا للقتال وقرقا
السلاح على العساكر والأبطال فقد أنتنا العساكر المسيحية والأبطال النصرانية
وقد عسكروا فى الاشرافية فأجاباه إلى ما أمر وفى الحال جهز العساكر وفرقا عليها
السلاح والسيوف والرمح ولما بلغ الملك برجيس كلام حكمون صار مثل المجنون
وعول ثانى يوم على الحرب والصدام .

(قال الراوى) وعند إشراق الصباح استعد حكمون للحرب والكفاح فخرج
من البلاد بالعساكر والعدد وحوله الكهنة والأخبار وهم يتلون التوراة والاسفار
أملا بالفوز والانتصار وكان الملك برجيس قد ركب فى ذلك النهار بذلك الجيش
الجرار وتقدم طالبا للقلاع والاسوار بقوة واقتدار وعلى رأسه البيارق والصليبان
ومن حوله القسوس والرهبان وهم يتلون الزبور والإنجيل بالتسليم والتهليل ولما
(م ٧ - الزير سالم)

التقى العسكريان تقابل الجمعان في ساحة الميدان والتقت الفرسان النصرانية بالابطال الاسرائيلية في تلك البرهة وهجموا على بعضهم هجمات قوية وتضاربوا بالسيوف المشرقية وكانت الامة الميسوية قد فتكت بالغلبة العبرانية وأذاقتها في ذلك اليوم من الاوهال أعظم بلية وقتلت مقتلة عظيمة وفيه رجع حكمون وهو بتأسف ويتلف على ما بمسكره من الويل والتلف ودخل إلى البلد مع الجيش وأغلق الابواب وقصد القصر وهو خارج عن دائرة الصواب ونزل برجيس خارج المدينة أو كان قد استلك ذلك النهار ثلاثة قلاع حصينة .

(قال الراوى) وكان المملحال قد سمع صياح القوم فسأل عن الخبر فأعلموه بواقعة الحال فتأقت نفسه إلى القتال ومصادمة الابطال فأخذ قصبة بيده وصعد إلى السور فيشاهد تلك الامور وكان ذلك المكان بقرب قصر حكمون فنظر القوم وهم يقاتلون فتكان كلنا نظر النصارى غلبوا أو ظفروا يقول لليهود تقدموا ولا تنكسروا وكان يهدر كالرعد القاصف أو كالريح العاصف وهو راكب على الحيط كما يركب الحصان ويضربه برجليه ويصيح على الفرسان واستمر على تلك الحال إلى أن رجع حكمون إلى البلد وهو في غم ونكد وكان الحكمون بنت كالقمر إسمها ستير نظرت من الشباك أفعال الزير فتهجبت من أفعاله وغرائب أعماله .

فلما رجع أبوها سألته عن حالته وما جره في قتاله فأعلمها بواقعة الحال انتصار النصارى في القتال فبعد ذلك أخبرته إبنته ستير بما رأته في ذلك اليوم من أعمال الزير وقالت إذا كانت أفعاله صحيحة فانه يكسر هذا العسكري ويذيقه الموت الاسمر ثم أشارت تقول :

تقول ستير اسمع من كلامي	نظر اليوم في عيني العجائب
نظرت اليوم من هذا الموحّد	فعال قد تميد الرأس شايب
فلما دقت الطبل النصارى	وقد هجمت عسكريا تحارب
والتقت العساكر بالعساكر	وراح السيف يعمل في المناكب
فقد أنصرت أحوال الموحّد	غرائب قد فعلها من عجائب
ركب للحيط سواه حصانه	كأنه يا أبى قاصد يحارب
ويزعنى ثم يليكز في كعابه	إلى أن قد جرى دمه سكايب
وتهدو مثل لينة أروع	ترج الأرض منه والتكائب
يريد الحيط يطلع فيه ينزى	وقلبه للقا والحرب طالب

إذا ولت رجالك قال باطل وإن ولت عداك قال طالب
 ينخى الناس واحد بعد واحد قل روحه وهو لحيط راكب
 فهذا قد نظرتة اليوم حقا من الأول إلى وقت المغرب
 فلا أدري أهر عاقل صميدع ولا أدري أهل مجنون خائب

(قال الراوى) فلما فرغت ستير من شعرها ونظامها وفهم أبوها خوى كلامها
 أراد أن يستدعيه اليه فقالت له من الصواب أن يركب أسوك نهار غد ويقاقل
 العدو أو أن تبقى في القصر فلعله يفعل كما فعل بالأمس فتشاهد أعماله وتختبر أحواله
 فليس الخبر كشاهدة السر فاستصوب كلامها وبات تلك الليلة في قلق وضجر وما
 أصبح الصباح أمر أخاه أن يركب بالأسكر ويخرج لقتال النصارى فركب أخوه
 في عسكر اليهود وانتشرت على رأسه الرايات والبنود فالتفته جموع النصارى مثل
 الأسود وصياح الأبطال ومهمة الرجال واشتد بينهم القتال وعظمت الأهوال
 وجرى الدم وسال فلما سمع الزير التهب قلبه بنار الاشتعال فصعد على الصور وهو
 حزين النفس وفعل كما فعل بالأمس وكان كثيرا يقول يا ثارات كليب من جسام
 المخذول وهو ينخى القوم ويقول اليوم ولا كل يوم وكان حكوم ينظر اليه مع إبنه
 فتعجب من فعله وهول صورته فأمرها أن تناديه ليحضر أمام دولته فتنادته
 فالتفت إليها ولباها وقد تعجب من حسن رزياها قالت أبا يدعوك أن تحضر إلي
 فقل وصعد إلى القصر ودخل على الملك وسلم عليه وقبل الأرض بين يديه فقال له
 حكوم إن كنت قادر على ما تقول وأنت من الفرسان الفحول فأزل وقاقل هناك
 هذا النهار المهول فإن لنا عليك جميل وأفضل وإن كسرت الأعداء بأفئتك
 الآمال وأغنيك بالمال وأطلقاك من الأسر والاعتقال.

قامر الملك بأن يعطوه حوادا من أطايب الخيل ودرعا وسيفا فأتوا له بجواد
 فقال لهم هذا لأبحمانى ثم أتكى عليه بيده فكسر أضلاعه فأتوا له بآخر ففعل
 به كذلك وما زال على تلك الحال حتى قتل عشرة حيول فتعجب الملك من قوة
 بأسه وشدة مراسه ثم أتوا له بعدة حرب وجلاد ففعل كذلك إلى أن أتوه بعدة
 حرب الملك حكوم فلبسها وكانت من أحسن العدد واعتقل بالسيف المهند
 وركب على ظهر حصانه الأخرج الذي كان ينتظر منه الفرج وأخذ في يمينه
 الأرمح سمر والتفت على حكوم وقال اليوم تنظر فعالي وتعان حربى وقنالى.

وتذكري على طول الدوام أيها الملك الهام ثم أنه لكز الحصان وقوم السنان وانطلق إلى ساحة الميدان بقلب أقوى من الصوان وقد هان عليه الموت تحت أرجل الخيل عند بلوغ القصد والمأمول وكانت النصاري قد كسرت اليهود وفنتكت بهم فتك الأسود فما رأى المهلهل تلك الحالة استعد للحرب والقتال وتقدم صهيون أخوا الملك حكون وقال شدوا عزمكم وقاتلوا خصمكم ثم خاض المجال وطلب الميسرة في الحال وقاتل الأبطال فدد أكرها على الرمال وتأخرت عنه الرجال ورأت النصاري تلك الفعالة اعترها الإندمال وهجموا عليه من اليمين والشمال فأبلاهم بالذل والويل وقتل جماعة من الفرسان الخيل وكان كلما كثرت عليه اليكتائب وضايقة العساكروا المواقب يتذكر أخوه كليب الأسد الغالب فيما جهم هجوم السباع ولا يخاف ولا يتراجع فمئذ ذلك تأخرت عنه الفرسان وتوقفت عن قتاله الفرسان وكان برجيس من فرسان المعارك فلما بلغه ذلك نما غيظه وزاد وهجم بالعساكر والأجناد طالباً ساحة الميدان من حوله القسوس والرهبان وعلى رأسه الرايات والألوية فلما اقتربت من تلك الناحية وقعت عينه على صهيون أخو الملك حكون فتقدم إليه وهجم عليه وضربه بالسيف على عاتقه خرج يلع من غلاتقه فوقع على الأرض قتيلاً وفي دمه جديلاً فمئذ ذلك ضجت طوائف اليهود لما رأوا أميرهم مفقود فاستفانوا بالتورااة والتلود فالتقاهم برجيس كالغزو وقتل منهم كل ظرس معدود وكان المهلهل يقاتل من بعيد الفرسان الصناديد ويمدها على وجه الصعيد فلما رأى طوائف اليهود متأخرة بعد أن كانت ظافرة وهم يصيحون ويتدبون على فقد صهيون فلم يعرف باطن الطوية أخذته الغيرة والحمية فقصد الملك برجيس إلى ذلك المكان وفي الطريق التقى بأخيه سمعان وهو ينحى الأبطال والفرسان فهجم عليه جمحة الأسد وضربه بالسيف المهند القاه على وجه الأرض يختبط بعضه ببعض فلما قتل الأمير سمعان حمل جيش النصاري على الزير من كل مكان عند ذلك دقت النواقيس وحمل أيضاً برجيس وتبعه كل أسقف وقسيس .

ولما رأت اليهود أفعال المهلهل أيقنت ببلوغ الأمل فارتدت إلى قدام بعد ذلك الانهزام التقت الرجال بالرجال والأبطال بالأبطال وعظمت الأهوال وما زالوا على تلك الحال إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتقار فافترقوا عن بعضهم البعض وزالت كل قبيلة في ناحية من الأرض .

(قال الراوى) وكان الملك برجيس قد صعب عليه قتل أخيه سمعان وندم على مجيئه إلى تلك الاوطان وكذلك استعظم حكمون قتل أخيه صهيرون فكانت مصيبة عظيمة على الملكين وداهية جسيمة على الفريقين ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح ركب العساكر واضطفت وانقسمت إلى ميامن ومياسر فتقاتلوا بالرماح والخناجر والسيوف البواتر فكان الزير كالأسد الكامر جرى الأبطال في ذلك اليوم من الأهوال ما يشيب رؤوس الأبطال واستمروا على تلك الحال وهم في أشد قتال وخصام عشرة أيام على التمام وكان الزير قد فتك فتكا عظيما وقتل من النصاري عددا جسيما فلما رأى الملك برجيس ذلك خاف من الوقوع في المهالك لأنه كان من الملوك الكبار أصحاب السطوة والاعتدار أمره نافذ في جميع الاقطار يخاف من الانكسار والوقوع بيد المهمل الجبار فجمع أركان دولته ووزراء مملكته وعقدوا بينهم ديوانا فاستقر رأيهم على المصالحة وتوقيف الحرب بعد المصادمة والمصالحة وأن يرحلوا بأمان من الاوطان ويبقوا مع حكمون كما صاحب والاختوان على طول الزمان ثم إن الملك برجيس أرسل إلى حكمون بعض وزرائه المعتمدين بعلمه بذلك ويأنيه بالخبر اليقين فصار الوريث إلى عند الملك حكمون وأعلمه بواقعة الحال ففرح حكمون وباقى الأئمة العبرانية لأنهم كانوا يحافون سطوة الملوك النصرانية فأجابوه إلى المطلوب وحمد الله الذي أناله من غوائل الحروب وهكذا تم الاتفاق ووقع الصلح والوفاق ورجع برجيس من تلك الآفاق بمن معه من الرفاق بعد أن رتب على الملك حكمون مالا معلوما يدفعه كل سنة إلى خزينة الملك .

(قال الراوى) وعظمت منزلة الزير عند حكمون وقال مملك تكون المراساة غانت اليوم عندى كالولد وأعز من الروح في الجسد فلولاك كنت في حال تعيس فواستولى علينا الملك برجيس وكانت الأمير ستير قد شاهدت أفعال الزير فأنفت عليه وقد مال قلبها إليه ثم قالت لا عد مناك أبها التحرير فإنك نسحق الإكرام والجلع وكان الملك قد مال إليه كل الميل فقدمه عن جميع فرسان الخيل ورفع منزلته على الكبير والصغير ولقبه الأمير وأنعم عليه بنشان من اللباس ليمتاز به على كبار الناس وأكرمه غاية الإكرام وأجلسه على سفرة الطعام ولما فرغوا من الأكل وشرب المدام قال له الملك تمنى على أبها الأمير والسيد الخطير فهما

اطلبت أعطيتك إياه بدون تأخير فطلب منه الزير أن يعطيه السيف والفرج والمهر
الأخرج وأعلم حكمون بنفسه وطلب منه أن يحجز له سفينة ويرسله إلى مدينة حيفا
ومن هناك يسير وحده إلى مرج بني عامر محل إقامته لأن نفسه اشتاقت إلى أهله
وعشيرته فلما سمع حكمون بواقعة حاله وأنه هو المهلهل زاد مقامه عنده وقال له
هذه بلادى أموالك وأموالى بين يديك فاقم عندنا طول عمرك فإنا والله لأنفسى
جيبك ومعروفك قال الزير لا بد لي من الذهب لأننى لحد الآن ما أخذت ثارى
ولا طفيت من العدا لبيب نارى عند ذلك أهدها الحصان الأخرج وأعطاه السيف
والروح وعدة الحرب وجهاز له مركبا من أحسن المراكب وأمر القبطان بمداراته
وامتثال أوامره وإياه بعد أن يرجع إلى حيفا يرجع حالا ثم سار معه حكمون إلى
المراكب مع أكابر دولته وقال له عند الوداع الله يبلغك آمالك فلا تقطع عنا
أخبارك فسلم عليه المهلهل ودعا له بطول العمر ثم رجع حكمون إلى المدينة وسافر
المركب بالتهليل وفي اليوم الرابع أشرقت السفينة إلى ميناء حيفا وألقت مراسها
ونزل المهلهل إلى البلد وبقي الحصان في المركب وأمر القبطان أن يحتفظ عليه
لوقت الطلب ومن هناك تسربل بالسلاح تحت الثياب وقصد دياره فالتقى بطراف
ابن ناصر وهو حافى عريان وقد كان من الأعيان ومن أصحاب الزير فأقبل إليه
وسلم عليه فرد عليه الزير السلام ثم عرفه بنفسه وأخبره بما جرى عليه من
الأول إلى الآخر فقال أهلا وسهلا بقدمك علينا فوالله كنا قد قطعنا الأمل من
إلامتك فأنشد الله على اجتماعنا فقم بنا إلى ربنا حتى تنظر أهلك لأنهم دائماً
كرك فقال الزير إني لا أذهب إلى هناك حتى أذهب إلى حى بنى مرة وأنظر باقى
فرينا الذين التجؤا إلى حساس فسر معى إلى هناك فسار ناصر معه وهو فرحان
وحدا في مسيرهما حتى وصلا إلى أحياء بنى مرة فالتقيا بالأمير سالم المهيأ قاصدا
السيد مع جماعته ولما اقترب سالم من المهلهل .

(نم الجزء السادس ويليه الجزء السابع)

الجزء السابع

من قصة الزير أبو ليلى المهلهل

ونظره من قلبه اليه خياها بالسلام وجعل يأمل فيه ويقول والله من يوم غاب
حامينا فقد عشنا وما أبصرنا فامته إلا هذا اليوم ثم دمعت عيونه فقال الزير كيف
تحبكي عليه وأنت ملتجئة إلى أعداء فعند ذلك عرفه ونزل عن ظهر الجواد ووقع
عليه واعتنقه المهلهل وطيب خاطر جماعته وقال لهم ابقوا على ما كنتم عليه وعندما
تسمعون صرير السيوف في أعناق بني مرة فحينئذ تفعلون ما يحب عليكم فعلمه فساروا
في سرور وأفراح حتى يعلم بعضهم بعضاً أما الزير فإنه سار هو وطراف وهما
مستكران حتى دخلا إلى حى جساس وقت المساء فوجد الحى في دق طبول وتقر
دفوف وأهوار تدل على مسرات وأفراح فقال المهلهل في سره ما عسى أن يكون
هذا ولما اقترب من صيوان جساس وجده ممتلئاً من الناس وجساس جالس في
الصدر ومعه الأكارب والاعيان والمولدات تدق بالدفوف والمزامير وبعد قليل
حضرت العبيد بسفر الطعام فقام جساس إلى المائدة وتقدمت بعده الأمراء وجعلت
تتوارد الفرسان وتتزاحم على بعضها البعض فعند ذلك تقدم الزير مع جملة الناس
وجلس بقرب جساس وأخذ يتناول من أنواع الأطعمة فلما رآه جساس أنكر
أمره وقد استعظم كبرجسته وهو يأكل أكل الجمال فقال له جساس ادعولي يا شيخ
فقال اني دائماً أدعوك ولست بناسيك على طول الزمان فازداد جساس خوفاً
وأرتجفت أعضائه ولما انتهى من العشاء أمر جساس بإحضار الرمل وضربه في
الحال ورسم الأشكال فظهر له انكيس واحمرار وأنه قادم عليه أوقات منحوسة
وسيطر رجل لقي الجد عن قريب يذيقه الأهوال وقد تأكد عنده بأن ذلك
هو نفس الزير لأنه لا يوجد له عدو غيره فالتهب قلبه بناره وصاح من ملو رأسه
بأستار نجاة إليه إخوته وقالوا ما أصابك يا أمير فأنشد يقول :

قال جساس بن مرة في بيوت	اسمعوا يا إخواني أهل الوقت
حناق صدرى وامتلأ قلبي هموم	فالقلاق والغم ضارب بالحشا
جمعت تحت الرمل حورته بسرعة	حتى أرى ما هو هذا البلا
رأيت لقي الجد آت عن قريب	صاحب البطش ما بين الملا

ورأيت الجود له بيت ضد
ما عاد لي عقل لهذا الرمل قطرة
والجماعة شكلهم واقع جدا
مهرت فيه اليوم يا أهل النها
لو يصح القول قلت الزير جا
ما هو جالس بين الامرا

فلما فرغ جساس من شعره ونظامه وفهم الزير مطلوبه وعرف المقصود ووضع
يده على قبضة سيفه حتى إذا قال جساس اقبضوا عليه ليفتك به ويعدمه الحياة
ومن كثرة ما جرى على جساس من الغم والوسواس ترك من كان عنده من الناس
ودخل على الحريم خوفا من أمر يأتي فلما رآه الزير فعل ذلك قال لا بد من قتله
إن لم يكن اليوم يكون غدا ثم خرج من الصيوان مع الامير طراف وسارقاصدين
الاوطان حتى وصلا إلى وادي الشعاب ودخل إلى الخيمة التي فيها بنات كليب
فسمعت ابنة كليب الكبيرة صوته فقالت له من أنت وما هو اسمك فلما سمع صوتها
عرفها فتقدم اليها فوجدها وشقايقها بثياب الحديد فتقطع قلبه وهطلت عيناه بالدمع
وقال أتقبلوا الضيف يا بنات الاما جيد قالت مرحبا فانا أول من ضاف ولكن قد
سار علينا الزمان فأولنا بعد العز والجاه وصرنا في حالة يرثى لها فاقصد يا شيخ محل
الولية وهو المكان الذي تدق فيه الطبول فتحصل على بلوغ المأمول فقال بالله عليك
يا صبية أن تحكي واقعة حالكم فقد جرح قلبي بهذا الكلام فقالت اليمامة لقد
ذكرتنا بمصابنا وعلى ما جرى لجاس الزير هو وطراف وجلست هي بجانبه ثم
عرفها هي وشقايقها بنفسه وإنه هو عمها صاحبت بصوت عالي من ملو رأسها هذا
في الحلم أم في اليقظة ثم وقعت عليه وشقايقها يتقبلونه وقلن الحمد لله الذي أرنا
وجبك بخير وعافية فوالله قد زالت أتراحنا وتجددت أفراحنا وسمع أبو شمران
عبد العزيز هذا الخبر فدخل عليه ووقع على قدميه لأنهم كانوا يظنون بأنه مات
فمازنت تلك الليلة عندهم من أعظم ليالي الأفراح والمسررات وبعد ذلك جلسوا
يتحدثون فقالت اليمامة بالله يا عماء أن تعلمنا بقصتك وما جرى في سفرك فكقص
عليهم ذلك الخبر وما سمع وأبصر وختم كلامه بهذا القصيد :

يقول الزير أبو ليلى الملهل
بكنت دما على ما صار فينا
عيون دمعها جارى بكاهما
ليالى السعد ما عدنا تراها
عدمنا فارس الهيجا كليب
عقاب الحرب إن دارت رحاها
دمتي آل مرة جنع ليل
لتقتلني وتشفى ما دهاها

فكنت بخيمتي ملق طريحا
وسحبوني لعند ضباع أختي
وقالوا يا ضباع خذي أخوكي
فألقيني بصندوق مزقت
وساققتي مياه البحر حالا
وجابوني لحكسون اليهودي
فداوني وعالجني سريعا
بقيت أنا ثمان سنين غائب
أسأل الله أن يحفظكم جميعا

ثلاث آلاف ذرتي قناها
والقوني طريحا في حداها
أخذنا روحه قوي عزاه
وأرمتني بوسط البحر ماها
إلى بلد اليهود على رباها
أجل ملك الأرض جاها
فزالت حكرتي بما دهاها
وزال السرعني مع عناها
على ما طالت الدنيا مداها

(قال الراوي) وكانت ليلة عند بنات كلب من أعظم الليالي وحضر تلك الليلة جميع أصحاب الزير ففترحوا وانشرحوا بقدمه وهزوه بالسلامة فقال لهم من الأوفق أن تسكتوا أمرى حينئذ أنجهز لقتال الأعادي وأحضر جوادى ثم أعلهم بخبر الحصان ولأنه أبقاه في المركب عند القبطان لينما يكون شاهد أهله وأقاربه ولما انتصف الليل ودعهم وسار قاصدا شاطئ البحر هذا ما كان منه وأما مرة أبوجساس فكان من عادته أن يذهب كل يوم إلى ساحل البحر ويتجسس الأخبار ويعود في آخر النهار فاتفق أن عبدان من عبيده كانا قد نظر المركب عند قدومه إلى ميناء حيفا فأعلماه به فاستأجرا قارباً وقصد ذلك المركب وعند وصوله إليه وجد ذلك الجواد المذكور فاندش من رؤياه فسأل القبطان عنه فقال له القبطان هذا حصان الزير وقد حضر معنا من بيروت وسار نحو يومين لزيارته أهله ولم يكن القبطان يعلم ما هو جاري بين القوم من العداوة والحرب لما سمع مرة بخبر المهلهل فإنه عاد سالماً غانماً استعظم الأمر وتعجب ولسكنه كتم الخبر وقال للقبطان أتبيغى هذا الحصان فقال كيف أبيعه وهو مودوعا على سبيل الأمانة فقال لا بد من ذلك إما أن تقبض ثمنه خمسة آلاف دينار أو أخذه منك بالقوة والافتدائه لأن ابني جساس ملك هذه الديار ويبدنا زمام الأحكام وما زال يلح عليه بالكلام إلى أن امتثل وأجاب خوفاً من أخذه بالقوة والاعتصاب فقبض القبطان الدرهم وسار مرة بالحصان إلى عند ابنه جساس وهو كاسب غانم وأعلمه بواقعة الحال وقدم المهلهل إلى الأوطان ففرح جساس بالحصان لأنه كان من أجود خيول الأعراب

ولكنه خاف من الغوائل وعلم أنه لا بد من تحديد الحروب بين القبائل فاجتمع
بأهله وأعلمهم بالخبر وأن يكونوا على استعداد وحذر .

هذا ما كان من حساس وأما الزير الفارس الدعاس فانه عند وصوله إلى البحر
سار إلى المركب فلم يجد الحصان فسأل عنه القبطان فأخبره بما جرى وكان فلما سمع
منه هذا الكلام أراد أن يضرب عنقه بمعد الحسام ولكنه توقف عن أذاه إكراما
لخاطر مولاه ثم أمره بالرجوع إلى عند الملك حكمون ليقتص عليه الخبر ويطلب
منه الجواد الآخر فامثل القبطان أوامره وأقطع من تلك الساعة حتى وصل إلى
بيروت فأرسل الزير في القارب وسار به إلى عند الملك حكمون ودخل عليه وهو في
المراية فلما رآه حكمون فرح فرحاً شديداً وقال أهلاً وسهلاً بالصدیق الحبيب وترحب
به غاية الترحيب وأجلسه بجانبه وأقام بواجبه أشار يقول وعمر السامعين يطول

قال حكمون بن عزرا في بيوت
أنورت علينا الدنيا يا همام
يا مهمل أنت عز المحصنات
قصدت أهلك ثم جيت لعدنا
إذا كانت يلزم نجدة أحكى لي
طيب قلبك يا مهمل لا تخاف
تشرح الخاطر وترضى السامعين
بامرئ الخيل إذا طلل الكمين
أنت نخر للأناس الماجدين
هل شفت أهلك يا مهمل سالمين
حتى أسير بالجيش كله أجمعين
ثم اطلب يا ضيا عيني اليمين

فلما سمع الزير كلامه شكره وأثنى عليه وأخبره بما جرى وكان من فقد الحصان
هو أن السبب في حضوره الآن أرلا لأجل سؤال بخاطره الشريف وثانياً ليطلب
منه المهر الثاني وختم كلامه بهذه الآيات :

قد أتميت اليوم في قلب حزين
فإن شئت أعطى أخوه
لا أريد مال ولا كسرة نوال
يا ملك حكمون إن مالي كثير
على فقد مهري الآخرج الثمين
يا معز الجبار وفخر الملين
غير أبو حجلان مطلوق اليمين
كل مال السبر في يدي خزين

فلما سمع حكمون هذا المقال تبسم وقال مبها طلبت مني الانعز عليك وجميع
أموالنا بين يديك فوالله إننا لا ننسى جميلك ومعروفك على الزمان وإن أبو
حجلان بعد رواحك من الأوطان أظهر الوحشة ونفر من جميع الناس حتى لم
يقدروا أن يخدموا من ثم طلب منه أن يبق عندهم عدة أيام ليستريح من متاعب
الاستفار فاعتذر وقال لا بد من الرجوع في هذا النهار فأعطاه حكمون الحصان

وسار به إلى المركب وعند وصولهم إليها نزل بالجواد إلى المدينة فركب وقصد
أهله فاتفق في تلك الساعة أن رجلاً من قبيلة جساس أبصر الزير فعرفه وسار إلى
عند جساس وأخبره بقدومه وقال له إنني خائف عليكم من سطوته شاهدته في
هذا النهار وهو مثل الأسد التكرار ثم أشار يقول :

يقول الشيخ يا أولاد مرة	تعالى واسمعوا لى يا فوارس
أيا جساس يا هممام لسمع	أيا ملك يا أهل المجالس
فقد كنت قرب البحر سائر	رأيت خرج على اليوم فارس
على أدم اقب الضلع فارح	وفوقه درع من بولاد لابس
وفى كتفه قنا اسمر مكعب	بطل صنديد يوم الروع عابس
فهذا فارس البيداء مهلهل	مريع الخيل للأبطال داعس

(قال الراوى) فلما فرغ ذلك من شعره ونظامه أجابه سلطان بن مرة بهذه الأبيات

يقول اليوم سلطان ابن مرة	كلام الشيخ صادق يا فوارس
فان كان أبو ليلى سيظهر	يخلى دمنا مثل البواطس
ويسبي من قبائلنا عذارى	ونترك أرضنا قفرا دوارس
ولا يقبل رجاء ولا غطاء	ويطرحنا على الغبرا نواكس

(قال الراوى) فلما انتهى سلطان من كلامه وقع الخوف في قلوب القوم
وأخذوا يستعدون للقتال من ذلك اليوم وأما الزير فإنه كان قد جد في المسير حتى
وصل إلى ديار والتقى بأهله وأنصاره فلما رأوا فرجوا به وأتت إليه اليمامة
وشقايقها وكذلك إخوة الزير وكل من في الحى نساء ورجال فوقعوا عليه وقبلوا
يديها وانتشرت الأخبار بقدومه إلى الديار بين الكبار والصغار حتى ملأت الأقطار
فأقبلت الإبطال والفرسان وتواردت إليه السادات والأعيان وسلموا عليه
وتمثلوا بين يديه وهنوه بالسلامة فشكرهم وأثنى عليهم وترحب بهم فذبح الذبائح
وأولم الولائم ووعدهم بالمكاسب والغايم وبعد أن أكلوا الطعام وشربوا المدام
أنشد عدى أخو الزير يقول :

يقول عدى أبيات فصيحة	أتانا الزير والمولى عطانا
وكنا قبل ما يأتى إلينا	بحال الذل في قهر حزاننا
وجساس الردى عايب علينا	يريد هلاك تغلب مع أذاننا
فأمرنا بأن نبقي جميعاً	على ضول الليل مع نساننا

ولا تركب، خيولا صافيات
إلينا جيت يا جمل الحامل
لربي الشكر ثم الحمد دايم
أيا سالم فانهض شد عزمك
وتركب ثم نحمل فرد حملة
ونترك دورهم بورا وقفرا
ولا نقتل سيوفنا في حمانا
ويا كهف العذارى والامانا
إذا ما جئنا نقهز عدانا
واركب فوق مملوق العنانا
على أولاد مرة في لقانا
ونقتلهم وناخذ ثار أخانا

(قال الراوى) فلما فرغ عدى من كلامه تقدمت اليامة نحو عمها وشكرت
الله تعالى على سلامته ودعت له بطول العمر فضمها إلى صدره والتفت إلى من حوله
وأنشد وقال:

يقول الزير أبو ليلى المهمل
وأقبل سعدكم والشر ولى
ثمانى سنين وسط البحر غائب
وفرّج لقى همى وغمى
حيث أتيت زال الشر عنكم
غداً جسّاس أقتله بسيفي
وأنتم يا عدى ودريمان
فأتوا بالصوافن واركبهم
ودقوا طبلكم يا آل قيس
وخبوني بعيد عن المنازل
فلاقوه على خيل ضوامر
ألا يا بنات إن السعد جاكم
وراح الشر عنكم لا عداكم
وبالى عندكم مما دهاكم
وخلصنى ونجيت إلى حماكم
ونلتن يا بنات منى مناكم
وأخذ يا بنات ثار أباكم
وباقى إخوتي تسلّم لحاكم
وهبوا جمعكم ومن معاكم
وقيموا النار فى صائر حماكم
غدا جسّاس يبرز للقاكم
وإنى سوف أهجم من وواكم

(قال الراوى) فلما فرغ الزير من كلامه طابت قلوبهم. وانشرحت صدورهم.
ورالت عنهم الاتراح وأيقنوا بالنصر والنجاح وما زال بنو قيس يجمعون إلى الزير
ويتواردون حتى صاروا فى جمع غفير وعدد كثير فاستعدوا للقتال والنزال
فاطعموا الجوعان واكسوا العريان وأوقدوا النيران ورجع الحى كما كان هذا
ما كان من الزير وقومه وأما بنو مرة فلما بلغهم الخبر وكيف أن بنو قيس قد اتفقوا
على التفرق والشتات من جميع الجهات وهم فى أفراح ومسرات اجتمعوا بجسّاس وقصوا
عليه الخبر وقالوا له لولم يكن الزير قد ظهر لما كانوا بنو قيس اجتمعت على بعض هذه
الآلام وخالفبت أوامرك ومراسيمك العظام فقال لهم كفوا عن هذا المقالة

ولا يخطر لکم الزیر علی نال فاستعدوا للحرب والقتال فعند ذلك استعدت الفرسان
الفحول وركبوا ظهور الخيول وتقلدوا بالسيوف والنصول ولقد أملوا بالنجاح
وبلوغ المأمول وركب حساس حصان الزیر الاخرج وسار بذلك الجمع الغفير
ولما اقتربوا من حی بنی قیس سمعت أبطال الزیر دق طبولهم وصهيل خيولهم
فهاجوا وماجوا فأمرهم الزیر أن يتأهبوا للقتال ويلاقوهم إلى ساحة المجال فتبادروا
في الحال وتقدمت الفرسان والابطال وركب الزیر علی مهره أبو حجلان وسبقهم
إلى الميدان وكن في بعض الروابي والتلال مع جماعة من الرجال ولما اقترب حساس
من رجال بنی قیس قال لهم لقد خالفتم أوامري وغرکم الطمع وهجم عليهم بالرجال
وما حاط بهم من اليمين والشمال فالتقوه بقلوب كالجبال واشتد القتال بينهم وعظمت
الاهوال وجرى الدم وسال

فلما رأى المهلهل تلك الاحوال لكز الحصان وتقدم إلى ساحة الميدان فشق
الصفوف والكتائب ومرق المواكب وهو يهدير ويصيح من قلب فرج ابشروا
يا بنی بكر يا نذل والويل فقد أناكم المهلهل فارس الخيل فسوف ترون يا أندال
ما يحل بكم من الوبال علی ما علمتونا به من سوء الفعـال فقد أقسمت برب الانام
الذي لا يغفل ولا ينام أني لا أترك منكم شيخ ولا غلام ثم أنه مال وجال وضربه
بالسيف العال وتبعه الفرسان والابطال من اليمين والشمال فلما سمع حساس صوت
المهلهل اتقطع قلبه من الخوف والوجل ولكنه ثبت في ساحة الميدان خوفا من
الهلاك والقتل وأخذ ينحى الابطال والفرسان علی القتال والتبات والهجوم علی
لقاء الاعادي قبل المات فتبتوا ثبات الجبارة وقاتلوا قتال الاسود الكاسرة لكنهم
لم يقدروا يثبتوا أكثر من ثلاث ساعات حتى انصبت عليهم التكبات وبلوا ببلايا
لا تطاق من سيف المهلهل فارس الآفاق فولوا الادبار وأرکنوا إلى الهزيمة والفرار
بعد أن قتل منهم عشرة آلاف فارس كرار وتبعهم الامير حساس وهو في قلق
ووسواس وغنموا بنو قیس منهم غنائم عظيمة ومكاسب جسيمة ورجعت إلى
الديار بالعز والانتصار والبطش والافتدار وفي مقدمتهم الامير مهلهل الجبار وهو مثل
شقيقة الارجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان ولما وصل إلى المضارب بقواد المواكب
لافته بنات أخيه وجماعته من أقاربه وأهاليه فشكروه علی تلك الفعـال وقالوا مثلك
تكون الابطال والفرسان ثم أنه جلس في الخيام وجلست حوله السادات العظام

وجبا به العدم فتعادثوا في الكلام وشكروا رب الانام على بلوغ القصد والمرام
وبعد أن أكلوا الطعام وشربوا المدام التفت بعض القواد إلى المهلهل فارس الطراد
وقالوا بالله عليك أن نشدنا شيئا من أشعارك لأن قلوبنا مشتاقة على الوقوف على
أخبارك وما جرى لك في أسفارك فعند ذلك أنشد يقول وعمر الساميين يطول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل	فكل مقدر لا بد يأتي
يخنح الليل لا يدروا صفاتي	نزلت يا إخوتي وأبناء عمي
فلا توقد النار في الفلاة	فقالوا ضيفنا شرطوا علينا
وقالوا عمتا هيهات ياني	تكاخت اليامة مع حمامة
أنا مردى السباع الكاسرات	فقلت لها لييك جنتك
وجدت عيونها مقترحات	فجيت لعددها في قلب صامد
جرجت بالبكا قلبي لاني	قلت يا يامة ليس تبكي
إذا ثارت حروب الفلاة	فهمك يا يامة ليس تبكي
إذا ما وهجت نار العداة	أنا همى كراديس الفوارس
حرب مني وصاح أنوا العداة	وجيت أنا على جساس راعم
وطالب تاره بالمرهفات	وقال الزير جانا يا بلانا
أتاه الزير دباح العداة	فقولوا لابن مرة يأتي عندي

(قال الراوى) فلما فرغ الزير من كلامه شكرته أخوته وجميع أقوامه فعند
ذلك تقدم سالم المهيأ اليه وقبله بين عينيه وأشار يقول :

مهلهل جيت هذا اليوم يومك	على ما قال سالم المهيأ
وأضحى القطريز هو في قدومك	وزال النجس والتوفيق أقبل
أزلت همونا زالت همومك	ولما جيت يا زين الفوارس
نهار وليل ما أحد يلومك	فقم اركب عليهم يا مهلهل
وافرج معنا واخلى همومك	وخذ النار من جساس حالا

(قال الراوى) فلما فرغ سالم من شعره طابت قلوب الجميع وعادوا لما كانوا
عليه من الفرح والمسرّة وأما بنو مرة ابتلوا بالذل والويل من حرب الزير فارس الخيل
ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح ركب الأمير مهلهل في مائة ألف بطل وطلب
حزب القوم فالتقاء جساس في ذلك اليوم وكان بمعيته مائة ألف مقاتل بين فارس

وراجل فانتشب بين الفريقين القتال وعظمت بينهم الاحوال وقاتل المهمل حتى
استقل فنكس الابطال الفحول على ظهر الخيل وقتل جماعة من السادات الاعاظم
الذين اشتهروا بالفضل والمكارم وشاع ذكراهم بين الاعارب والاعاجم فمنهم
الامير شهاب المكنى بعقاب وغيره من السادات والانحاب استمر القتال على هذا الحال
طول ذلك النهار فانكسر بنو مرة اشد انكسار ورجع المهمل بالفزو والانتصار
ولما كان الصباح ركب المهمل والفرسان فالتقاء حساس بالرجال وتقاتلوا أشد قتال
ولما تقابلت الصفوف تبادرت الممات والالوف وبرز أخو حساس بين المصعين وابع
يرحين بين الفريقين وطلب قتال المهمل فانطبق عليه وحمل كأنه قطعة من جبل أو قلة
من القمل فتطاوعا بالرماح وتضاربا بالصفائح وثبت شاوش أمام الزير ثبات الابطال
والمغاوير لانه كان من الابطال المشهورة والفرسان المذكورة استمر الاثنان نحو ساعة
من الزمان وهم في ضرب وطعان وكان الامير شاوش قد حتم على نفسه أمام الابطال
لما أن يهلك في ذلك النهار أو أن يظفر بخصمه ويعيس في عز وإقبال ثم صاح على المهمل
وطعنه بالرمح قاصد قبض روحه فالتقاها المهمل بالدوقه فراحت خائبة بعدما كانت
صائبة ثم تقدم المهمل وهجم عليه وضربه بالسيف على عاتقه خرج يلعب من علاقته
فوقع على الارض قتيلاً وفي دمه جديلاً ثم هجم على الرايات وطعن الفرسان والسادات
وقتل الرجال ومدد الابطال في ساحة المجال وقتل فيهم فتك الاسود الكاسرة
وفعل أفعالا تعجز عنها صنابير الجبابرة وفعلت جميع أبطاله مثل أفعاله فقاتلوا
القتال المنكر وأذاقوا الاعداء الموت الاحمر فلما رأى حساس ما حل بقومه من
العذاب استعظم المصاب وخرج عن دائرة الصواب وزاد اكتساباً على اكتساب
وذلك على فقد أخيه ليث الغاب لانه كان يحبه محبة عظيمة ومودة جسيمة فبكى
وانسحب وولى يطلب لنفسه الهرب وتبعه رجاله وأبطاله ورجع الزير بباقي الفرسان
إلى المنازل والاطوان وهو مثل شقيقته الارجوان مما سأل عليه من أمية فالتفته
النيامة بالاعتزاز والكرامة ثم نزل في الخيام مع السادات الكرام فأكلوا الطعام
وشربوا المدام وكان في كل يوم يركب حسب عادته لحرب القوم حتى بلغ منهم غاية
المنى وأبلاهم بالذل والعنا فلما طال المطال وعظمت على بني مرة الاحوال جمع
حساس الرجال ومن يعتمد عليهم من الابطال وقال لهم ما هو قولكم في هذا الامر
العسير فقد حل بنا التدمير وهلك كل سعيد وأمير وإن طال القتال لم يبق أحد من

الرجال فقال أخوه سلطان الرأى عندي أن تأخذ أختنا الجليلة وبعض نساء القبيلة
وتذهب إليه وتقع عليه وتطلب منه كف الأذى والضرر وتعطيه دية أخوه منها
لأمره وتقيم مملكا على بلاد الشام وتدفع له الجزية في كل عام فقال جساس ومن
يذهب ويقص ذلك الكلام عليه قال أنا وانت يا أخى فتبسم جساس وقال سمعت
بأحد من الناس يرى الموت بين يديه فازحف إليه على رجليه فقال سلطان أنا أذهب
إليه بنفسى لأن بنى وبينه مودة قديمة وعجبة مستقيمة ثم إنه نهض في الحال وتأهب
للمسير والترحال وأخذ معه أخته الجليلة وبعض من نساء القبيلة وقصد المهمل حتى
وصل إليه وسلم عليه وقال بالله عليك أن تصفح عنا فقد أهلكنا رجالنا ولم تبق
أحد منا وقد أتيتك الآن مع امرأة أخيك الجليلة وأكابر نساء القبيلة تقع على
ساحة أعتابك وتطلب من جنابك وتبلغك غاية الأرب من الفضة والذهب وتقيمك
ملكاً على هذه الديار وتكون طوعك مدي الأعصار لأنك سيفينا الثقيل ورعنا
الطوبى لى ثم أنشد هذه الابيات بحضور الامراء والسادات

يا مهمل استمع منى القصيد	قال سلطان بن مرة في بيوت
يا حاة البيض في يوم الشديد	ليت عمرك يا مهمل الف عام
ليت عمرك كل يوم في مزيد	فاعف عنا يا سياج المحصنات
كلنا أولاد عمك يا رشيد	نحن منك وأنت منا يا همام
تحت ظلك عيشك يبقى رغيد	فاعف عنا ثم دعنا في حماك

فلما فرغ من شعره ونظامه أجابه المهمل

إفتمم فوى كلامى في قصيد	إفتمم يا ابن عمى ما أريد
وأنا في حقكم لست عنيد	ليس لى ذنب فى أى الامور
ليت عمرك يا ولد عمى يزيد	غصب عنى يا سياج المحصنات
على يمامة بنت أختك الأكيد	كل ذا جارى عليكم يا رجال
خذ بشارى أيها البطل العنيد	اليمامة كل يوم تقول
كل قول صادق والله شاهد	فإن عفت أنا عنكم اعف
لأنى عن أمرها لست أحييد	وإن أبت لا أخالف قولها

(قال الراوى) فلما انتهى الزير من شعره ونظامه قال السلطان ومن حضر معه
لأنى لا أكف الحرب والقتال ولا أرفع عنكم السيوف الصقال إلى يوم القيامة
أو أتمنى اليمامة فذهب إليها وخاطبها بما خاطبته به أمام هؤلاء الاعيان

فعمساه أن يجيب طلبك يا سلطان فعند ذلك قصد سلطان اليمامة أخته الجليلة ومن حضر معه من نساء سادات القبيلة فدخلوا جميعا إليها وسلموا عليها وقبلت الجليلة بناتها وقالت لمن أما كني يا بنات الأكارم والوفار فقد قتلت رجالنا وهلكت فرساننا وابطالنا وساءت أحوالنا وصارت عبرة لمن اعتبر ومثلا بين البشر فأجابتها اليمامة أنا لا أصالح حتى لا يبقى منا أحد يقدر أن يكافح إن كان غمي يحجز عن قتالكم هانا أنوب عنه والتقى بأبطالكم ثم أنها ختمت كلامها بهذا الشعر والنظام :

قالت يمامة من ضمير صادق	يا جليلة أقصرى عن عناكم
أنت وخوالى وكل عشائرى	لا تزيدوا لفظكم ولا لغاكم
فقتلتم المساجد كليب والدى	غدرنا وماله ذنب معاكم
جساس طعنه من قفاه بحربة	ودعا على الغبرا حقير حداكم
أنا وأخوتى بقينا بدله	نمسي ونصبح ولا ننسى بلاكم
أنا لا أصالح حتى يعيش أبويا	ونراه راكبا يريد لقاكم

(قال الراوى) فلما فرغت اليمامة من شعرها ونظامها وفهمت الجليلة خوى كلامها رجعت هي وأختها مع باقى النساء إلى الحى بدون أدنى إفادة وأخبروا الأمير جساس برواقعة الحال وما سمعوه من المقال فاعتراه الخوف والانهزال وأيقن بالهلاك والوبال فقال أخوه سلطان وكان ذا مكر واحتيال إنى سأهلك الزير أيها الأمير وأقوده إليك عند الصباح كالبعير فقال ماذا عولت تفعل وما هو العمل قال إنى أقصد الميدان فى جماعة من الأعوان وأحفر هناك ثلاث حفائر ونغطيهم بالقش حتى يحفروا عن عيون المساكين فما كان الصباح والتقى الجحفل بالجحفل فبرزت أنت إلى المهلهل وتسكون أنت عارف بهم فتقوده إليهم وبهذه الوسيلة تتم الخيلة فيسقط ويهلك فى هذا الشرك فنخلص من شره وتبلغ ما تمناه فاستصوب جساس هذا الرأى واستحسنه وخرج ذلك الليل مع أخيه سلطان فى جماعة من العبيد والأعوان حتى وصلوا إلى المكان خفروا ثلاث حفائر عميقة وغطوها بالقش ووضعوا عليها التراب حتى يخفى عن العيون ثم رجعوا إلى أماكنهم وهم مسروزين باتوا تلك الليلة على مقالى النار وهم ينظرون طلوع النهار هذا ما كان من هؤلاء وأما الزير البطل النحرير فإنه ركب فى الصباح فرسان الكفاح قصد ساحة الميدان بقلب أقوى من الصوان فالتقاء جساس بالمسكر ثم انفرد

(م ٨ - الزير سالم)

بنفسه نحو تلك الحفائر وأخذ يلعب الجواد على عيون العساكر والفؤاد فرآه
بعض الفرسان وهو يتجول في ذلك المكان على ظهر الحصان فأعلم المهلهل بذلك
الشأن وقال له أن خصمك ظاهر للعيان وهو في تلك الناحية من الميدان فلما رآه
المهلهل قصده على عجل ليقتله ويبلغ الأمل فلما اقترب منه ابتعد حساس عنه فقبضه
المهلهل على الأثر فسقط في إحدى الحفر فارتد عليه حساس وانطبقت عليه باقي
الناس بقصد أن يطعنوه ويهلكوه ويهدمونه فلهذا در الحصان أبو حجلان فإنه كان
من عجائب الزمان وغرائب الآوان أخف من الغزلان وأسبق من البرق عند اللعنان
فإنه عندما وقع ضرب بحافرة الأرض ارتفع حتى صار بين الفرسان بالميدان فرجعت
الخيول عنه مدبرة فاستعظم تلك الأمور المستكرة وغاب عن الوجود حتى صار في
صفة مفقود فرأى حساس ينحى أبطاله ويصيح على رجاله فتقدم نحوه بالجواد ليشتفي
منه غليل الفؤاد فاتفق المقدور بوقوعه في الحفرة الثانية من تلك الحفر فوثب به
الجراد وانتصب أسرع من النظر إذا وثب حتى صار على وجه الأرض فأنقلب به
عليه العساكر على بعضها البعض فزاد بالزير الكدرو طار من عينيه الشرر فقصد
الأمير حساس دون باقي الناس ليقتله ويهدمه الحواس فكسب به الجواد في الحفرة
الثالثة وكانت عليه أقيح حادثة وكان جواده قد أعياه التعب وضعف قواه وأخل
منه العصب حتى لم يعد يمكنه أن يفعل كما كان يفعل وكذلك الأمير مهلهل فقد أنهد
حميله وطاش واعتراه الخوف والارتعاش وأيقن بالهلاك والمهات وآيس على نفسه
من الحياة فكانت غلة عظيمة ودامية جسيمة فلما بلغ حساس الأمل ونجح بذلك
العمل أيقن ببلوغ الأرب ومباح من شدة الطرب على باقي رجاله ومن يعتمد عليهم
من أبطاله يا ويلكم أدركوه وأطعموه واقتلوه فان تخلص هذه المرة من هذه
الحفرة لا تتأملوا بنجاح أو نصرة فلما سمعت الرجال منه هذا المقال قصدوا ذلك
المكان من اليمين والشمال وكانت أيضاً بنو تغلب قبيلة الزير فارس العجم والعرب
قد أقبلت أبطالها وفرسانها ورجالها وأنشبت بينهم وبين القوم قتالاً لم يسمع بمثله
قبل ذلك اليوم وكان القتال في ذلك اليوم بجانب تلك الحفر ولما عظمت الأحوال
وتكردست جثث القتلى على الأرض مثل التلال من ضرب السيوف وطعن
النصال هجم حساس أمام الناس وقال للفرسان والأبطال والشجعان أدركوني
في هذا النهار واسمعوني بالتراب والأحجار واردموا هذه الحفرة في ساعة الحال

وأنا أردتكم هجمات الرجال فتقدموا من عجل وبادروا بإجراء هذا العمل غير
أنهم لم يبالغوا الأمل لأن إخوة الزير والفرسان المشاهير هجموا عليهم من اليمين
واليسار وضربوا فيهم السيف البتار فأبلوهم بالذل والدمار وكان الأمير مرة بالقرب
من تلك الحفرة فرآه عدو أخو الزير فتقدم إليه وقبض عليه والقاه في تلك الحفرة
بالعجل وقال خذ عمك يا مهمل ولما صار بالقاع ضربه بالسيف فقتله ثم أخرجوا
الزير من تلك الحفرة بالقوة والافتداز فعند ذلك انشرفت من بني تغلب القلوب
وزالت عنهم الغيوم والكروب وأيقنوا بالفلاح والتوفيق والنجاح وقصدوا
الحرب والكفاح والتقوا أعداءهم بأسنة الرماح ومال أيضاً الزير على القوم
ونادى اليوم ولا كل يوم وفي الحال اشتعلت نيران القتال وقامت الحرب على قدم
وساق وارتجت جوانب الآفاق من ضرب السيوف الدقاق والرماح الرقاق وجمدت
من القوم الاحداق وفعل الزير في ذلك اليوم فعلا لا تطاق وما زالوا في أشد قتال
إلى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت بنو مرة بالويل والحسرة
والمهمل بالنجاح والنصرة فنزل عن ظهر جواده وخلع آلة حربه وجلاده وحاءت
السادات وأكلت من زاده ولما جلس في الصيوان ونادى على عبده أبي شهوان يا حضار
المدام إلى الديوان فأحضره بالعجل فتناول منه المهمل ومن حضر في ذلك المحفل
فعند ذلك تذكر الزير ما جرى له في ذلك اليوم الممول فأنشد يقول :

يقول الزير أبو ليلى المهمل	فدمع العين هطال عماما
لقد قتلوا أخى أولاد عمى	وقالوا ما رأوه إلا جباناً
ولا يدرون بأسى واقتدارى	فقطعتهم ولم أخشى الزمانا
أنتنا فى كليب أولاد مرة	أتونا داخلين على نسانا
وقالوا كف عنا يا مهمل	فقد حكمت سيفك فى أذانا
ما طلب ما تروم اليوم منا	واتركنا فقد صرنا حزاناً
فقلت لهم روحوا لليامة	رضاه اليوم أحسن من رضانا
قتلنا فى كليب الوف قوم	فما فيهم ردى ولا جباناً
قتلنا من بنى مرة إمارة	فلا بسا ثياب الطيلسانا
فراحوا الكل قدوةموا عليها	وقالوا عمك أرسلنا عياناً
فقلت اذهبوا أولاد عمى	فهذا القول ضحك فى لحانا

جربت دني الاصل وأكرمه فضاغ فعلى معه وما قدمت هذا المثل أيها السادات
الاخيار لا لتعلموا أن الحمار يقتنى الحمار ثم أنه ركب ذلك الحصان فوجده من
عجائب الزمان فزاد انشراحه فيه فأمر السائيس أن يسوسه ويدأويه ثم أنشد يقول :-

يقول الزير أبو ليلى المهمل	بلوم الشتر ما تغلى بمسالى
أبا غالى رضيت الخيل تركب	تعالى واسمعى منى مقالى
جمع الخيل للحر حوام	شبيه الصب تخدمها الموالى
وأما الشتران طار وانصدق	بنات الريح تسبق فى المجال
وأما الخضر مركوب الامارا	فركبها الملوك وكل والى
وأما الدم زيدوهم عليفا	وتسيروهم لدهمات الليالى

(قال الراوى) فلما فرغ الزير من كلامه شكره قومه على حسن اهتمامه ثم استعد
الفريقان للقتال وجرت بينهم عدة وقائع وأهوال انقصر بها المهمل وكسب أهوالا
كثيرة وقتل سادات كثيرة حتى ضعفت بنو بكر وذلت وبعد كثرتها قلت واضمحلت
(قال الراوى) فبينما هم فى حالة النذل والانكسار وإذا بغبار قد علا وثار قاصدا بلادهم
وتلك الديار فشخصت إليه الأبصار ساعة من النهار إلى أن ارتفع وتمزق وبانه
من تحته ألف فارس وكلهم بالسلاح والدوق وفى أولهم فارس بالحديد غاطس
كأنه قلة من القتل أو قطعة فصلت من ذيل جبل وعلى رأسه اليمارق والرايات
والسناجق فلما رآه جساس استبشروا وأيقن بالفرج بعد الشقا والسكد ولما اقترب
للإعيان وتأملت الفرسان وإذا به أسد الآجام الأمير شيبون ابن الأمير همام وكان
المذكور قد خرج فى جماعة من فرسان الصدام للغزو على بلاد الروم وذلك من
عهد وقوع الزير فى البحر كما سبق الكلام فلما عرفوا وتحققوا خرجوا إليه
واستقبلوه وفرحوا بقدمه إلى الديار وكان ذلك اليوم عندهم أعظم نهار فذهبوا
الذبايح وطعموا الغادى والرائح وكان أفراح الخلق أبوه همام وأمه ضباع حين
لم يكن لهما غيره سوى الذى قتل الزير على بير السباع فلما نزل لصيوانه بأبطال
وفرسانه خلع عدته وغير بذنته ودفت له الثوبات وقامت الأفراح والمسررات
وعمل جساس وليمة عظيمة لها قدر وقيمة استدعى إليها جميع الأكابر وأمراء
القبائل والمشائير وكان شيبون قد وجد السادات والإعيان فى هجوم وأحزان
فسأل عن ذلك الشأن فقال جساس ذلك لئال يا ابن أخي عما أصابنا وما نحن خائفون

الزهر الممان فإنه لم يكتف بقتل أخيك شيبان حتى جعلنا مثلاً بين العربان على طول
الزمان فإنه أفتى رجائنا وأهلك أبطالنا وقد حرمننا هجوع الليل وهدمنا القوى
والخيل كل هذا وهو لا يقبل مناديه ولا مال ولا فدية وقد أعلنك بالقضية
وأوقفناك على باطن الطوية فلما سمع شيبون هذا الكلام صار الضيا في عينيه
كالظلام من عظم ما قاله احمرت عينيه وشم خاله وأرعدم بالمساعدة والمعاضدة
دأن يكون معهم على قتال خاله يد واحدة ثم نظم هذه القصيدة وأرسله لحاله على
سبيل الملام والتهديد :

قال شيبون ابن همام الأثير	حامي الزينات طعان العدا
مرعب الفرسان في يوم اللقا	ساقيا للعدى كاس الردى
ضرب سيفي يقطع السيف المتين	ثم يقدح الصخور الجدا
كل من يبغي قتالى يرتدى	ويرتمى فوق الصعيد بمسدا
لم يبق لى مقارن فى المجال	حين يلقونى يولوا شردا
وانت يا خالى مهلهل يا همام	شد عزمك للقتال إلى غدا
لا تقل يا خالى ما أعلمتى	يا قليل العقل لا تتمردا
أبرز إلى فى الصباح ولاقتى	ثم أبشر يا مهلهل بالردا

(قال الراوى) فلما فرغ شيبون من شعره ومقاله ختم الكتاب وأرسله إلى
حاله مع رجل من أبطاله فلما فتحه الزير وقرأه وعرف فحوى معناه أجارت
عنايه وغاب عن دنياه وقد شق عليه وتأسف وصفق كفا على كف وقال إنه
مذكور فى هذه الأمور لانه جاهل مغرور فاقنضى أن ينتصح قبل أن يقتضح
فأجابه على أبياته يقول :

(تم الجزء السابع وبليه الجزء الثامن)

الجزء الثامن

من قصة الزير أبو ليل المهلهل

قال أبو ليل المهلهل لأنني
يا فتى شيون يا ابن أختي منبأ
نم تطلبني إلى سوق المجهال
احتفظ من أن تجهل يا أمير
اطرد الشيطان إبليس اللعين
لا نخالفني واسمع ما أقول
رد عما أنت فيه لا تزيد
شد عزمك غدا نلتاق سوى

معرج الكروبات في يوم الزحام
نهدني في كتابك يا إعلام
وانت قصير على ضرب الحسام
الجهل يسقيك كأسات المدام
وانتصح من قول خالك يا ممام
يقتلك جهلك وما تبلغ مرام
إن كنت تبغى حربي والصدام
من طلوع الفجر إلى وقت الظلام

فلما انتهى الزير من شعره ونظاه أرسل الكتاب إلى ابن أخته شيون فلما
فتحه وعرف ما احتوى عليه من المصمون مزقه ولم يسكت رث ولما أصبح الصباح
وأشرق بنوره ولاح ودقت طبول الحرب والكفاح وركب شيون وجساس
وكذلك الزير الفارس الدعاس والتفوا بأبطالهم ورجلهم وتشددوا في قتالهم وكان
شيون قد برز إلى ساحة الميدان وتبعه الأبطال والفرسان والتقى بفرسان تغلب
وفعل بهم الهجيب فاصنم فارسا إلا أعطبه وعن ظهر جواده ألقاه ثم صاح وحمل
بقلب أقوى من جبل وطلب براز خاله المهلهل وكان الزير لما شاهد أفعال ابن
أخته وما فعل بأبطاله ورفقته حمل عليه واحمرت أفاق عينيه وقال له اذهب يا وجه
العرب قبل أن تهلك وتعطى فقال إلى أين أذهب يا خالي وأنت غاية بغيتي وآمال
فوالله لأقيلك في هذا اليوم وأطفي أخبارك من بين القوم لأنك طغيت وتجبرت
واقترت فانشأ الزير من هذا الكلام والتهديد والتقاه بقلب شديد وجري
بيهما في القتال وقائع وأهوال تشيب الأطفال ولما طال المطال قال له الزير أمام
الأبطال أرجع يا ابن أختي بأمان قبل أن يحل بك الهوان وتلحق بأخييك شيان
فأرجع إلى أهلك وأهلك وأرسل إلى أبطال قومك مع جساس عمك فلم يجبه شيون
بكلام بل كان يقاتله كسبع الاجام وكان الزير كلما حكم عليه الضرب في الحرب
تستع عن أداء شفقة عليه ولم يكن أما لحاظروا لديه ومازل يقاتله ويداريه وينصحه
بالرجوع عن القتال فاستدركه في وقت القتال ورجعت الفرسان والأبطال

عن ساحة المجال ثم التقوا في اليوم الثاني وكان أبو العباس يرضى إلى ساحة الميدان الأمير
شيبون فصاح وطلب برار المهمل فالتقاء الزير ونهاه عن قتاله فلم ينتصع بمقاله بل
تحقّم إليه وهجم عليه وأشار بقول متهدداً إياه أمام القريسان والمحول

أياك شيبون أين همام الأمير
استمع يا زير قولي واخبرهم
ما قالك مخلص مسمى ولا
ثم آخذ نار أعصامي الجميع
ليس لك قلب على أحبك يحن
كم قتل منهم خلق كثير
سوف ترى حربي يا مهمل
قد أخبروني يوم جئت بأنك
ما يقني الحمار إلا الحمار
هات لي سيفك وريحك والثياب
حتى أقتلك من حسامي والقما
إن كنت لا تنصع فهذا حربنا
فلما سمع الزير هذا الكلام وقع عليه أشد من صرب الحسام فأجابته يقول :
قال أبو ليلى المهمل ثم قال
عرجت يا شيبون ما في قولك كثير
لموسقيت الجحش من سكر وسمن
لا عاش أصله ما ينفع منه الجمل
وأنت يا شيبون لو لم تكن حمار
فأني قد عفوت عنك البارحة
وأنت تعلم إنني سبع الرجال
هذا من غير التواضع والغريب
كم نصيحة نصحتك لا تنتصع
لم يبق لي ذنب إن أتاك من ضرب
دونك الميدان يا شيبون قم

فارس الفرسان في يوم التكبير
لا بد من قتالك يا وغدا حقير
من حسامي اليوم لو إنك نظير
كم نطل صناديد صبرته حفر
وأولاد عمك ذاقوا منك التكبير
كم يتمت كل طفل صغيسير
في لواء الأبطال مالي نظير
يا قليل الغنل تركت للحجير
ما أنا مثلك ولا عفتي صغير
هات أبو حجلان كالطير بطير
وتطلب الحجير ومثلي من يجير
ويكون النصر من رب التصدير
أنت يا شيبون ما عاد لك دعير
الجحش لا تحطال كما يحمل مير
ولو خلعت له السوبر بالشجير
أكيد هو يحزن من يقني الحمار
مار جئت اليوم إلى حربي فاني
من أمك وأبوك نعم النصير
فتات منكم إلى عشر النصير
تاه قيس الصدود ناس كثير
جاهل سوف تقع في وسط زير
يهدى الأبدان ما جاءك لك زير
وقو عزمك لا يكون بأهلك قصير

(قال الراوى) فلم يلفت شييون إلى كلامه ولا أكرت بالتوبيخ واللام بل حمل عليه حملة أسد الغاب وأحدمعه في الطعان والضرب فالتقاء مهلهل بالعجل بقلب أقوى من الجبل واشتد بينهما القتال وعظمت الأهزال حتى نعت من تحتها الخيل وارنحى منها العزم والخيل وما لعل بعضهما كل الميل وكان الزير يطاوله ويحاوله واستمررا بقاتلان ثلاث ساعات من الزمان حتى استعظمت من فتالهما الفرسان وشخصت البهائم والشعاع وكان الأمير شييون يود أن يقتل خاله ويعدمه الحياة ويفتخر بقتله على أهله وأقرباه إلى أن اغتم الفرصة عليه فمز الرمح وطمنه بين يديه نخل المهمل منها فراحت غائبة بعد ما كانت صائبة فزاد الزير غضبا وتوقد قلبه والتهب وصمم على أن يسقيه كأس العطب بلذب سيف حكمون وقال اليوم أريك يا مجنون كيف الضرب يكون لأنى اصحبك فما انتصحت ولقد خسرت وما رجحت ثم تقدم اليه وهجم عليه وضربه على مفرق رأسه فشققه إلى نكة لباسه فوقع على الأرض بختبط بعضه ببعض فلما رآه المهمل وهو قتيل يتلملل ندم على ما فعل فتعسر وهطت الدموع من عينيه فلما قتل الأمير شييون احمرت من بنى مرة الصيون وزادت عليهم الحسرات وأيقنوا بالهلاك والشتات ولسكنهم أحصوا السكيد وأظهروا الصبر والجلاد وقاتلوا قتال الأسود وطلبوا الرايات والبنود فالتقاهم الزير بالمساركو وضرب فيهم بالسيف البوانرو وأحاط بهم إحاطة الخواتم بالخصاصر وقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنائم جسيمة فلما رأى جساس ضعف حاله وقتل فرسانه فولى يطلب الحرب خوفا من العطب وتبعه فرسان وقد أبصروا أن ذلك اليوم العجيب من قتال بنى تغلب فرجع عنهم الزير وهو حرنان على فقد ابن أخته الأمير شييون فنزل في الصيوان مع الأصنام والأعيان لم يكن له دأب إلا البكاء والانتحاب ولما أتى وجلس وأنشد هذه الأبيات وهو من الحزن على آخر نفسه

الزير أنشد شعرا من ضمايره	العز بالسيف ليس العز بالمال
شييون أنشد شعرا من ضمايره	يرى حربي وتلى دون أنطال
نصحه من قتلى ولم يطاوعه	بأرزه فجدل في الأرض بالحال
المال يبنى بيوتا لا عماد لها	والفقر يهدم بيوت العظ الغال
دع المقادير تجري في أعنتها	ولا تبين إلا خالي البسال
ما بين لحظة عين أنت راقبها	بغير الله من حال إلى حال
فكن مع الناس كالجزان	ولا تزلن ذا عي وذا حال

عم الذي أنت مغرور بنعمه حال الذي أنت من أضراره خال
لا يقطع الرأس إلا من يركبه ولا تريد المنايا كثرة المال

(قال الراوى) فلما فرغ الزير من كلامه وانطرح على فراشه من شدة حزنه على ابن أخته ولما بلغ قتل شيبون أبوه همام وأمه ضباع احترق قلبها عليه لأنه كان ابنها الوحيد بعد أخيه شيبان وكانت الفرسان قد أتت بجثته اليهما فبكيا بكاء شديدا ومزقا عليه الثياب وبعد ذلك دفنوه في التراب وفي اليوم الثاني ركب الأمير لقتال الزير وتبعه جساس وباقي الأبطال والفرسان وبلغ المهمل الخبر فركب في أبطاله وفرسانه ولما التقى الفريقان وتقاتل الجمعان بر الأمير همام إلى معركة الصدام وطلب براز الزير المهمل وكان قد غر صفاته ورضع لثاماً على وجهه حتى لا يعرفه أحد فبرز إليه وهو لا يعلم بأنه الأمير همام فاقتتلا ساعة من الزمان وكان همام قد ضرب الزير بالحسام قاصداً أن يسقيه كأس الحمام فغلى الزير منها فراحت غائبة ثم هجم عليه وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوق عني ظهر الجواد كأنه طود من الأطواد فالتفت على الزير وقال له وهو على آخر رمق آه يا مهمل لقد قتلت ابن أختك نهار أمس واليوم تقتل صهرك همام فلما سمع الزير هذا الكلام تنفص عيشة وزاد همه وكدر وقال له يا همام قال نعم قال ما عهدتني أنك لا تقتلني أبداً وأنتا نكون أصحاب على طول المدى فلماذا غا طرت بنفسك وطلبت قتالي وأنت تعلم بأنك لست من رجالى فقال لقد جرى القلم بما حكمت فانتقضت حياتى ودنت وفاتى وهذا الأمر مقدر بأمر رب البشر وما دام الأمر كذلك يا فارس الممارك فكف أذاك ودواهيك واجملنى فدى أخيك فقال والله يمز على نفسك ولا أعاد يطيب لى عيش من بعدك لكننى لا أكف الحرب والصدام حتى لا يبق من بنى بكر شيبغ ولا غلا ثم أنه من بعد هذا الكلام هجم على المواكب ففرقها وطعن فى أبطالها فزقها فتأخرت عنه الفرسان ورجعت إلى الاوطان وهى فى حالة الذل والهوان ولما بلغ ضباع قتل بعلمها غابت عن عفاها وقد عظم مصابها وشارت إلى بنى تغلب ودخلت على أخيا الزير وقلبا يلتب وقالت له بكلام الفضب هكذا تفعل يا أخيت العزب تقتل أولادى وبعلى وتحرمنى أهلى وتتركنى حزينه طول الدهر أفاسى الذل والقهر هكذا تكون الإخوان الذين يدعون الفضل والإحسان فوحق الإله القادر الفاحص القلوب والضماير أن موتى ألد عندى من الحياة وأفضل فانت نسيت الجميل والمعروف وقابلنى بالقدر والمكثوف بعه

أخلصتك من الحريق وكشفت عنك ذلك الضيق فلما سمع الزبير منها ذلك الخطاب
أظهر الحزن والاكتئاب وتلقاها بالإكرام والترحاب ثم اعتذر لها بالغلط وأخذ
يطيب خاطرهما ويمزيها عما فرط وأمرها بأن تسكن عنده بخدمة وجواشيها
فامتثلت كلامه وقامت في بيت أخيها .

(قال الراوي) فلما عظم الأمر على جساس وبني بكر وكثرت فيها السبي والقتل
أرسلوا يستجدون أهل اليمامة فأمدوهم برجل منهم يقال له النندي بن سهل وكان من
جبايرة الزمان وفرسان الأوان لا يبالي بالآهوال ولا يخاف كثرة الرجال وكان يلقي
نفسه على المخاطر ويصيد السكوا سرفسار إلى مساعدة القوم من ذلك اليوم وقد انتخب
من الشجمان سبعون فارساً مثل العقبان يقاربون في الشجاعة والفرسية والهمة العليا
وكانت أهلهم قد كتبت إليهم تقول قد أمددناكم بعشرة آلاف فارس من الفحول
وبهم تنالون أعداء القصد والمأمول فلما قدموا إلى تلك الأوطان ورأهم جساس
وباقى الأبطال فاعتراهم الانذهال لأنهم لم يروا أكثر من سبعين تحت راية الفند
الأسد العربند فقالوا أين جماعتك الباقين فقال الفند أنا بسبعة آلاف فارس وأصحابي
ثلاثة آلاف مداعس فتبسموا من هذا الكلام والتقوهم بالإكرام والاحترام فذبحوا
لهم النوق والأغنام ونصبوا لهم المضارب والخيام ثم استعدوا للحرب وسمع بهم
المهمل وتزيد في الخيل والرجال وزحف من يومه في فرسان قومه فالتقته بني بكر
في مكان يدعى عقبة الريحان فلما اقترب العسكران قال الحارس بن عباد وكان من
الفرسان الأجواد إلى جساس قائد القوادهل تطيمني أيها الأمير فيما أقول وأشير فقال
ما بدالك فإني لا أخاف مقاتلك قال أعلم أن القوم مستخفين بقتالنا وذلك لضغفنا وقلة
عدد رجالنا فقاتلهم بالنساء مع الرجال فتبلغ منهم القصد والآمال فقال جساس
وقد اعتراه الانذهال ما معنى هذا المقال وكيف قتال النساء مع الرجال قال إنك تتحلق
رؤوس الفرسان وتجمع والنسوان اللواتي تصفن بالشجاعة وقوة الجنان فتحملن
الماء بالقرب وتعطى كل منهن مطرقة من خشب وتصفن خلف الرجال وقت الحرب
والقتال فإن هذا المجال يزيد الأبطال نشاطاً في ساحة المجال فإذا خرج منكم أحد
الناس يعرفه من حلق رأسه فتسقينه الماء فينحشبه وإذا صرر بعدوكم عرفته فتقتله
فاستصوب جساس هذا الرأي واستحسنه وفي عاجل الحال جمع النساء والرجال
وعرض عليهم هذا الحال فأجابوا أمره بالامتنال ولم يبق يومئذ من بكر أحد
إلا حلق واستعد إلا رجلاً من الفرسان اسمه ريعة بن مروان كان زعمياً قصيراً

وقارساً خطيراً فقال يا قوم إني زعيم قصير وإذا حلقت رأسي أسير معيرة عند
الكبير والصغير فدعوني من هذا يا سيدات العرب فأنا أبلغكم الأرب وأقتل
خمسة فوارس من تغلب فأجابوه إلى ما طلب .

(قال الراوى) ولما التقت الساكر بالعساكر وتضاربت السيوف والخنجر
وانقلب تغلب على بكر كتيوت الآجام وأهلبوهم بضرب السيوف على الهام فارتدت
بنو بكر طالبة الانهزام فأشهر حساس في يده الحسام وصاح فيهم بصوت كالرعد
والغمام وقال يا ويلكم إرجعوا وقاتلوا بقوة وعزيمة فإن الموت أفضل من الهزيمة
فاجتمعت بنو بكر بعد الانقلاب إلى الحرب والقتال رضموا خيولهم في كتيبة
واحدة طلبوا المكافأة والمجادلة وصاح الفند بن سهل والقي نفسه على القتال وهو
ينحى الأبطال وبصيح على الرجال ففرق المواكب وأظهر بقتاله العجائب .

فلما رأى المهمل أفعاله برز إليه وطلب قتاله فالتقاه الفند تغلب كالحديد وهجم
عليه هجوم الصناديد وما زال في قتال شديد وحرب ماعليه مزيد إلى أن صار
وقت الزوال فتوقفوا على الحرب والقتال واقتربت العساكر عن بعضها البعض
ونزلت في جوانب تلك الأرض .

(قال الراوى) وكان ربيعة لم يخلق رأسه من دون بني بكر لقد قاتل قتالا
شديدا حتى أنقلته الجراح من من ضرب السيوف وطعن الرماح فوقع طريقا بين
القتلى على وجه الفلا فمرت عليه نساء بني بكر فوجدته ذات لمة طويلة بثيابه من
بنو تغلب فضربت به المطارق حتى أوردته موارد العطب فضربت به الأمثال وتحدثت
به ألسنة الرجال .

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأشرق نوره ولاح ركبت الفوارس
ظهور الخيول واعتقلوا بالسيوف والصول وتقدموا إلى ساحات الميدان بالضرب
والطمان وكان المهمل في الجحفل كأنه قلة من القاتل أو قطعة فصات من ذيل جبل
فصاح وحمل على جيوش الأعداء كميث الآجام وضرب فيهم بالحسام وتبعه
أمرؤ القيس بن أبان وكان صنيديدا واشتد بين الفريقين القتال وكثر القيل والقال
ونقطت الأوصال وجرى الدم وسال وكان يوما شديدا الأهوال لم يسمع بمثلها في
الاجيال كثر فيه القتال والجراح وتددت الفرسان على وجه البطاح وارتفعت
الأرض من قعقة السلاح وهبيل الخيول وهول الكفاح وكان الفند قد حمل

هو اكب المهلهل وقاتل حتى استمقتل وفعلت فرسانه مثلما فعل وبذل جساس في ذلك اليوم غاية الجهور بهجوم يقومه على الرايات والبنود هجوم كواسر الاسود واشتد على المهلهل القتال واحاطت به الاعداء من اليمين والشمال وهو يتقاتل ويمنع وينصح رجاله على الثبات ويدافع حتى جرح في ثلاثة مواضع .

فلما رادت عليه الحال وازدحمت حوله الرجال تأخر عن ساحة المجال خوفاً من الهلاك والوبال وانكسرت بنو تغلب في ذلك النهار اشتد انكسار وتفرقت في البراري والقمار واستظهرت بنو بكر غاية الاستظهار وقتلت منها جماعة من الامراء والاعيان وصناديد الفرسان ومن جملة من لبت الميدان في تلك الفجاءة امرؤ القيس ايان وكان من الاعيان صيته محمود مشكور وهو غير امرؤ القيس الشاعر المشهور فيكي المهلهل عليه وكان يحبه ويميل اليه ورجعت بنو بكر الى الديار وهي بغاية الفرح والاستبشار على ذلك الفعـال .

(قال الراوى) أما المهلهل فقد زاد حنقه على مني بكر وبات تلك الليلة على مقال الجرح ثم جمع الفرسان والاطال وتجهز للحرب والقتال فالتقته بنو بكر بقلوب كالجبال وجرت بينهم وقائع وأحوال لم يسمع بمثلها في سالف الاجيال واستمر الحال على هذا المنوال مدة عشرة أيام وكان المهلهل قد انتصر في أكثر الوقائع جماعة كثيرة من فرسان المعامع ولما كثر بين الفريقين القتل وانفقوا على توقيف الحرب مدة شهرين فاقتربت الفوارس عن بعضها ونزلت كل فرقة بأرضها .

(قال الراوى) ولما قتل كليب كما تقدم الكلام كانت أمه الجليلة حاملة بهذا الغلام فلما طردها الزير الى بيت أبيها وسكنت عند جساس أخيها فولدت غلاماً فسمته الهجرس ولقبوه الناس بالجرو فكانت مع أخواله بنى مرة وأولادهم وكان حاله بحسن ويشفق عليه وكان الغلام قد أحب خاله الأمير جساس دون باقي الناس فلا يدعوه إلا أبا ونشأ الغلام ذا عقل وأدب وهو محبب من جميع العرب لمصاحته وراعته وقوته وشجاعته فكان يركب ظهور الخيل ويتعلم عليها الفروسية في النهار والليل فبرع واشتهر وعلى شيان القبيلة افتخر فلما بلغ عمره خمسة عشرة عاماً زاد شهرة وارتفع مقاماً فرآه جساس في بعض الأيام وهو كأنه لبت الآجام والنر طائر من عيبه ولا يقصر أحد عليه فاندمل واندش وخاف منه وارتعش وكان كثيراً ما يتأمل في أسره ويخاف من سطونه وشره لأنه قتل أباه بالأمس وتركه يتيماً طول الدهر .

(قال الراوى) وانفق ذات يوم أن الجرو ركب في جماعة من الشبان وأخذوا يتعاطون بالجريد في الميدان وكان من جملة الغلمان عجيب ابن الأمير حساس وكان شديد البأس فطعن عجيب الجرو طعنة قال عنها فراحت غائبة ثم أن الجرو تقدم نحو عجيب وطعنه بجريدة أصابته فألقته عن ظهر الجواد إلى الأرض فهش خضباناً فقتل الجرو وأمانه بالسكلام وقال أمكدا تفعل يا ابن اللصم بأمان السادات الكرام وأشار يهدد بهذا الشعر

يقول عجيب من قلب مومع	ألا يا رفقتى حالى عجيب
ضربنى الجرو منه جريدة	فأرمانى وصيرنى كيب
ولم يعلم بأنى خير ماجد	ولد حساس قوم مستهيب
لولا عمتى لقطعت رأسه	وأطرحه على الصرا قليب
فهذا ولد كليب الاعادى	ولا ضد الكلاب إلا القصيب
دعوه يروح عنا لا يماطل	ويذهب سرعة قبل المخب

(قال الراوى) فلما فرغ عجيب من شعره ونظامه وفهم الجرو قوى كلامه أجابه على شعره يقول

يقول الجرو اسمع يا ابن خالى	كلامه ليس يسمعه أديب
تقول اليوم تقتلنى بسيفك	وتتركنى على الغبرا قليب
إذا أبصرتنى يوماً فريداً	فقتلتنى بسيفك يا عجيب
فانزل عن جوادك يا ابن خالى	وافعل ما تريد عن قريب
وافعل ما تريد اليوم فينا	فإنى لا أخافك يا عجيب

(قال الراوى) فلما فرغ الجرو من كلامه وإذا بسليطان أخو حساس أقبل عليهما في ذلك الوقت فوجد الدم يسيل من ابن أخيه حساس فلما علم بواقعة الحال اغتاض غيظاً شديداً وشم الجرو وقال والله لا كرامة أمك لقطعت رأسك وأخذت أنفاسك فقال يا خالها أنا بين يديك فافعل ما تريد ثم هطلت عيناه بالدموع وتهد من فراد مومع وسار إلى عند أمه وأعلمها بما جرى وكان طلب منها الرحيل من ذلك الأوطان فتكدرت أمه وأجابته إلى ذلك الشأن ثم إنهما صبرا حتى اظلم الليل فتركا المضارب والحيام وسارا تحت جنح الظلام في جماعة من العبيد والخدام وجددا في قطع البرارى والآكام مسافة عشرة أيام وانفق في اليوم

الحادي عشر إلهما الدنيا بفسخ في ذلك البر الآفتر وهو يقطع البر المسيح على
فمن تسابق الريح وكان يهيمته عشرة أبطال من صناديد الرجا وكانت قد
خرج لصيد الوحوش والغزلان وهو راجع إلى الاوطان فتقدم الجرو إليه وسلم
عليه فرد الشيخ سلامه وقال له أيتها القتي المساجد من أين آيت وإلى أين قاصد
فقال طردني أهلي وربيت يتيم وأنا طالب لإنسان كريم حتى التقي إليه وأقيم
عده فقال الشيخ إذا كان الأمر كما تقول فشرقي إلى أطلال فأنا لأهديك بروحي
ومالي وأشار إليه يقول .

يقول الأمير منجد من قصيد	ألا يا قاصداً نيل المسارب
فشرق منزلي وأمر عبيدك	يرون الأعر والجنائب
مكم قد حلت البركة علينا	وزال عسا الشر والمتاعب
فنبلى ما تلاقوا أين سرتهم	وعندي تلبقوا كل المطالب
أنا مسجد فن نسل الاكارم	أى وائل وما فينا مهاقب
ألف ألف تحمدي وتخضع	لا مري في المشارق والمغارب
وأنت بقيت بعد اليوم ابني	ولست اليوم في قولي بكاذب

(قال الراوى) وكان هذا الشيخ اسمه منجد بن الامير وائل وهو خال كليب
والبرير البطل الحلاحل وقد كنا ذكرنا عنه في أول الكلام بأنه بعد قتل ريعة
أبو كليب استخدم مع إخوته الثلاثة عند التبغ في بلاد الشام ولما قتل التبغ ولي وهرب
وسكن في آخر بلاد العرب خوفاً من كليب أن يقتله كما قتل إخوته لانه كان ينفضة
حيون أهله وعشيرته فلما فرغ النجد من شعره ونظامه وفهم الجرو طوى كلابه فرح
واستبشر ورجع إلى عند أمه على الأثر وأعلمها بما جرى وكان ثم إتهم ساروا معه إلى
الاوطان ونصبوا المضارب والخيام فأكرمهم منجد غاية الإكرام وأزلهم أعز مقام
وكان لمنجد المذكور عشرة أولاد من الذكور كأنهم البدور فألفوا الجرو وأحبوه
وكانوا الأبنار قوة وكانت أمه الجليلة قد عرفت الأمير منجد حق المعرفة ولما
كتمت الامر عن زيد وعمر خوفاً من العواقب وطول النوائب فاجتهدت بأنها
الجرو وقالت إذا سألك أحد عن اسمك فقل اسمي الهجرس ولا تقول الجرو فقال
إن الإسمين واحد فإيه مرادك بذلك فقالت وإن يكون الهجرس كلب الصياد فإنه
أصلح من الجرو ابن الكلب وأنت أمير وأبوك كان من الفرسان المشاهير ومن

ذلك اليوم تسمى الهجر من وغلب علينا هذا اللقب بين العرب وكانت أمه في قلق
عظيم خوفاً عليه فاجتمعت ذات يوم بشيخ عبيدها وكان اسمه صباح وأشارت
تقول من فؤاد مبتول :



(الجميلة بنت مرة)

أيا صبيح أسمع الكلام
مكيد الأعدى بضرب الحسام
ولد وائل وافي الزمام
عسا كر كثيرة كفيض الغمام
مع سالم الزير قوم همام
مكيد الأعدى بضرب الحسام
كيف العمل الآن صرنا نضام
قتل إخوته في دمشق الشام
وأهلك أخوه منجد وشام
عرفته وقد اعتراني سقام
يهرينه ويدعى دمه سجام

(حسان التيمي الملك اليماني)

تقول الجميلة بدمع سجام
فهذا الشيخ الذي تراه
يسمى منجد صميدع عنيد
فهو أمير وابن أمير وحوله
فهذا خال كليب الأمير
فهو خالهم قد عرفته سريع
وهو خال زوجي لكن عدو
وأصل العداوة كليب الأمير
قتل اليمامة وأخذ ثار أبوها
ونحن الآن نزلنا عليه
لأن أعاف على إبن حقيق

عدوك اباك تركن إليه ولو إنه سفاك المدام
(قال الراوى) فلما فرغت من شعرها ونظامها فهم صبيح فحوى كلامها قال
أين متوجه الآن وقد صار لنا مدة من الزمان والصواب أن نكتم أمرنا على كل
إنسان فينبأ بفرجها علينا الرحمن الرحيم واستمروا مدة طويلة في تلك القبيلة وهم
في عز وإقبال وأرغد عيش وأحسن حال إلى أن كان في بعض الأيام أغار على الأمير
منجد بعض الملوك العربان في ثمانين ألف عنان فالتقاء منجد بمسكر بجرار فانكسر
عدة مرات حتى آل أمره إلى الدمار .

فلما شاهد الجرو تلك الأحوال وما وقع بمنجد من الأحوال برز إلى ساحة المجال
وقاتل الشجعان والأبطال وأظهر الغرائب العجائب ففرق الصفوف والمواكب
وكسر ذلك العسكر وقيل فعلا تبقى وتذكر مادامت الشمس والقمر عند رجوعه
من معركة القتال بالنصر والإقبال فشكره منجد على تلك الفعال وقال له مثلك
تكون الرجال فوالله لقد حيت الحريم وطردت الغريم وخلدت لك ذكر أجيالا
على طول الدوام عند وصولها سراية الأحكام وجلوسهما في الديوان قال منجد
بمحضور السادات والأعيان مثلك تكون الفرسان فاعلنى عن حسبك ونسبك
ومن يكون قومك فلما سمع الجرو فحوى كلامه أجابه بهذا القصيد :

أيا غر ماجد في الرجال	فاسمع يا ملك فحوى كلامي
أنا إسمي اليتيم يا مسمى	ولا أعرف أبى ولا أخوالى
ولانى قد سألت أى مراراً	فتسكت لا ترد إلى سؤالى
تقول أبوك شاليش بن مرة	قتله الزير في يوم النزال
فأطلب من إله العرش ربى	لاخذ النار منه بالقتال

(قال الراوى) فلما فرغ الهجرس من كلامه زاد منجد في احترامه ونهض على
الأقدام وأعتقه أمام السادات الكرام وقال له أنت من بنى مرة أصحاب الشجاعة
والقدرة فعربك من عربى ونسبك من نسي فوالله ما ضاع نظرى فيك فاطلب من
الله أن يحفظك ويبتقيك و بنصرك على جميع حسادك وأعاديك من ذلك الوقت
زاد في إكرامه ورفع مقامه على جميع أقوامه وأقامه ملكاً على تلك الديار وصار
في مزيد الوفاق والاعتبار عند الكبار والصغار وكان لمنجد بنت بديعة الجمال

منصفة بالاداب والكمال كأنها هلال ذات عقل ثاقب ورأى صائب لا يوجد
مثله في العرب والأعاجم إسمها بدر باسم فزوجه إياها وتمتع الجرو بحسنها وأقام
في أرغد عيش وأحسن حال وهو يحكم على تلك الاطلال وفد أخته جميع الرجال
(قال الراوى) هذا ما كان من الهجرس والحيلة وما جرى لها في تلك القبيلة
وأما حساس فإته بعد رحيل أخته من الديار زادت به الا كدار وكان كثيرا
ما يتذكرها في الليل والنهار فاتفق في بعض الايام بينما هو جالس في الخيام دخل
عليه بعض الشعراء فسلم عليه وعلى باقى الامراء وأخذ يمدحه بهذا الشعر والنظام
على ما جرت به العادة في تلك الايام :

قال جابر في بيوت صادق	أنت يا حساس رب المكرمات
سمعت بصيتك أنا يا ذا الامر	في الكرم والجود يا غر الذوات
أنت ملك البلاد جميعها	حاكما في الارض من كل الجبات
قاتل الضد في يوم الوغا	مكرم للضيف سنة المحملات
أنت يا حساس ملك البلاد	مع إخوتك وشقايقك السيدات
لولا كم ما كنت جيت لارضكم	ما كنت فارقت العيال مع البنات
وتركت أختي يا ملك أولادها	وزوج أختي يا ملك ذا العام مات
أولاد أختي يا ملك سبعة ذكور	عند أولادى وأهلى تبات
جور هذا الدهر في الدنيا عجيب	كم له في كل يوم تقلبات

(قال الراوى) فلما فرغ جابر من شعره ونظامه وفهم حساس فحوى كلامه
أمر له بألف دينار واعتبره غاية الاعتبار ثم التفت إليه أخوه سلطان وقال له أمام
السادات والاعيان أسمعت كلام هذا الشاعر الذى يدور في القبائل والعشائر ويمدح
السادات والا كابر أملا في المكاسب وبلوغ المآرب كيف أنه ذكر أخته في شعره
ولم ينسها طول دهره فكيف نحن نكون سلاطين الزمان وملوك العصر والاوان
ونترك أختنا أن تغضب منا وتبعد ولا تعلم إلى أين ذهبت وأى قبيلة طلبت فإذا
تقول عنا دول الممالك إذا سمعت عنا ذلك فمن الواجب أن نقتنى أخبارها الآن
ونعيدها معروزة إلى الاوطان ثم أنه بكى أمام جلسائه وبكت إخوته لمكانه وندم
سلطان على ما فعل واستعظم ذلك العمل ثم التفت حساس إلى ذلك الشاعر وقال
له أنت تطوف حول العرب وتمدح الملوك وأصحاب الرتب فأريد أن تستقصى له عن
أخبار الجرو وأختي الجليلة وتعلمنى إلى أى حلة قصدوا عن إسم القبيلة فإن أتيتنى

بصحة الخبر بلغتك القصد والوטר فأجابه الشاعر وامثل ثم سار على عجل يطوف
القبائل والخلل ويستقصي عنها الأخبار من الكبار والصغار حتى سمع بخبرهما
ووقف على حقيقة أمرهما فقصدهما إلى ذلك المكان واجتمع بهما في الصيوان
وحدثهما بما سمع في حقهما من حساس وسلطان ثم أشار بمدح الجرو ويقول
وهو فرحان على بلوغ القصد :

يقول جبر من قلب حزين	فدمعي سال من وسط الاماق
أدور على القبائل والعشائر	لاحظي بالمكاسب والنياق
فاصغي يا أمير إلى كلامي	فأنت أجل فرسان السباق
قصيتك شاع في كل القبائل	فن ين إلى أرض العراق
وما لك في البرايا من شبيه	ونجمك فاق سام المجد راق
سألت الله أن يحفظ جياك	على طول المدى والدهر باق
رحنا من حماة لعند خالك	ملك حساس سلطان الآفاق
فأهدانا وقام أنعم علينا	وقلبه من بعادك باحتراق
وأرسلني لاكشف أين أنتم	ليحظى فيكم من بعد الفراق

(قال الراوي) وكانت الجليلة تسمع هذا الشعر وهي خلف الحجاب والستر
فما هان عليها أن تسمع بذلك إخواتها كانوا سيباً لغربتها وقرقتها من حلها فأمرت
كبير العبيد أن يوقف عن إتمام القصيد وأن يكتن خبرهما عن هذا وذلك خوفاً
من الفضيحة والإنهاك ثم أمرت له بألف دينار وأعطاه الجرو مثل ذلك المقدار
ففرح الشاعر واستبشر ورجع على الأثر وعلم حساس بذلك الخبر فأرسل في الحال
أخوه سلطان في جماعة من الأبطال ليأتوا بأخته الجليلة وابنها الجرو من تلك الأطلال
فما اقترب سلطان إلى تلك الأوطان أرسل بعض الفرسان ليعلم منجد بقدمه إلى
أوطانه فخرج في الحال في جماعة من فرسانه فالتقاه أحسن ملحق لأنهم كانوا أقارب
أصدقاء وأنزله في سراية الأحكام وذبح له النوق والأغنام وأكرمه غاية الإكرام
وفي ثاني الأيام اجتمع سلطان بأخته الجليلة وولدها الجرو واعتذر لهما بما فرط
منه وطلب منهما الرجوع إلى الديار وشدد عليهما في ذلك غاية التشديد فأجابه إلى
ما طلب وأعلم الجرو والأمير منجد بأنه يريد الرجوع إلى أهله وعشيرته مع أمه
وزوجته ومن يلوذ به من جماعته لأن نفسه اشتاقت إلى الوطن فقال منجد والله

يا أمير يعز علينا فراقك ولا زالت أرواحنا في كل وقت تشتافك ولكننا لا نقدر
أن نمنعك عن أملاك وأصحابك وبنى عمك وأحبائك ثم أعطاه مائة ناقة بحملة
حفائس الأقمشة والذخائر ومائة جواد وغير ذلك من المعادن والجواهر ومائة عبد
ومائة جارية وأركب ابنته زوجة المجرس على هودج كبير وسار لوداعهم مسافة
نصف يوم ثم رجع إلى الديار وسار المجرس مع أمه وزوجته يقطعون القفار
حتى وصلوا إلى منازل بني مرة فالتقاهم حساس بالفرح والمسرة وأمر بذبح
الذبائح وإطعام الغادي والرائح وأشار إلى الجرو يقول :

لما قال الفتى حساس صادق	أيا مرحبا بك يا ابن أختي
ففيكم حلت البركة علينا	وضاء الحى في قربك إلينا
وأماك يا فتى عيني وروحي	وعمرك يا جليلة ما فرحت
فإنك غدا كالسبع الكاسر	فإن الجرو للأعداء كاسر
بيوت الحرب والاهوال كاسر	إله العرش إرجعه ظافر
فلا تمتب على سلطان خالك	ولا قوله سيخطر قط ببالك
فلا لمبني ولا نحن مثالك	أنا سأحكمك من فوق تخفى
أنا أبكي على المرحوم أبك	قتله الزير في ربك وحيك
فقم اركب يا روح خيلك	وأخذ من المهلهل أى مأخذ
سألتك الله أن تأخذ بشارك	بقتله تكشف عنك عارك
مرادى تقتله وتأخذ بشارك	وتحرقه بشارك يا ابن أختي

(قال الراوى) فلما فرغ حساس من شعره ونظامه تبسم الجرو من كلامه
وقال له كن مطمئن الخاطر يا جمال هذا ما كان من الجرو وحساس وأما الزير الفارس
الدعاس فإنه بينما كان راقد ذات ليلة إذ رأى في منامه ولذيذ أحلامه أخاه الأمير
كليب وهو يعاتبه بهذه الآيات على أخذ النار وكشف العار ويقول وعمر
السامعين يطول :

تمام الليل كله يامهلهل	وتارى ما قدرت على وفاة
وعظمى ذات حتى صار كحلا	وحساس بن مرة في الحياة

فأجابه الزير يقول :
أمير كليب ما قصرت يوما
بأخذ النار من قوم البقاة

هضم أسان منانك يا حبيبي على طمعي وضري بالمعدة
(قال الراوى) فاستيقظت نبات كليب من المنام وأيقظت عيني بهذا الشعر
والنظام:

يقولون اليتامى يا مهلهل أنا كليب يستجد أحاه
كليب قام من وسط المقادير وصار كليب في وسط الحياة
(قال الراوى) كان الزير قد استيقظ من مامه فرأى النبات حواله فقال لمن
وأيت أياكم في المنام ثم حدثني بما سمعه ورآه بالسكالم والتنام فبكين بكاء شديدا
فقال الزير إن هذا المنام يدل على عجب وحادث يقع عن قريب فاستدعى بعض
الرمالين إليه وقص ذلك المنام عليه فغضب الرمل الرمال ورسم الاشكال وولد
النبات من الامهات حتى عرف حقيقة الخبر فقال له لك البشرى يا فارس الصدام
هذان جساما سوف يقتل من بعد أيام وذلك من يد شخص يظهر من لحمك ودمك
وأشار يقول:

يقول بشير إسمع يا مهلهل أيا ستالم فابشر زال همك
أتاك النصر من رب البرايا إله العرش بالخيرات همك
وقد ظهر رسول الرمل عندي سيظهر شخص من لحمك ودمك
فيقتل في الرغا جساما حالا وأنت ترجه ويزول همك
وتهلك بعده أولاد مرة ونستقيم جميعاً كأس سمك
(قال الراوى) فلما سمع المهلهل هذا الشعر من الرمال فرح واستبشر وقال له
إن تم ذلك الكلام أنشر مني بيلوغ المرام ثم إنه أحسن إليه ووعد به بكل جميل
ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح ركب المهلهل إلى الحرب والكفاح وتبعه
الابطال والفرسان وركب أيضاً الأمير جساس بالرجال والشجعان واقتلوا
إطول ذلك النهار وقتل المهلهل منهم عدد كثير المقدار ومازالوا في أشد القتال إلى
أن دقوا طبول الانفصال فافترقت الطوائف عن بعضها ونزلت كل فرقة في أرضها
وأما الهجرس فإنه لم يركب مع جساس في ذلك اليوم فاجتمع جساما بأخت الجليبة
في المساء وقال لها إن ابنك لم يقاتل معنا ولا نعلم ما هو السبب فأسأله وأعلميني
عما يقول فسأله أنه عن عدم خروجه إلى الحرب فقال لها اعلمي يا أماء أنه لا يلقتاني
فقال لي الزير سوى حسان خال جساس إلا خرج إن وهبني إياها فأنا أعطيه عوضه

وأس المهمل فإن قبل بهذا الطلب بلغته غاية الأرب فرجعت الجميلة على الأثر
وأعلمت أخاها جساس بهذا الخبر فوهبه الحصان وقال له إن قتلت هذا الشيطان
تكون علينا ملك ونحن لك غلمانا وأعوانا ففرح الجرو بذلك وضمن لجساس
قتل الزير أما الفرسان والقواد ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب
الجرو الحصان المذكور وتبعه كل فارس مشهور وكان الزير قد ركب وطلب براز
الفرسان وقال أين جساس الجبان فليبرز إلى الميدان فبرز الجرو إليه وهجم عليه
وأشار يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الهجرس يا مهمل إن عزرائيل أقبل
أين تعدى اليوم مني سوف تلقاني وتقتل
لا تحسبني بظنك إني كمن قد جاك

(قال الراوى) فلما فرغ الهجرس من شعره حمل عليه وكان المهمل قد مال عليه
ليه وتحركت جميع أعضائه بإذن الله وهذا الهجرس قد قصد قتله وقلعانه ليوفى إلى
جساس ضمانه وكان الزير يبطل مضاربه بحسن اختياره ولا كان قلبه يطاوعه على قتله
ودماره ومازال على تلك الحال وهما في عراك وقتال إلى أن دقت طبول الانفصال
وعاد العسكران عن ساحة المجال ورجع المهمل إلى الأطلال واجتمع بينات أخيه
كليب وأعلمهن بحديث الغلام وما جرى بينهما في معركة الصدام وكيف أنه أشبه
الناس بأبيهما كليب في الصورة والقتال ثم قال لليامة أعلميني هل كانت أمك الجميلة
حاملة لما ذهبت إلى بيت أبيها فقالت نعم يا عمى كان لها نحو شهرين ولكن ما هو
معنى هذا السؤال فأشدد وقال :

يقول الزير أبو ليلى المهمل
يمامة اسمعى منى كلامى
برزت اليوم للميدان حتى
فبارزنى غلام غريب منهم
كمثل أباكم وجهها وحربا
فقد قاتلته فى كل لطف
فحملاته وطعانه قوية
فلما انتهى من شعره أجابته اليامة تقول :

ألا يا عم اسمع ما أقوله لتفهم سالم الخير اليقينة

فأمرى حاملة من يوم راحت وحق الله رب العالمينا
ولست أدري إيش جابت أبنت أم غلام يا فطينا
ثلاثة إشارات لي في كليب إشارات بعقلي راسخينا
ركب يوماً بقرب النوم مرة وقال أيا يمامة أنظرينا
من التفاح أعطاني ثلاثة وقال بذى الثلاثة أتضربينا
فإنك سوف تحتاجي إليهم إذا ظهر لنا حقاً بنونا
ضربه بواحدة يا عم راحت بضرب رقابه راحت طحيننا
وثاني واحدة في رجه وثالثهم خطفها باليميننا
عدا انزل واضربه ثلاثة كفل أبي أيا عمي الحنوننا
يكون أخى إذا سوى نظره وإن خالف يكون غريب فينا
عمى الله يدركنا بلطفه وينصرنا إله العالمينا

(قال الراوى) فلما فرغت اليمامة من شعرها ونظامها وعمها بسمع حوى
كلامها قال لها فعل أبوك ذلك قالت قبل موته بشهرين عندما كنت على بير
السباع وقد صممت الآن أن أرافقك إلى الميدان وأضربه بالتفاح في ساحة الكفاح
وأن أفعل كما فعل أبي يكون لاشك أخى وبه أبلغ أربي

(تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع)

الجزء التاسع

من قصة الزير أبو ليلى المهلهل

وفي ثاني الايام ركب الزير للحرب والصدام وركبت معه البمامة وقد أخذت معها ثلاثة وكان الجرو قد ركب أيضاً بالابطال فصال وجال وطلب الزير الحرب والقتال فبرزت إليه البمامة بالعجل وقالت أنا أقاتلك اليوم دون المهلهل فاستعظم الجرو ذلك ولم يعلم السبب ثم أن البمامة أخذت تفاحاً ولوحها بيدها وضربت بهما فأخذها برجله مع الركاب فطحنها طحناً ثم إنها ضربته بالثانية فأخذها على سنان الرمح ثم أخذت الثالثة وقالت اللهم يا خالق الخلق امح الباطل واكشف الحق فأخذها بيده ووضعها في جيبه فلما شاهدت الحال أيقنت أنه أخوها لا بحالة فزلت عن ظهر الجرواد وتقدمت إليه والقت نفسها عليه وقالت أهلاً وسهلاً يا أخي ان أبي وأمي فأنت والله ابن كليب دون شك ولا ريب وقد ربيت في دار العدا والحمد لله الذي عرفناك بعد طول المدى فقال لها أنا ابن شاليش أيتها السيدة الحرة وأمي هي الجلييلة بنت الامير مرة فقالت أنت ابن الامير كليب ثم أنشدت تقول

قالت بمامة من ضميرها	دمع العيون على الحدين هنان
إسمع أخي قصتي وافهم معانيها	يا قاهر العدا في وسط ميدان
أبوك خاه حساس أيا سندی	بطعنة يا عظيم القدر والشأن
شاليش خالك كل الناس تعرفه	أهل الاعارب قاضيها ومن دان
وعملك الزير تغر الناس كلهم	وفارس الخيل من عجم وعربان
فاسأل لأمك ثم سرك اكنمه	وارجع إلينا فأنت اليوم في أمان

(قال الراوى) فلما فرغت البمامة من شعرها تأكدت عنده تلك القضية لأن قلبه كان لا يميل إلى حساس ولا إلى أحد من بني مرة ولا سيما أنه قد حن قلبه إلى البمامة فقال لها سرّاً لقد صدقت بقولك هذا فأذهبي الآن وعند الصباح أتبعك إلى الأوطان ثم توقفت عن القتال ورجع إلى عند أمه في الحال وأخبرها بذلك الشأن وأن تعلمه من هو أبوه من الفرسان وحلف لها بالإله الدبان أنها إن كتبت عنه حقيقة الخبر قتلها وجعلها عبدة لمن اعتبر فلما علمت أمه بأن الخبر قد اتصل إليه وأن الأمر ما عاد يخفى عليه أعلمته بالقصة من أولها إلى آخرها وأرقفته على باطنها وظاهرها وأشارت إليه تقول من فؤاد مقبول :

الجليلة قالت أبيت
 أستمع يا ولدى فيما أقوله
 أنت روحى افتهم منى الكلام
 إن أبوك كليب صور المحصنات
 وإخوته خمسون أعمامك جميع
 أربعة من الست يا ابنى حقيق
 منهم المسمى أبوك كليب كان
 والفقى المسمى عدى درعان
 ثم ست وأربعين خلافهم
 كلهم يا أمير أعمامك لهم
 وأبوك كليب سار على الجميع
 جاء جساس خالك باق فيه
 وطردنى عمك الزير بعده
 قد كنت حامل فيك بعد أبيتك
 رحت سميتك على اسم الكلاب
 وأنا والله من خوفى عليك
 وأنا أعلمتك افعل ما تريد

نار قلبي بالخشا زادت لظا
 يا ضيماً عيني ويا كل المتى
 قول صادق ليس فيه من خفا
 قاهر الأبطال فى يوم الوغى
 كلهم فرسان طعانة فنا
 كل واحد سبع ربي بالفلأ
 والفقى الزير المهلهل يا منى
 هذه الأربعة أتوا منها شوا
 من الجوارى والسرارى والاما
 كل واحد ألف يطعن بالوغا
 بالفروسية مع جود وسخا
 وتركنى بعده مثل الاما
 فرحت إلى أهلى دون الملا
 فولدتك فى تلك الحما
 سرت كأنك سبع رابى بالفلأ
 قلت أخى شاليش إنه لك أبا
 ما بقيت أخاف يا فخر الملا

(قال الراوى) فلما فرغت الجليلة من هذا الشعر بكى الجرو بكاء شديداً ولا
 أمه على كتمان الأمر ثم إنه صبر إلى الليل فركب وسار بالعجل إلى عند المهلهل وصحبه
 العبد أبو شهوان الذى كان أرسله إليه عمه فارس الفرسان وفى أثناء الطريق أراه
 العبد قصر أبيه وقبره المصفح بالذهب فلما رآه بكى وابتحب وعند وصوله إلى عند
 عمه دخل عليه وقبل يديه وعينيه واجتمعت جميع شقايقه ومن يلوذ به من أهله
 وأقاربه فوقوا عليه وترحبوا به وكان الزير أفرح الخلق به ولما استقر به الجلوس
 وطابت من القوم النفوس قال الجرو الحمد لله رب الكائنات الذى جمع شملنا بعد
 الشتات فوالله العظيم رب موسى وإبراهيم لا يدلى من قتل جساس واجعله مثلاً بين
 الناس لأنه فجئنى بأبى تاجى وغرى وتركنى يتما طول دهرى فقال له لا بد من قتله
 على رؤوس الأشهاد وأنت تكون الحاكم بعد أبيتك على هذه البلاد ثم أنشد وقال
 يقول الزير أبو ليلى المهلهل صفنا عيشى وقتى ما تمسك

أنا في السعد من رب البرايا وزال النحاس لما السعد أقل
فقبل ظهوره كنا حزانا نقضى الليل في قلق ونسهر
على فقد الفتى الماجد كليبا نوى غدرا له جساس فنظر
وفي دمه كتب بالبلاطة وصايا عشر أبيات أو أكثر
يوصيني بقوله لا تصالح فسالم أنت إن ضالحت تخسر
واطرد الجيلة من حمانا عذوة كعبها ما كان أخضر
طردناها وهي بالجرو حامل ومن يقدر على رد المقدر
أنا فيهم فتكت محمد سيفي وأنت القصد منهم بالمشهد
ولاني ما نكيت على كليب أخذت بثاره بالسيف مجز
فابكي حيث ما خلف ذكورا بنات الكل ماله طفل يذكر
ولما خالقي أنعم علينا وجانا الجرو كالسبع الغضفر
صفا عيشي وقد نلت المقاصد وزال النحاس عنا ثم أدبر
وبعد يا ابني إسمع كلامي أنا عمك وأنت الليث قسور
فقم اجلس على كرسي أبوك وفي أحوال إخوانك تبصر

(قال الراوي) فلما فرغ الزير من الشعر والنظام قال الجرو أطال الله بقاءك ونصرك
على جميع حسادك وأعداك وبلغت قصدك ومناك إنني والله يا عم في قلق وغم فلا
تزول أحزاني وأنال أربي حتى آخذ بثار أبي واقطع رأس جساس واجعله مثلا بين
الناس فشكره جميع أهله وأعمامه وبعد ذلك قال له الزير ما هو الرأي عندنا يا ابن
أختي قال الرأي عندي إنني أغار عليكم نهرا غدا وأخذ نوقمكم وجمالكم إلى جساس
وأقول له باني أتيت اليوم بأموالهم ومواشيهم وغدا آتي إليك برأس الزير ثم
لا حاربك وتكون أنت واضع قرية من الدم تحت جانبك فاطعنك بالرمح فخذ
تحت إبطك والقي نفسك على الأرض فتنتشق القرية ويهرق الدم وأنا أصبح على
جساس وأقول له قد قتلت عدوك يا خال انزل إليه واقطع رأسه لقد زال السكر
وباغيا اليوم الوطر وعندما يأتي إليك فتقوم إليه بالعجل وتقدمه الحياة لأنه لم يعلم
بقدومي عليكم وبهذه الوسيلة تتم الخيلة وتتخلص من هذه الورطة الويلة فاستصوب
الزير رأيته ثم أنه ودعهم وسار وحده إلى ديار بني مرة وعند الصباح ركب الجرو
في جماعة من الفريسان ومواق مواشي بني قيس من الرعيان باتفاق الأمير مهمل ليت
الميدان فخرج الأمير جساس وسادات من بني مرة وشكروا الجرو على هذه القيمة

(قال الرازي) فاتفق في تلك الليلة بأن حساس رأى حلياً غريباً وهو أنه أبصر
 ذاته بأنه كان قد ربي عنده جرو وذهب وكان يوده ويحبه فلما انتهى وترعرع
 وتصاحب مع سبع كاسر فآلفه إلى أن كان في بعض الايام أغار السبع على مواشى
 عني مرة وهجم على نسائهم وأولادهم وجعل يفترس كبارهم وصغارهم وكان الذئب
 يساعد عليهم فاغتاط حساس من فعال الاسد فسل السيف وهجم عليه يريد قتله
 وإعدامه فوثب عليه الذئب من ورائه ونهشه فالتقاء صريعاً على الارض ففاق
 حساس مرعوباً من هذا الحلم فنهض في الحال وسار إلى الديوان وجمع إخوته وباقي
 السادات والاعيان وأعلمهم بذلك المنام فقالوا هذه أضغاث أحلام وما زالوا
 يهونون عليه حتى راق وزال عنه القلق والسكدر ولما أصبح الصباح ركب الزير يطلب
 الحرب والمكفاح وركب الأمير حساس وهو في قلق ووسواس وكان الجرو قد
 أوعده بهلاك القوم وقتل المهلهل في ذلك اليوم ولما التقى الفريقان برز الجرو إلى
 ساحة الميدان فبرز اليه المهلهل فالتقاء الجرو وصال وصال وطعنه بالرمح طعنة
 كاذبة فسحبها المهلهل من تحت إبطه فراحت غائبة وألقى نفسه على الارض من فوق
 ظهر الحصان خديعة على عيون الفرسان ليظهر لهم أنه قد مات وحلت به الآفات
 فعند ذلك صاح الجرو والله أكبر على من طغى وتجبر فقد نلنا المراد بقتل الزير الذي
 أملاك العباد ثم أنه صاح على حساس وقال له انزل ياغال واقطع رأس عدوك
 فقد قتلته وكفيتك شره فلما رآه يختبئ بدمه نزل عن ظهر القميرة وهو يظن أنه قد
 بلغ غاية مراده ولما اقترب منه نهض الزير على قدميه وقبضه من حقيقته وهجم الجرو
 أيضاً عليه ووضع الرمح بين كتفيه فعند ذلك علم حساس أنها حيلة قد تمت عليه
 هو تأكد عنده صحة ذلك المنام فأخذ يخاطب الجرو بهذا الشعر والنظام :

قال حساس الذي شاهد وفاة يا سياج البيض في طعن القنا
 إنني بك يا ابن أختي مستجير فاجرني يا ابن أختي من القنا
 فأجابته الجرو بهذه الايات :

أيا غال اقصر عن ملائك دني أجلك وقد وافي حمامك
 تقول أحرني يا ابن أختي ألا يا جرو اعطينا زمانك
 قتلت كليب ظلمنا وعدوانا تظنوا بأنفسهم أسمع كلامك
 وبعد كليب أصبحت حاكم تسامى في الملا أيضاً كلامك
 طغيت وجرت في حكمك علينا فأذن لي لم تعد تسمع كلامك
 تريد اليوم منا أن ننجرك فهذا ما تشوفه في منامك

(قال الراوى) فلما فرغ الجرو من كلامه جعل حساس يتوسل إليه بأن يعفو عنه وقال بالله عليك أن تصحح عني فإن الذى مضى قد مضى وهل إذا قتلتني يعيش كلب ويقوم فأركنى لوجه الله الواحد للقيوم فقال الجرو لا بد من قتلك كما قتلت أبى حتى أكون قد بلغت أرمى فلما أطال بينهما الخطاب قال لهما الزير أرا كما قد اظلمنا الكلام والعتاب فعند ذلك طعنه الجرو بالرمح فى صدره فخرج يلعب من ظهره ونقدم إليه الزير بالسيف على رأسه فقطعه ثم وضع فيه على عنقه وجعل يمسحه حتى شرب جميع دمه وكان الجرو ينهش فى لحمه حتى بلغ مراده وشق فؤاده وبعد ذلك أعطى الرأس إلى الجرو لياخذه إلى شقايقه فسلمه الجرو إلى بعض عبيده وهجم مع قومه فى باقى الأبطال على جموع بنى مره فى الحال وأذاقوهم الوبال وبلغوا منهم الأموال وكانت بنو مره لما علمت بقتل حساس أيقنت بالموت الآخر لأنه كان القائد الأكبر وعليه الاعتماد فى الحرب والطراد فولت الأدبار وطلبت الهزيمة والفرار وكان المهلهل قد قتل منهم فى ذلك النهار خلقا كثيرا بهذا المقدار فمنهم أمراء وقواد وسادات أجماد وأما الذين سلموا منهم فإنهم طلبوا الزمام من الزير والجرو فأجارهم وعفوا عنهم بشرط أن يكونوا مثل العبيد لا يتقلون سلاح ولا يحضرون حربا ولا كفاحا ولا يوقدون نارا لا ليلا ولا نهارا ولا يعرف لهم قبر ميت فى جوار لاقى مقبرة ولا فى دار إلا مشقتين فى البرارى والقفار يقضوا حياتهم بضرب الطبل ونفخ المزمار وإن غابت نسائم طول النهار لا يسألها فبن كانت بل يسألها إيش جابت وليس لهم صفة سوى الرقص والحلاعة فقبلوا على هذا الشرط بكل رضا وقناعة وبعد هذه الشروط تسلطن الجرو على كل القبائل نظير أبيه وطاعته العباد وشاع ذكره فى البلاد وفرحت بنات كليب كل الفرح وزال عنهم الغم والترح وخلعن عنهم ثياب السواد وكان ذلك النهار عندهم من أعظم الأعياد وكان الجرو قد تزوج بثلاث نوات وولد له ولدان فسمى الأول تغلب والثانى مالك ولما بلغا سن الرجولية روجهما بنتين شقيقتين وهما بنات الأمير هلال حاكم حماة وزوج أخته البمامة للأمير مفلح ابن الأمير مذكور وهذا ما جرى بينهم وهكذا اتصل الحسب والنسب وحدث نيران الحروب بين قبائل العرب وكان أفرح الناس الأمير مهلهل وكان الجرو قد عرض عليه الزواج فامتنع وكان منعكفا على الجلوس فى الخيام وأكل الطعام وشرب المدام وأقام له عشرون عبدا فى رسم خدمته وكان يرفد وينام وهو لا يس آلة الحرب والصدام لأنه كان قد اعتاد

عليه مدة الحروب والشهور التي استمرت أربعين سنة وكسور كما في التاريخ
هذ كور هذا ما كان من أمر المهمل في تلك الايام وسوف يقع له حديث وكلام
وأما الجرو فإنه قد زوج أربعة من شقيقاته إلى جماعة من الامراء وصنع لهم
ولائم وأفراح مدة طويلة وأما ولداه مالك وتغلب فإنها بقيامدة خمسة عشر سنة
ولم يرزقا بأولاد من بنات الامير هلال المذكور وبعد نهاية المدة طلبت نساؤهما
زيارة أهلها في حاة فطلب أزواجهما من أيهما الجرو أن يأذن لهما بذلك فأمر لهما
فساروا مع نساتهما إلى تلك الاطراف ولما بلغ الامير هلال بقدم أصهاره بنساتهما
خرج للتفاهم مع ولده الامير مفلح وخرجت متهما اليما فزوجة الامير مفلح المذكور
وخرج أيضاً أكابر المدينة فالتقوا بالترحاب والإكرام وأنزلوهم في أحسن مكان
بقاموا في تلك الاوطان مدة من الزمان وهم في سرور وأفراح وبسط وانسراح
ولما صمم الامير مالك وتغلب على الرجوع إلى الاطلال مات الامير مفلح مع أبيه
الامير هلال فأقاما يحكمان في تلك الديار وانقادت لامرهما أهل تلك البلاد وكانا
محبوبان من جميع العباد وكانت اليما بعد وفاة بعلها ذهبت إلى عند أهلها .

(قال الراوى) فاتفق ذات يوم الامير مالك قال لاخته تغلب أعلم يا أخى إنه
قد مضى علينا مدة من الزمان ولم ترزق بولد ذكر حتى يبقى لنا ذكر يذكر بين
البشر فدعنا نتزوج الآن على نساءنا فاهل الله يرزقنا بأولاد وإلا انقطع نسلنا من
بين العباد فقال تغلب من الصواب أن نصلى إلى الله في هذه الليلة ونتضرع إليه أن
يرزقنا أولادا من نساتنا لأنه على كل شيء قدير فامتثل أخوه رأيه وصليا تلك
الليلة بحرارة قلب وأشار تغلب يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الفتى تغلب على ما جرى	بدمع جرى فوق الحدود نهود
أقول وفي قلبي من البين لوعة	وبى حسرات ظى الفؤاد ثور
لفراق أبينا الجرو والوزير عمنا	عليهم قلبي والحشا مكسور
يارب يا رحمن يا سامع الدعاء	عليك اتكأنا يا جابر المكسور
سألتك ربى بالخليل وإبنه	حق الذى إليه العبيد تزور
فيارب يا رحمن اجبر قلوبنا	بجاه عيسى وموسى الفاضل المشهور
بجاه داود مع يحيى مع الخضر	وبالعرش والكرسى وبحر النور
ترزقنا بولدين يحبوا ذكرنا	أيا من ترزق كل وحش كسور

(قال الراوى) وكان الأمير تغلب يشهد هذه الآبيات وأخوه مالك يقول أمير
يارب العالمين فاستجاب الله دعائها ولم يخيب نكواهما فما مضت مدة يسيرة وورقة
قصيرة حتى حبلت نساها ولما تمت أيامها ولدن الإثنان في يوم واحد فولدت
زوجة مالك بنتاً وزوجة تغلب ولداً ذكرأ فقامت في الحى الأفراح والمسررات
وكان جناب الأميرين فى الصيد والقتل فأرسلوا لهما بعض العبيد يبشرهما بذلك
وكان اسمه سرور فلما أقبل إليهما العبد قال لهما علامك يا سرور أبشيرا أم نذير
فقال لئننى بشير وأشار إليهما بهذه الآبيات :

يا سادى أنتنكم قاصد بشير	قال الداعى المسمى سرور
ووجهها كالشمس والبدر المنير	يا أمير مالك أذاك بنت كالقمر
يصرح القلب المقيم يا أمير	وأنت يا تغلب أذاك غلام
فوق حمرا كأنها طير يطير	أنت إليكم حالا بلا بطل
اجبروا بالله قلبى اكسير	أريد منكم يا كرام بشارى

(قال الراوى) فلما سمع كلام العبد فرحاً فرحاً شديداً وأعتقا للعبد وأعطوه
الف دينار ولما حضرا إلى الحى أمر بذبج الذبائح وأولما الولائم وأقاما الفرح
والسرور مدة شهرين كاملين وأرسلوا حالا يعلما أباهما وعمهما الزير ويبشرهما بذلك
وسميا الغلام الأوس والبنت مى وتعاهدا الأخان على زواج البنت بالغلام إذا كبر
ولما بلغ الجرو والمهلل ذلك الخبر فرحوا جدا وشكرا الله على هذه النعمة العظيمة
وركب الجرو فى جمع غفير من قومه وأبطاله وسار جهة أولاده لأنه كان له غاية
الاشتياق لمشاهدتهما ولما اقترب من تلك الديار وبلغا ولديه قدومه خرجا لملاقاته
فى موكب عظيم وعند وصوله سلما عليه ووقعا على يديه يتبلاها فقبلهما بين عينيهما
ودعا لهما ثم سألاه عن عمهما فقال لهما فى خير وعافية وإله ما زال فى خيامه وهو
ملازم طعامه مع مدامه ثم سار إلى المدينة وكان ذلك اليوم أعظم من يوم الزينة
ونزل الحرو فى القصر الكبير ووقف بخدمة الصغير والكبير والمأمور والأمير
وأقام فى تلك الديار مدة شهرين كوامل وكان فى آخر هذه المدة مرض ابنه تغلب
فأقام عشرة أيام فى الفراش ومات لحزن عليه الجرو حزنا عظيما وعملاوا عليه مناجاة
عظيمة ودفتوه بكل احترام ووقار ولما عزم الجرو على الرجوع إلى بلاده استدعى
واده مالك وأوصاه بالرعية وأن يكون عادلا فى حكمه وأن يزوج ابنته مى بالأوس
ابن أخيه وبعد ذلك سار وحده فى قطع القفار إلى أن وصل إلى أطلاله

واجتمع بأهله وعياله وأما الأمير مالك فإنه اعتنى بتربية ابنته وابن أخيه كما أوصاه جناب أبيه حتى كبرا وبلغا درجة الكمال وكان الأوس يركب ظهور الخيل ويتعلم الفروسية مع الفرسان واستمر على ذلك مدة من الزمان حتى صار من صناديد الرجال وشاع ذكره في كل مكان وكانت ابنة عمه من أجمل النساء والرجال وكان الأوس يحبها محبة عظيمة فكانا كروحين في جسد واحد فلما شاع ذكرهما في قبائل الأعراب وتواردت على أبيها الخطاب وكان تسمع بها الصنديدين الأكوخ وهو ابن عم الملك تبع حسان فعتقها على السماع وكان من الملوك العظام فأرسل وزيره ليخطبها من أبيها فلما وصل الوزير وعلم مالك بالخبر فقال والله هو نعم الصهر وبه أنال الفخر على طول الدهر غير أنه لا خفاك أطال الله عمرك وبقاك بأن ابنتي مخطوبة لابن عمها الأوس ونحن الآن مباشرين بأمر العرس فلا يمكنك أن أنقض الكتاب وهذا الذي ينبغي عن إجراء الإيجاب فقال له الوزير أكتب لي الجواب فكتب لي هذه الآيات :

يقول الفتى مالك على ماجرى له	يدمع جرى فوق الحدود صدود
أيا غادياً منى على متن ضامر	تسابق لضرب المرفف المبرور
تهدى هداك الله خذلى رسالتى	اعطيه مكتوبى تنال سعوى
إذا جيت للصنديد فقل له	بأنى على طول الزمان ودود
وسى نرى مخطوبة لابن عمها	ومعها تربي والآنام شهود
فحاشى لمثل أن يخون أقاربه	وأفسح زمامى ثم أكو عنود
ترى الأوس روى يا أمير ومهجتى	وهو عندنا أحلى من المولود
فلو كنت أعطيها لغير ابن عمها	لكنت أنت اليوم أولى بالمقصود

ثم أن الوزير أخذ هذا الجواب ورجع إلى عند الصنديد وأعطاه إياه فلما وقف على حقيقة الحال خرج عن دائرة الاعتدال فغير زيّه وتسكر وركب جواده وسار إلى قلك الديار وحده وعند وصوله إلى مضارب الأمير مالك لم يجد هناك ولم يكن في الحى إلا النساء والبناء فسأل بعض النساء عن غياب الرجال فقالت منهم من سار إلى القبائل ليعزموا الناس إلى العروس والفرح ومن ذهب مع الأمير مالك للصيد والقنص ففرح بهذا الاتفاق وتقدم لنحو الصيوان وأركز ربحه ووقفه على الباب ونادي هيا يا أصحاب البيت فقد أنا كم ضيف من أبعد مكان وكانت منى

داخل الخيام وحدها فاردت جواباً وما أبدت خطاباً ولما أبطلت عليه الجواب وعرف أن الصيوان خالياً من الرجال أنشد يقول :

قال الفتى الغريب الذي شكا
أتيت قاصد مالكا في حاجة
يا أهل هذا البيت أين أميركم
يا ربة البيت الذي داخل الحى
ألا فاخبروني يا بنات بحالكم
إذا كان أهل الحى غابوا جميعهم
فمقر ضيفا قد أتى غريبة
أكيد ما كل النساء تستر الفتى

(قال الراوى) فلما سمعت من شعره ونظامه وعرفت قصده ومرامه أخذتها الغيرة والمروءة لتستر عرض أهلها من القيل والقال وأشارت تقول :

تقول فتاة الحى التى شكت
يا مرخبا بالضيف لما زارنا
انزل مكانك حتى أحضر لك الغدا
أنا بنت مالك راح للصيد والدى
انزل حتى يرجعوا رجالنا
فكم جاء إلينا يا أمير مثالك
نحن نحب الضيف إذا جاء محلنا

(قال الراوى) فلما فرغت من شعرها ونظامها وقع الصنديد في حبها وغرامها ورفق ستار الخيمة بسنان رحمه فوجد صبية بدبعة الجمال فزاد به الوجد والبلبال فصاحت عليه من خاف الستار وقالت علامك تنظر بنات الملوك يا غدار ثم ردت منديلها على وجهها وقالت له لا شك أنك قليل الحياء كما مخ فإن كنت ضعيفا كما تقول فانزل كي أتيك بالغدار وإلا فما هذه الوقاحة ثم قالت لجارتها اطلعى افرشى له حتى يجلس ويتغذى لبينا يا أبى من البرية فخرجت الحاربة اليه وسألته كي ينزل من الصيوان فقال لها إنه عيب على أن أنزل عند الحریم وأنا سيد عظيم لتلا أدعى يكامح وهذا من أعظم القبائح وما أتيت إلى هذه الديار إلا لأمر ضرورى هذا فلم يسمع لها كلام وقال لا بد من أخذك إلى الاطلاع وهناك أتزوج بك بالجلال لأنى

أتيت من بلاد بعيدة لأجل هذه الغاية الوحيدة وقد نلت مرادى وحصلت على مسرة
 فؤادى ثم إنه قام تلك الليلة في تلك المسكان وهو مسرور فرحان ولما كان الصباح
 ركب ظهر الحصان وأردفها خلفه وصار يقطع القفار ويوصل سير الليل سير النهار
 حتى وصل الديار ولما سمعت أكبر قومه بقدمه ظافرا غابما اجتمعوا إليه وهنوه
 بالسلامة وسألوه عن سفره وما جرى له في غربته فقال إني عند وصولي إلى تلك
 الأطلال هجمت على القريسان والابطال ومددت أكرهم على بساط الرمال وفعلت
 فعلا لا تذكرون على طول الأجيال وقتلت الأمير مالك وابن أخيه وأتيت بالعروس
 إلى هنا وقد بلغت غاية المنى فلما سمعت مني منه هذا الكلام كان عليها أشد من ضرب
 الحسام فنهضت على الأقدام وقالت له أمام الأعيان لقد نطق بالزور والبهتان فوحي
 الإله الديان لو كان أبى وابن عمى حاضرا لما كنت رجعت سالما إلى أوطانك ولا جئمت
 بأهلك وخلالك ولستك خطفنتي بالاحتيال وهربت في الحال قبل أن تدر كرك الرجال
 ويجعل بك الوبال ثم إنها بعد هذا الكلام بكيت بدمع سحام ولما سمع الحاضرون تخوي
 كلامها خافوا من العواقب وعلوا بأن كلام الصنديد ليس له صحة فهو في حديثه
 كاذب راما الصنديد فإنه اغتاض من هذا الكلام فنهض ولطمها على وجهها وقال هكذا
 تتكلمين يا بنت اللثام أمام السادات الكرام ثم سل سيفه وغمدوه وأراد أن يعدمها
 الحياة فعند ذلك وثب الوزير وباقي الأمراء بالعجل وردوه عز ذلك العمل وقالوا
 له انت أمير أتجعل عقلك كمقل النسوان فاقول عنك ملوك الممالك إذا سمعت
 بذلك وما زالوا يتوسلون بالكلام حتى لاق وكان له سيجان أقصى من الصبر أن ياستدعاه
 إليه لحضر وكان اسمه عمران بن الأزور فقال خذ هذه الملعونة إلى بيتك وسلمها
 إلى زوجتك لتقيدها بالحد يدو تعذبها العذاب الشديد وتلبس أثواب الشعر وتضربها
 خمس مرات في النهار وتطعمها خمس أرغفة من الشعير فقال يا مولاي إن هذه
 الصبية لا تستحق الضرب والانتقام ولا استاهل غير الإعرار والإكرام وهي كأنها
 البدر التمام فقال لها كيف العمل وما نحن إلا عبيد الملك الصنديد فعند ذلك روعت
 عنها ثيابها الحريرية والبستها ثوبا من شعر الخنزير وأرادت أن تضربها بالسياط
 على قدميها فوقعت على رجليها وجعلت تبكي وتثني عليها ثم أنشدت من فؤاد متبول
 يا لله أن ترني إلى أخواني فالدهر فرق صحبتي وعيالي
 يا وحدني يا ذلتي يا غربي قد صرت بعد العز بالأغلال
 قد كنا في جاه ورفعة منصب والله ربي عالم الأحوال
 (١٠٢ - الزير سالم)

فترقى هذا النهار بحالتي قال ربي وتحييت الحال
إني كريمة من أكابر معشر فاقروا الودي بالجاه والإفضال
ويعدني بعد الغناء إلى الوطن وأرى جميع الأهل والإخوان
ولهم وقائع في البلاد جميعها بين المالك وزمرة الأبطال

(قال الراوي) فلما فرغت من شعرها ونظامها ورق قلبها وقالت لها قري نفسها
وطي قلباً ساعص معروفاً لوجه الله تعالى ثم إنها جاءت بجلد جاموس يابس فصلته
ثوباً وألبستها إياه من تحت الثياب وقالت إني متى ضربتك فإنك لا تشعر بآلم
الضرب وما قصدت بذلك إلا لئلا يسمع الملك صوت الضرب وأنت تصيحين وتسمعين
وأنا أقدم لك ما تحتاجين إليه من الماء كل والمشراب ومتى دخل الليل تخلفين ثوب
الجلد وترقدين براحة بال إلى أن يأتي الله بالفرج فشكرتها على معرفتها ودعت
لها بطول العمر وأوعدها بالجميل والخير هذا ما كان من ممي وما جرى لها أما
ما كان من أبيها فإنه عند رجوعه من الصيد سمع الصياح والبكاء فسأل عن ذلك
فأخبرته وجته برؤية الحال فغاب عن الصواب من شدة الغيظ وأما الأوس ابن عم
الصبية فإنه غنى عليه لأنه كان يحبها محبة عظيمة ولما أفاق من غشوته أنشد يقول :

يقول الأوس ابن تغلب قصيد ألا يا مئ من هذا دهاك
أناك المص في غيبة أبيك ولم يعلم بمن بسعى وراءك
ألا يا بنت عمي لو تدرى بي على فقدك أنا محزون باك
تري في أي أرض قد جللت فما قلبي غدا يطلب سراك
فلا بد لي أغزو دياره بالعجل واقتله وافرح في لقاءك
وأبذل كل مجهودي لأجلك وروحي بعد ذلك هي فداك
لما قال الفتي الأوس بن تغلب فقلبي قد تعلق في هبواك

(قال الراوي) فلما فرغ الأوس من هذا الشعر والنظام وقع من شبا عليه وبقي
طول ذلك الليل في غم وقلق شديد ما عليه من مزيد فجعل همه يلاطفه بالكلام
ويقول له طيب قلبك يا ولدي فما يصلح الحزن إلا إلى الفناء فاصبر ليدينا نرسل من
يكشف لنا خبر ذلك الرجل وبعد ذلك لستير إلى دياره فتخبرها ونسبي جريمته وهيباله
فقال الأوس من يذهب غيري فوالله لا سرت إلا وحدي ولا أريد رفيق ولا معين
سوى رب العالمين ثم نهض فاعتد جلاده وركب ظهر جواده وودعهم وسار وحيداً

في قطع القفار ودموعه تجري على خديه كالأنهار وهو لا يدري إلى أين يذهب وإلى
أي حلة يقصد من قبائل العرب إلى أن وصل إلى واد عميق ضيق الطريق كثير
الأشجار والوحش والأحجار فينبأ هو يتأمل ذلك المكان وإذا قد ظهر عليه أحد
الفرسان وهو بالسلاح الكامل والفروسية عليه علائم ودلائم فلما رأى الأوس
منفردا وحده مال إليه وقصده وقال له إنزل يا جبان عن ظهر الحصان واخضع
ما عليك من الثياب وفز بنفسك في هذه المضارب قبل أن أسقيك كأس العطب
فأنا بجرة بن غمرة فارس العرب .

فلما سمع الأوس هذا الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام وهجم عليه في الحال
وصدحه صدمة تززع الجبال فالتقاء جرة في الحال والتحما في ساحة المجال ولشدت
بينهما القتال وتجاولا ساعة من الزمان وهم في ضراب وطعان تقشعر منه الأبدان
فاختلفا بينهما طعنتين قاتلتين وكان السابق الأوس بن تغلب فجادت في صدره خر جرح
تلمح من ظهره فوقع قتيلا وفي دمه جديلا فأخذ عدته وجواده وجد في المسير وهو
يقطع البراري والآكام مدة خمسة أيام واتفق في اليوم الخامس أنه التقى بفارس
وهو يقطع القفار كالسهم الطيار فتقدم إليه وسلم عليه وقال له إلى أين سائر
فلما سمع من نسب من القبائل والعشائر فقال إنني من بني عيس وعدنان أصحاب الفضل
والإحسان ولقي سائر إلى ديار بني عامر لا أستدعي حامينا عنتر فارس الخيل لانه
سار من عشرة أيام ليحضر ولية دعائها فارس بن الطفيل وفي شيبته ثرا أنا عمرو
ابن معد يكره في خمسة آلاف فارس بخاربنا حاربة شديدة وجري بيننا وبينه
وقائع عديدة فأرسلني مولاي فيس بن الحارث لا أستدعيه للحضور قبل أن يظفر عمر
الذكور فقال الأوس بن تغلب تعجب ومن هو عنتر بن شديد فارس الصدام الذي
اشتهر ذكره في هذه الأيام بطن الرمح وبضرب الحسام وقهر كبار الجبابرة وحارب
الملوك والآكاسرة والقيصرة واقتصر على الإبطال والفرسان في ساحة الميدان فلما
سمع الأوس هذا الخبر وانبه ثم ودعه وجد في قطع البر الاقفر وما زال يقطع
البراري والآكام مدة سبعة أيام حتى أشرف على جماعة من العبيد ترعى الأغنام
مقيما بالسلام وأخذ يسألهم بهذا الشعر والنظام :

فدمي جرى فوق الحدود سائح	يقول النقي المظني السائح ما به
لصب بعيد الدار ولسان نازح	ألا يا بعيد الخير بالله أشعروا

تجيع وجيع مستهام ملوع
لقد ضاع لي حرة عفيفة من الحنا
ويخبرني لاي البسلاد توجهت
لقد أحرقت قلبي ولبي ومهجتي
تركة البين مضني كثير الجرايح
فهل من يبشر بها يا فوالح
من أجلها ناري تزيد اللقايح
وكل عظامي أو ثقتهم جرايح

(قال الراوي) قلنا فرغ من كلامه تقدم إليه كبير الرعيان وكان اسمه من جان وقال له أعلم يا غلام انه من برمة عشرة أيام سي أميرنا الصنديد لبنة اسمها مي لا يوجد أجل منها في نساء هذا الحية فأراد أن يتزوجها فاستعت عنه فلم تميل اليه فقيدها بقيود من حديد وهو كل يوم يعذبها عذاب شديد فمسي تكون الحرة التي ذكرتها في نظمك افرج الله همك وغمك فلما سمع الاوس هذا الكلام استبشر ببلوغ المرام ونزل عن ظهر الحصان وقبل العبد مرجان وأوعده بالجميل والإحسان فيبينها هو بالحديث والكلام وإذا بسعد ابن أخت الصنديد قد أشرف في ذلك الوقت ليتفقد المراعي فنظر الاوس فاستغربه فسأل بعض العبيد فقال هذا ابن عم الصبية مي التي عند خالك الصنديد فدجا ليكشف أخبارها ويرجع بها إلى ديارها فلما سمع هذا الكلام رجوع إلى عند خاله وأعلمه بما سمع ورأى وأشار إليه يقول :

قال سعد قد أتيتك عارا
البنت التي غربتها من أهلها
يا خال فارس في اللقا مجرب
إن كان راقى لك ليالي الصفا
قد جاء إلى عند العبيد يسأل
لما سمعت أتيت نحوك عاجل
يا خال مني فاسمع الأخبارا
من خلفها فارس اتاك جبارا
وعيونها يا خال تقدح نارا
فبصفوها تأتي لك الأكدارا
ابنوه فجاء كالأسد هدارا
هذا الذي يا خال تم وصارا

(قال الراوي) فلما فرغ سعد من شعره ونظامه وفهم الصنديد خوى كلامه قال له فارس واحد قال نعم أيها السيد الماجد فشمته خاله وقال ارجع وخذ روحه من بين جنبيه فإنه لا يليق بي أن أركب لقتال عسكوك من صعاليك العرب فخرج سعد من عند خاله وقصد الاوس .

فلما اجتمع به وصاح فيه وحمل عليه فالتقاه كالأسد وضربه بالحسام المهند فالتقاه على الأرض قتيلًا فأخذ سلبه وثيابه ولما بلغ خاله الخبر طار من عينيه

النير فركب ظهر جواده واعتد بعده جلاده وقصد الاوس حتى التقى به وانطلق عليه كليث الآيام وأخذ معه في القتال والكفاح ولم تسكن إلا ساعة حتى أئتمته بالجراح فولى وطلب لنفسه الحرب فقبمه الاوس مثل السرحان حتى وصل إلى الصيوان واحتس عند الفسوان فلما دخل على الحريريم قالت له زوجته سعدا علامك داخل وانت مرعوب كل هذا لاجل الابنة التي خطفتها وما نلت المرغوب فقالت انك تستحق أكثر من ذلك ثم وبخته بالكلام وقالت له انت تدعى الفروسية على كل واحد وتهرب من أمام أمرد هذا الاوس يصيح عليه ويقول اخرج يا لئيم من بين الحريريم حتى أجازيك على تلك الفعالي يا غدار يا محتال تخاف الصنديد وقال لزوجته سعدا أعطيه ابنة عمه واكفينا منها وهمه فخرجت زوجته اليه وقبلته وطلبت منه العفو والسمح فأعطاها الامان فجاءها له ابنة عمه مى بعد أن ألبسوها الثياب الفاخرة وذبحوا لها الذبايح وقدموا لها الاطعمة المتكاثرة ولما اجتمع بها زال عن قلبه الكدر من كثرة فرحه أخذ يسكب العبر وهكذا فعلت مى وكان ذلك النهار عندها كيوم العيد حيث التفت بحبيبيها الوحيد .

(قال الراوى) فباننا تلك الليلة في الحلة وعند الصباح أركب مى في هودج وسار معه جماعة من العبيد وتوجه قاصدا دياره ولما اقترب من بلاده أرسل يبشر عمه الامير مالك بقدومه وشاع الخبر في الحى فخرجت النساء والبنات وأكابر السادات ولما اجتمعوا ببعضهم البعض نزل الامير مالك فسلم على الاوس وابنته وشكر ابن أخيه على أفعاله وعند وصوله إلى الخيام حدثهم بحديث عترو وما سمع عنه من الخبر فقال عمه والله سمعنا بذلك وأنه من أفرس فرسان عصره وبعد ذلك ذبحوا الذبايح وأولموا الولائم ثم زفوا الاوس على ابنة عمه فكانت ليلة من أعظم الليالي حضرها جمهور من السادات والموالى فزادت أفراح الاوس بتلك العروس وحظى بذلك الحسن والجمال وعاش معهما بأرغد عيش وأحسن حال وبعد ذلك وضعت له غلاماً سماه مالك وله حديث طويل فاتفق بعد عشرة أيام أن الاوس ضحك ضحكاً شديداً فأتى فحزن الاوس عليه ودفنه بالاحترام والوقار وبكت عليه الكبار والصغار وكان موصوفاً باللطف والاياس ومحبوفاً من جميع الناس وأرسل الاوس وأعلم جده بذلك الخبر فحزن وتكدر فقالت أختك اليمامة أرسل يا أخي وأحضر ابن عمك الاوس مع أهله ليجمع شملنا بشمله

أجابها إلى ذلك وفي الحال أرسل رجلا من بني عمه ليحكم مكانه فجاء الأوس مع
أهله وسكن عند الجرو وراق لهما الزمان وأما ما كان البطل الهمام صاحب
الذكر الشهير المذموم بسالم الزير فإنه كان قد أخناه الدهر وضعفت قواه وهو مع
ذلك مواظب على أكل الطعام وشرب المدام وكان لا ينام إلا وهو لا يسعد
الحرب والصدام وما زالوا على تلك الحال حتى برز له أسنان جدد وصار
عقله مثل عقل الولد وكانت بنات أخيه تخدمه وتداويه فاجتمع يوما بالجرو
وقال له يا ابن أخي قد ضاقت أخلاقي من الوحدة والافراد فأريد منك ترسني
مع بعض الاتباع للتزعم في البلاد فأجابه إلى ما طلب وأركبه في هودج وأعطاه
عبدان برسم الخدمة وجميع ما يحتاج إليه من لوازم السفر فودعه المهمل وما زال
يمحول حتى اقترب من بلاد الصعيد وكان العبدان قد تعبوا من مشقة الطريق وهما
يلقيان من التعب أشد الضيق فقصما على قتله وإعدامه بالكلية وإنما يقولان
لأهله قد أدركته المنية فصرف الزير منهما فقص قد دني هيامني وليس إلا القبر أما مي
فاذا أدركتني منيتي أريد منك أن تبليها أهلي وصيتي قالا وما هي وصيتك فعاهدتهما
على حفظها وتأبيدها خلفا له بأعظم الأقسام بأنهما يملفونها بالسكمان والبنام فقال
إذا وصلتني فاقريا أهلي من السلام وأنشدوه هذا البيت وقولا لهم إن في القبر
قد اختفيت .

من مبلغ الاقوام أن مهلهلا لله دركا ودر أيكما
وكرره عليهم حتى حفظاه ولما دخل الليل ذبحوه ودفناه تحت التراب ووجهها
إلى ديارها ودخلا على سيدهما الجرو وأعلماه بموت عمه الزير فبكاه شديدا من
ومن حضر ثم أن العبدان اقتربا من الجرو وأنشدها البيت المذكور
فلما سمع الجرو هذا استغربه حيث لا معنى له فاستدعى بأخته اليامه وكانت
من أزكى نساء العرب وعلمها عمها وأنشدها ذلك البيت فلطمت على وجهها وبكت
قالت إن عمي لا يقول أبيات ناقصة بل أراد أن يقول :

من مبلغ الاقوام أن مهلهلا أضحي قتيلا الفلاة مجذلا
لله دركا ودر أيكما لا يبرح العبدان حتى يقتلا
ثم أنهما فبضا على العبدان والقوهما تحت العذاب والضرب الشديد إلى أن أفر
بأنهما قتلا ودفناه فقتلتهما الجرو وفي الحال وهكذا انتهت حياة الزير وقد أخذ

ثاره في حياته وبعد مماته وبعد وفاة الزير وضعت امرأة الاوس غلاما فسموه عامراً
وعندما بلغ سن الرجولية تزوج بامرأة من أشراف العرب فولدت له في نفس
الليلة التي مات فيها جدة الجرو فدعاه هلال وهو جد بني هلال وكان من أعقل
العرب ولما كبر الأمير هلال تزوج بامرأة ذات حسن وجه فوالت له غلاما
دعاه المنذر واتفق أن هلالا زار مكة في بعض السنين في أربع مائة فارس كرار وكان
وقبئذ ظهور النبي المختار وعند وصوله ضرب الخيام وطلب هو ورجاله
بحول البيت الجرام ثم تشرف بمقابلة النبي المشار إليه وقيله بين عينيه فأمره النبي
أن ينزل في وادي العباس وكان النبي ﷺ في تلك الايام يحارب بعض العشائر
فعاونه الأمير هلال وأمدّه بالعساكر وقاتل معه القوم في ذلك اليوم وكانت
فاطمة الزهراء راقبة على هودجها فلما رأت هول القتال زجرت جملها لتخرج
عن مشاهدة القتال فشردتها في البراري والفلوات وعند رجوعها دعت على الذي
كان السبب في البلاد والشتات فقال لها أبوها ادعى لهم بالانتصار فإنهم بني هلال
الاخيار وهم لنا جملة الاحباب والا نصار فنفذت فيهم دعوتها بالتشيت والنصر
على طول النهر .

(تمت قصة الزير أبو ليلى المهمل يعون الله تعالى)



APR 9 1987

A.U.C.
4 SEP 1991

81 AUG 1995

A.U.C.
3 - JAN 1996

PJ
7695.8
Z56x

5 OCT 1994

b. 12510518
, 13882882

